أشهر المعارك الحاسمة

التي غيرت وجه التاريخ

أحمد عطيات



أشهر المعارك الحاسمة
التي غيرت وجه التاريخ

أشهر المعارك الحاسمة
التي غيرت وجه التاريخ

أحمد عطيات

الطبعة الأولى

2010م - 1431

الفهرس

مقدمة

المعارك الحاسمة هي المعارك التي تحسم الحرب لمصلحة الطرف الغالب، فإن لم تفعل ذلك فلا تستحق هذا الاسم، فالخاسر فيها يجب أن لاتقوم له له قائمة إلى مدة معقولة من الزمن ،فان استطاع فعل ذلك ونهض من الهزيمة بسرعة ،فانه يكون خسر معركة عادية ولم يخسر معركة حاسمة أي لم يخسر الحرب.

والمعارك الحاسمة غالبا ما تنقل المنتصر إلى مصاف الدول العظمى إذا انتصر فيها على دولة عظمى أو تنقله إلى مصاف الدولة الأولى اذا انتصر فيها على الدولة الأولى.

وقد تكون المعركة حاسمة بحد ذاتها أو تكون مقدمة لمعركة حاسمة تليها بعد زمن قليل.

والمعارك بين الدول الكبرى انما تكون عادة من باب التنافس على مركز الدولة الأولى.فالمنتصر فيها يصعد إلى هذا المركز عندما يهزم الدولة الأولى في حين تعود الدولة الأولى المهزومة إلى مصاف الدول العادية.

فلإسكندر –على سبيل المثال -حين انتصر على دارا الفارسي في معركة اربي لا صارت اليونان الدولة الأولى في العالم. والمسلمون حين هزموا الفرس في المدائن والروم في اليرموك وبيزنطة في فتح القسطنطيطية تسنموا مركز الدولة الأولى.

والذي يلاحظ أن المعارك الحاسمة كانت في اغلبها تنافس على مركز الدولة الأولى في العالم كما هو الحال في الحرب بين دول المحور ودول الحلفاء أو الحرب بين المانيا وروسيا أو فرنسا وبريطانيا أو حروب الدول الأوروبية ضد دولة الخلافة العثمانية.

ومن المعارك الحاسمة في تاريخ الإسلام معركة اليرموك التي وقعت بين المسلمين والروم في خلافة عمر بن الخطاب سنة 15هـ، 636م وانتصر فيها المسلمون نصرًا حاسما. ومعركة وادي لكة التي وقعت بين المسلمين بقيادة طارق بن زياد والقوط بقيادة لذريق عام 92هـ، 711م وانتصر فيها المسلمون إنتصارا باهرًا ونتج عنها فتح الأندلس.ونشوء دولة اسلامية هناك ظلت ردحا من الزمن الدولة الأولى في أوروبا حضارة ومدنية وعلما وثقافة وقوة عسكرية.

ومن المعارك معركة عين جالوت بقيادة السلطان المملوكي سيف الدين قطز والظاهر بيبرس، والتي أوقف فيها المماليك الزحف المغولي الغاشم على الشرق كله 846هـ، 1442م، باعتبارها واحدة من المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي، وقبلها كانت معركة المنصورة في مصر بين آخر سلاطين الدولة الأيوبية الملك الصالح وبين قوات لويس التاسع قائد الحملة الصليبية على مصر.

ومن المعارك الحاسمة معركة فتح القسطنطينية التي وقعت بين المسلمين والروم في عهد السلطان العثماني محمد الفاتح سنة 857هـ، 1453م وانتصر فيها المسلمون وكان فتحها نهاية الدولة الرومانية الشرقية.

وفي الغرب يرى السير إدوارد كريشي (1812 - 1878م) وهو مؤرخ إنجليزي - أنه كانت هنالك 15 معركة ينطبق عليها وصف المعارك الحاسمة. وقد وصفها وأوضحها في كتابه 15 معركة حاسمة في العالم الذي نُشِر في عام 1852م، وهي معارك:

أربلا (331ق.م) سيراقوسة (413ق.م) الأرمادا الأسبانية (1588م) غابة تويتوبورغ (9م) أورلييان (1429م) فالمي (1792م) بلنهيم (1704م) الماراثون

(490ق.م) بواتييه (بلاط الشهداء) (732م) بولتافا (1709م) ميتاروس (207ق.م)

تشالونز (451م) هيستنجز (1066م)ساراتوجا (1777م) واترلو (1815م).وقد تحدثنا في هذا الكتاب عن احدى وعشرين معركة رأينا أنها الأهم في التاريخ الاسلامي وغير الاسلامي سائلين الله ان يستفيد منها القاريء اعظم الفائدة.

أربيلا

"كانت معركة اربيلا أول انتصار للحضارة الغربية على الحضارة الشرقية و بمثابة المسمار الاخير في نعش الدولة الفارسية كدولة أولى في العالم آنذاك،اذ ان هذه المعركة قلبت موازين القوى وغيرت وجه التاريخ، فبعد أن كانت فارس هي الدولة الأولى عسكريا في العالم ، انتقلت تلك الأولى إلى الاغريق الذين نجحوا بقيادة الإسكندر في ايجاد أول نظام عالمي تحت سيطرتهم كالذي تحأول الولايات المتحدة ان تفعله هذه الأيام ".

التاريخ : سنة 334ق.م

الاطراف المتحاربة": اليونانيون و الفرس

عدد المقاتلين والقادة:

-اليونان :50000 بقيادة الإسكندر المكدوني

-الفرس: اكثر من 500000 بقيادة داريوس"دارا"

عدد القتلى من الفرس: 30000

عدد القتلى من اليونان اقل من1000

نتيجة المعركة : انتهت بانتصار اليونانيين

اهمية المعركة:انتقل مركز الدولة الأولى في العالم من الفرس إلى اليونان.

إن دخول الإسكندر المكدوني قارة آسيا عبارة عن فصل خطير مثل على مسرح التاريخ وهو براعه استهلال علاقات أوروبا بآسيا مدة ألفين وثلاثمائة سنة حتى اليوم...

كان اليونانيون يجهدون فيما سلف لرد غارات الفرس عن بلادهم فأصبحوا يهاجمونهم في عقر دارهم وغلبوهم فغدا القديم ينهزم من الحديث

وسقط الكبير أمام الصغير هذه صورة مصغرة لعلاقات أور وبا بآسيا من ذلك الحين.

نابليون والإسكندر:

يقول نابليون بونابرت:

"عبر الإسكندر الدردنيل سنة334 بأربعين ألفاً خمسهم خيالة واجتاز نهر جرناكوس بالرغم من مقاومة القائد المرتزق (ممنون) وقضى سنة 333 ق.م يوطد دعائم ملكوته في الاناضول ونشر فيها وفي كل مكان حل به اللغة اليونانية والتمدن اليوناني. وإلتقى بدايروس قرب طرسوس كيليكيا سنة 332 ومعه ستون ألفاً فقهرهم .ودخل سورية وفتح مدائنها وسار إلى مصر ففتح مصر والسودان وطرابلس واختط مدينة الإسكندرية وعاد سنة 331 فلجتاز فلسطين وسورية إلى الشمال .وعبر الفرات ودجلة وخاض معركة أربيلا ففاز فيها على داريوس وحل عقد الأمبراطوريه الفارسية وحل محلها . وفتحت عواصم فارس له أبوابها فغشى بابل وبرسيبوليس وسوسا وباسرجاد حيث مدفن كورش العظيم.. ثم ا قتص من باسوس الخائن لقتله داريوس.ودخل هندستان سنة327 وأسر بوروس ملك البنجاب وعاد منها سنة 326 بثم ان ماءة سفينة سلمها لنيارخس عند شط الأوقيانوس الهندي وجاز قرمانيا ومر ثانية بالعواصم الفارسية وعاد إلى بابل سنة 324ق.م ."

تمهيد تاريخي

لم يكد الإسكندر الكبير يبلغ عشرين سنة حتى اعتلى عرشَ مكدونية وكان ذلك فى سنة 336 ق. م. فجهز جيشاً من أبطال بلاده وظل يدربه على القتال ويقويه وبحلول سنة 334 ق.م قاد جيشه فى حملة على الفرس لإحتلال الشرق. وكانت سلالةُ الفرس الأخمينيّين تسيطر على المنطقة منذ سنة 560 ق.م.

في سنة 332 ق.م قاد جيشه على الشاطئ الذي يربط سورية بمصر للسيطرة على البحر. احتلّ صور وغزّة بعد أن حاصرهما حصارًا طويلاً، ثمّ سيطر على مصر حيث أسّس مدينة الإسكندريّة سنة 331 ق.م . وكثيرون من المؤرخين دائموا على القول أن المصريين سأموا وتعبوا من وجود محتل وفرحوا بإستعمار بلادهم بمحتل آخر فقالوا فى إحتلال الإسكندر الأكبر : إنّ المصرّيين تعبوا من سيطرة الفرس فاستقبلوا الإسكندر كمحرِّرٍ لهم.

أما بالنسبة إلى اليهود فكان هناك وضعاً آخرا فلم تكن هناك مواجهاتٌ بين جيوشٍ مكدونيةٍ وسكّان اليهوديّة الذين انتقلوا من سلطة الفرس إلى سلطة المكدونيّين. وقد احتفظ المؤرّخ يوسيفوس (ومراجع أخرى، منها التلمود) بخبر لقاء الإسكندر بعظيم كهنة أورشليم. ويلاحظ التالى :-

أولاً : تصرُّفُ الإسكندر المتسامح حيال العبادات المحلّية في كلّ بلد.

ثانياً : تفاؤلُ اليهود الذين رأوا في الإسكندر وخلفائه الأولى أسيادًا شرعيّين على العالم أرسلتهم العناية الإلهيّة (راجع أش 44: 28؛ 45: 1 عن كورش الفارسيّ).

موقع المعركة

أربيلا(أربيل حالياً) هي بلدة شرقي دجلة بينه وبين جبال كردستان. تبعد عن ميدان المعركة الحاملة إسمها 20 ميلاً وأقرب قرية إلى ذلك الميدان هي قرية (جوغمبلا) ...ويمتد ذلك السهل مسافات شاسعه وفيه عدة هضبات ولكن أكثره منبسطات ملائمة لسير العربات وحكات الخيول. فهو في مصلحة الجيش الأوفر عدداً . فاختيار داريوس إياه موقعاً للمعركة الفاصلة من مظاهر أهليته الحربية.لأنه واقع في منتصف أملاكه قريب من مراجعه.

جيوش المعركة

نقلاً عن تقرير أرستبولس وبطليموس قائدي الإسكندر،قال"

" كان مع الإسكندر أربعون ألفاً من المشاة وسبعة آلاف من الفرسان، وكلهم من الكماة المجربين الذين خاضوا المعامع والنصر حليفهم. وقد جهزهم بالرماح الطوال والسيوف السقال ،وجعل سمك المربع 18 صفاً وكانت رماحهم تمتد من مقبضها 18قدماً . فكان أمام المربع المقدوني جدار من الأسنة لا يقوى بشر على اختراقه.وكانت جنود المربعات مع الإسكندر 18000مقسومة إلى ستة الايات، في كل الاي ثلاث فصائل.ثم حملة التروس وعددهم 6000وأسلحة هؤلاء خفيفة،بعدهم المشاة.ثم رماة النبال، فالضاربون بالمقلاع، فرجال السيف العريض.وفرقتان من الخيالة هما الفرقة الشمالية والفرقة التراكية".هذا هو جيش إسكندر.

أما جيوش داريوس فكثيرة العدد .وفيها ،

أولا : الجبليون من أفغانستان وتيبت وبخارى وخيوا.

ثانياً: السكيثيون-الروس- ومعهم15فيلأو200عربةكبيرة.

ثالثاً: الفرسان من كردستان وتركستان وشيوخ بكتيريا.

رابعاً: رماة النبال من مناطق البحر الأحمر.

مقدمات المعركة:

عبر الإسكندر الفرات وسار شرقا تاركاً أسفل العراق بعواصمه الغنية ولما علم داريوس في أربيلا أسرع وعبر دجلة. وواصل الإسكندر مسيره شرقا ثلاث أيام وفي اليوم الرابع أتته التقارير بأن طلائع جيوش داريوس قد بدأت بالظهور.فأعد جيشه للصدام .فإلتقى ببعض الجنود الفرس فأسرهم فعرف منهم إن داريوس على بضعة أميال منه وعرف أيضاً ما معه من قوات.

فأراح جيشه أربع أيام ثم أستأنف المسير شرقا ،في أول الليل على أمل أصلاء الفرس المعركة الفاصله في الصباح ولما بلغ الآنشاز ظهرت له جيوش الفرس تملأ السهول.فحل هناك يريح جيوشه،وأبى أن يهاجم الفرس ليلاً،كما

أشار عليه بعض قواده.وفي النهار التالي كان كل من الإسكندر وداريوس يتوقع أن يكون خصمه البادئ بالهجوم.ونام الجيش المكدوني ، أما الجيش الفارسي فلم ينم ،بل سهر كل الليل متوقعاً الهجوم،ولا هجوم ،فأصبح الجيش المكدوني مرتاحين والفرس متعبين.

ترتيب الجيوش

جيش داريوس :كان في جناحه الأيسر البكتيريون والدانيون والأرغوسيون ،يلي هؤلاء فرسان الفرس ومشاتهم فجنود سوسا وقادس.وأمام هذا الجناح السكيثيون ومعهم مائه عربة وألف خيال بكتيرياني. وكان داريوس في القلب وحوله الهنود والكاريون ورماة النبال المردياثيون ورماحة الفرس،الذين سنان رماحهم تفاحات الذهب،والبابليون. وكان القلب إلى جانبي داريوس فرقة اليونانيين وهم المرتزقة .وأمام القلب 15فيلاً و50عربة سكيثية.

وفي الجناح الأيمن الأرمن والفرثيون والماديون والهركانيون والكيليكيون والعراقيون والتابوريون والساسانيون وألالبانيون) وأمام هذا الجناح 50عربة .وكان داريوس يعلق على العربات الكبرى أكبر الآمال.

وذات صباح من تشرين أول منذ 2258سنة،فتح الفرس عيونهم فإذا رجال الإسكندر ينهضون من نومهم على صوت البوق وهم يتأهبون للقتال .وقد رتبهم الإسكندر حسب خبرته الي خطين، الامامي جبهة القتال والخلفي احتياط.

و في الجبهة جناحان وقلب.

الجناح الأيمن :فيه الفرسان مقسمين إلى ثمان فرق لكل فرقة قائد .وهم على الترتيب من أقسى الجناح إلى الخلف... 1كليتوس ، 2جلوسياس، 3 أرسطون، 4سوبوليس، 5 هيركليدس ، 6 ديميترياس، 7 ملياجر، 8 هيجلوخس. وقائد الفرسان العام هو فيلوتاس.يلي الفرسان حملة تروس المشاة.وقائدهم نيكاتور.وكان الإسكندر في هذا الجناح.

وفي القلب المربعات في ستة ألايات بقيادة كنوس وبارديكاس وملياجر وبوليسيرخون وأميانياس وأمينياس.

الجناح الأيسر:وفيه المشاة بقيادة كروتي،ثم خيالة نساليا بقيادة فيلبوس.وكان القائد العام للجناح الأيسر هو بارمينو،يحيط به فرسان الفرساليين وهم أفرس الثساليين.وخيالة الحلفاء بقيادة أريغيوس. هذا ترتيب الجبهة .أما الخط الاحتياطي فكان كالاتي:

يؤلف قلبه من مربعات مستعدة لإمداد من يضعف في الجبهة وإلى يمينهم احتياط المشاة وهم وراء فرسان الحرس.ومعهم أرباب القسي المكدونيين ووضع في هذا الخط فرسان منيداس وأريتس وأريسطون .ومثل ذلك في الجناح الأيسر وكان في أقصى ميسرة (حبيبي ميسره) هذا الخط الخلفي أندروماخس.

وكانت الحذاقه التي أبداها الإسكندر في أدارة معركة أربيلا مثلاً في فن القيادة .

المعركة:

بدا القتال بصدور الامر من داريوس لعربات السكيثيين أن تهجم على جناح الإسكندر الأيمن .فأرسل الإسكندر فرسان منيداس (في الخط الخلفي)لصدهم.ولما تبين له أنهم قلائل أتبعهم برجال أرسطون والكلياندريين.وكانت خسارتهم أولاً هائله.لكنهم ثبتوا، ثم رجحت كفتهم ،بما لد يهم من خبرة ونشاط.وكانوا يحاربون في مربعات متساندة.وثم وجه داريوس عربات السكيثيين على قلب الإسكندر ،يرافقها الفرسان لاغتنام الفرص.فصد هؤلاء مشاة السلاح الخفيف بقيادة كراتيوس ،فكانوا يجرحون الخيول بحرابهم ،فتثور وتخبط الأرض بيديها فتحطم العربات . وافسحت الجبهة لباقي العربات فسارت إلى مؤخرة الصفوف اليونانية،حيث أضحت عديمة النفع.

حينئذ تجمع أكبر عدد من فرسان داريوس وهجموا على جناح الفرسان الأيمن حيث الإسكندر نفسه فتلقاهم أريتس هو والباقي في خط الاحتياط الخلفي.وكان يراقب الحركات، فتمكن من صدهم.كل ذلك ولا تزال جبهة الإسكندر سليمة وعلى أهبة الإستعداد.

هبت كتائب كثيرة من فرسان داريوس لإنجاد إخوانهم وبذلك فتحت ثغرة في جبهة داريوس بين الميسرة والقلب .وهي الفرصة التي كان الإسكندر يتوقعها .فإندفع بحرسه الخاص اليها،واخترق الجبهة الفارسية .فصارت ميسرة الفرس بين نارينفيلوس ونيكاتور من الغرب،وإسكندر من الشرق.فـانبث حملة التروس المكدونيون بين الفرس وأبلوا فيهم البلاء الحسن.وهبطت خمسة الايات المربعات على اليونانيين المرتزقة في جيش داريوس فـاخترقوها .و آن ذاك صارت الجبهة الفارسية ثلاثة أقسام منفصلة .الأول الجناح الأيمن وجزء من القلب والثاني الجناح الايسر بين الإسكندر ونيكاتور ،والثالث القلب أمام المربعات المكدونية .أما الجبهة المكدونيه فلم تزل متصلة.

وأبدى داريوس من الحنكة والثبات ما يليق بموقفه.وأخيراً تشنجت أعصابه فنزل من عربته،وركب أسرع حصان ودار به شرقا وأرخى له العنان وهرب من المعركة مع أن المعركة في جناحه الأيمن كانت إلى تلك الساعة في صالحه.ولما تقدم الإسكندر بميمنته حدثت ثغرة بينه وبين برمينو فـ إندفع إليها الهنود والفرس و اجتازوا الجبهة إلى المحلة وشرعوا بالنهب.وكان برمينو ملتزماً خطة الدفاع فلم يحد عنها .وأسرع سيمنياس فأنجده بكل قوته . وكان الإسكندر قد عين الاياً لخفارة المحلة فصد هذا الناهبين.وبلغ الإسكندر أستغاثة بارمينو فلوتد عن الفرس لإنجاده،وفي عودته إلتقى بالناهبين مرتدين فضاقت بهم السبل ،ولم يجدوا مندوحة من اختراق صفوف الإسكندر .وهنا حدثت أشد مشاهد الحرب هولاً.

لأن هذا الأختراق أقصى ما يمكن تصوره من المخاطرة في القتال ولا يركب هذا المركب إلا في أحرج الأزمات وأشدها خطورة.

وكانت النتيجة أن الهنود والفرس أفنوا تقريباً ولكنهم قتلوا الكثيرين من حرس الإسكندر وبعضا من قواده.ولما وصل الإسكندر إلى جناحه الأيسر وجد أن بارمينو قد تحسن موقفه . وربما كان من عوامل ذلك تأثير هرب داريوس على نفوس الجيشين.

عاد الإسكندر لمطاردة دا ريوس، وكان داريوس حريصا على النجاة بنفسه فمر بأربيلا ولم يقف بها بل واصل مسيره حتى حدود قزبين ،حيث اغتاله باسوس حاكم بكتريا والذي قتله الإسكندر فيما بعد لخيانته لداريوس.وبلغ الإسكندر أربيلا في اليوم الثالث فلستولى عل كنوز داريوس .وكان يفصل بين الميدان وأربيلا نهر ليكوس.فتجمعت جنود الفرس المنهزمة على جسر ذلك النهر .فهدمه المقدونيون بهم فهووا إلى النهر وماتوا غرقا...هكذا انتهت معركة أربيلا وانتزعت أوربا الصولجان من آسيا.

وبعد بضعة أيام انحدر الإسكندر جنوباً، واستولى على بابل عاصمة أول وأعظم إمبراطورية في الدنيا ففتحت بابل أبواب أسوارها للإسكندر وهي نقطة التحول في التاريخ ...ففي سنة 324 ق.م جلس الإسكندر على عرش بابل وقد دوخ الدنيا وهو ابن الـ32عاماً.

أصبحت اللغة اليونانيّة المحكيّة بعد سيطرة الإسكندر هي اللغة الشائعة، لا اللغة الكلاسيكيّة، ولقد أخذ بها الموظفون والتّجار والمشترعون والخطباء والكتّاب. كانت اللغة الآراميّة اللغة الدوليّة، ففرضت نفسها في الدبلوماسيّة والجيش والتجارة إلى أن تغلّبت عليها اليونانيّة. ولكن ظلَّ كثير من الناس في سورية وبلاد الرافدَين وفلسطين ومصر يتكلّمون اللغة اليونانيّة دون أن يهملوا

اللغة الأمّ. وتُرجمت التوراة إلى اليونانيّة، ودوِّنت كتب يهوديّة في اللغة اليونانيّة، كما دُوِّنَتْ كلُّ أسفار العهد الجديد باللغة اليونانية.

دامت حملات الإسكندر في الشرق ثماني سنوات. وتوفيّ هذا القائد سنة 323 ق.م ولم يتزوج ويؤكد بعض المؤرخين أنه مع قيادته لجيش عظيم وأحتل بلاداً كثيرة فى وقت قصير إلا أنه كان مخنثاً فمات ولم يخلفه أحداً من أسرته. وأستولى قواده على أمبراطوريته .

بدر الكبرى

معركـة بدر الكبـرى.. ملحمــة الفـرقان بين الحق والباطل

"إن انتصار المسلمين في معركة بدر يعد بمثابة الحجر الاساس في ترسيخ دولة الاسلام ،والمسمار الأول في نعش كيان قريش الوثني. اذ بدات القوى من حول تلك الدولة الوليدة تعترف بها وتحسب لها حسابا لم يكن موجودا قبل ذلك . فقبل بدر كانت دولة الاسلام مشروع دولة، وبعدها صارت دولة بحق. واستطاعت ان تسيطر على الجزيرة العربيةكاملة في بضع سنين . لتنطلق بعدها إلى العالم وتقارع الدول الأولى في العالم ....وتصبح خلال أقل من قرن الدولة الأولى حضارة ومدنية وفي كل المجالات".

التاريخ : 13 اذار 17/624 رمضان 2 للهجرة

الاطراف المتحاربة": المسلمون و قريش الكافرة

عدد المقاتلين والقادة:

-المسلمون : 314بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم

2-قريش 1000 "ابو جهل"عمرو بن هشام المخزومي

عددالقتلى من قريش: 70ومن الاسرى70

عدد القتلى من المسلمين: 14

نتيجة المعركة : انتهت بانتصار المسلمين

معركة بدر هي أول معركة كبرى في تاريخ الإسلام بين الحق و الباطل ، و أول مواجهة عسكرية كبرى حصلت بين المسلمين و قريش، وله ا مكانة رفيعة ومتميزة في تاريخ الإسلام ،فقد وَسَمَت المجاهدين الذين اشتركوا فيها بوسام متميز من التقدير والاحترام،فكان يكفي المسلم قدراً آنذاك أن يقال عنه أنه بدري، وليس ادل على ذلك من حديث الرسول" ما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم" .

تمهيد تاريخي:

لقد سبقت معركة بدر الكبرى سبع محأولات لاعتراض عير قريش ، وكان الذين يخرجون فيها من المهاجرين فحسب ، ولم يرسل فيها أنصارياً واحداً ،ذلك لأن هؤلاء المهاجرين إن اعترضوا قافلة قريش ، واستولوا عليها ، فإنما يفعلون ذلك عن حق مشروع في جميع القوانين الإلهية ، والشرائع الوضعية وهذه المحأولات السبع ، هي :

بعث حمزة على رأس سبعة أشهر من الهجرة و سرية عبيدة بن الحارث على رأس ثمانية أشهر منها ، و سرية سعد بن أبي وقاص على رأس تسعة أشهر منها ، و " معركة ودان " على رأس اثني عشر شهراً منها ، و " معركة بواط " على رأس ثلاثة عشر منها ، و " معركة بدر الأولى " في الشهر الثالث عشر أيضاً ، و " معركة العشيرة " على رأس ستة عشر من الهجرة ، كل هذه السرايا والغزوات كانت مؤلفة من المهاجرين فحسب ،

سبب التسمية: سميت الكبرى لانه سبقها غزوةأخرى تحمل اسم بدر: عندما أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة ومراعي المسلمين بها وهرب فخرج المسلمون لمطاردته وعلى رأسهم رسول الله (ﷺ) ، فساروا حتى بلغوا وادياً من جهة بدر يسمى سفوان ، وفاتهم كرز وسمي هذا الخروج معركة سفوان أو بدر الأولى . وجدير بالذكر ان هناك معركة ثالثة عرفت بمعركة "بدر الموعد" و ذلك عندما توعد المشركون ، بعد معركة أحد على اللقاء مرة أخرى في العام التالي لتلك المعركة . وسميت بدرا لوجود بئر بدر نسبة إلى بدر بن الحارث حافرها وقيل بدر بن كلدة وقيل لا ستدارتها وقيل لصفائها .

اهمية المعركة:

شكل الانتصار بداية النهاية لكيان قريش الوثني والخطوة الأولى في ترسيخ كيان الدولة الاسلاميةالوليدة.

وكل انتصارٍ تلا ذلك اليوم سيظل مديناً لهذه المعركة،

أسباب المعركة:

رغبة المسلمين في الاستيلاء على قافلة تجارية قرشية.

وصف القافلة:

كان كل اهل مكة قد اشتركوا في قافلة أبي سفيان القادمة من الشام، وقد قيل أن فيها خمسين ألف دينار، وكانت العير ألف بعير: وكان اكثر مافيها لآل سعيد بن العاص ولهم فيها أربعة آلاف مثقال ذهب، ولبني مخزوم فيها مائتا بعير، وللحارث بن عامر ألف مثقال، ولأمية بن خلف ألفا مثقال، ولبني عبد مناف عشرة آلاف مثقال.

مقدم القافلة:

علم رسول الله (ﷺ) أن قافلة لقريش محملة بالبضائع بقيادة أبي سفيان قد خرجت من الشام في طريقها إلى مكة، فأرسل الرسول (ﷺ) اثنين من أصحابه لمراقبة عير قريش، ودعا الرسول (ﷺ) الناس للخروج إليها، وجعل الخروج اختياريًّا، فخرج معه ثلاثمائة وأربعة عشر مسلمًا، ولم يكن معهم سوى سبعين جملا وفرسين، فكان كل ثلاثة من المسلمين يتنأوبون الركوب على جمل.

وكان الرسول (ﷺ) يمشي على رجليه، ويتنأوب الركوب مع أبي لبابة، وعلي بن أبي طالب على جمل واحد، كل منهم يركبه فترة من الزمن فقالا له: نحن نمشي عنك، فقال (ﷺ) في تواضع عظيم: (ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما) _ وكان أبو سفيان رجلا ذكيًّا، فأخذ يتحسس الأخبار، ويسأل من يلقاه عن المسلمين خوفًا على القافلة، فقابل أحد الأعراب يسمى مجدي بن عمرو فسأله: هل أحسست أحدًا؟ فقال: إني رأيت راكبين وقفا عند

البئر، فرأونا ثم انطلقا، فذهب أبو سفيان إلى مكانهما، وأمسك روثة من فضلات الإبل ففركها في يده، فوجد فيها نوى التمر، وكان أهل المدينة يعلفون إبلهم منه، فقال أبو سفيان: هذه والله علائف يثرب.

وعلم أن الرجلين من المدينة، ورسول الله ﷺ في طريقه إليهم، فغير طريقه بسرعة وفرَّ هاربًا بقافلته، وأرسل إلى قريش يستنجد بهم؛ ليحموه من المسلمين، ووصل رسول أبي سفيان إلى قريش، ووقف على بعيره، وأخذ ينادي ويصيح: يا معشر قريش! أموالكم مع أبي سفيان، قد عرض لها محمد وأصحابه، لا أرى أن تدركوها .. الغوث، الغوث .. وظل الرجل ينادي حتى تجمع الناس، وخرجوا بأسلحتهم وعدتهم ليحموا أموالهم.

في الوقت نفسه كان أبو سفيان قد نجا بالقافلة، وأرسل إلى قريش يخبرهم بذلك، فرجع بعضهم، وكاد القوم يعودون كلهم؛ لأنهم ما خرجوا إلا لحماية قافلتهم، ولكن أبا جهل دفعه الكبر والطغيان إلى التصميم على الحرب، وعزم على أن يقيم هو والمشركون ثلاثة أيام عند بئر بدر، بعد أن يهزم المسلمين فيأكلون الذبائح، ويشربون الخمور، وتغني لهم الجواري حتى تعلم قبائل العرب قوة قريش، ويهابها الجميع،

إستعداد قريش للخروج

بدأت قريش بتجهيز سلاحها و وابلها و رجالها للقتال، وقالوا: أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي ، كلا والله ليعلمن غير ذلك. و أتفقوا أن يخرج جميع رجالها و ساداتها إلى محمد، فمن تخلف أرسل مكانه رجلا آخر، فلم يتخلف أحد من أشرافها عن الخروج إلا أبو لهب، حيث أرسل العاص بن هشام بن المغيرة بدلا عنه، و ذلك لكون العاص مدينا له بأربعة آلاف درهم، فاستأجره أبو لهب بها.

وحاول أمية بن خلف التخلف، فقد كان شيخا ثقيلا ، فأتاه عقبة بن أبي معيط ، وهو جالس بين ظهراني قومه، بمجمرة يحملها ، و وضعها بين يديه قائلا: يا أبا علي ، استجمر ، فإنما أنت من النساء، فرد عليه أمية: قبحك الله وقبح ما جئت به، ثم جهز سلاحه و فرسه وخرج مع الناس.

وقد تخوف البعض عند بدء التحرك بسبب الحرب بين قريش و بين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة، إذ اعتقدوا ان يغدر بهم بنو بكر و هم منشغلون بملاقاة المسلمين. فقال سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، و هو أحد أشراف بني كنانة: أنا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشئ تكرهونه.

وأصبح المسلمون في موقف حرج؛ لأن عددهم أقل كثيرا من عدد المشركين، وبدأ الرسول (ﷺ) يستشير المسلمين.

استشارة الصحابة:

وصل خبر خروج جيش المشركين إلى المسلمين، و لم يكن خروج المسلمين لقتال المشركين هو خيار مطروح في الأصل، بل كان الخروج من أجل الغنيمة بالقافلة. كما أن الأنصار في بيعة العقبة اشترطوا حماية النبي محمد في المدينة فقط وتبرؤوا من ذلك حتى دخوله اليهم في المدينة حيث قالوا له وقتها:

يا رسول الله إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا ، فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا .فقام النبي محمد باستشارة من معه، فتكلم كل من أبو بكر و عمر بن الخطاب، ثم قام المقداد بن الأسود فقال:"يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : " اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا ههنا قاعدون " ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون،فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه .

ثم وجه النبي كلامه إلى الأنصار قائلا :أشيروا علي أيها الناس، فقال له سعد بن معاذ :والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟

فقال النبي محمد : أجل

فقال سعد:فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء . لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله .

فقال النبي محمد : سيروا وأبشروا ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم.

و انطلق بعدها النبي محمد صلي الله عليه وسلم و أبو بكر حتى لقيا سفيان الضمري، أحد شيوخ العرب في المنطقة، فسأله النبي صلي الله عليه وسلم عن قريش ، وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم فقال الضمري: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ؟ فقال له: إذا أخبرتنا أخبرناك .فقال الضمري: أذاك بذاك ؟ ليجيبه محمد: نعم. فقال الضمري: فإنه بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني ، فهم اليوم بمكان كذا ، (و هو المكان الذي وصله المسلمون فعلا) وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا للمكان الذي فيه قريش فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما ؟ فقالا: نحن من ماء، ثم انطلقا.

فلما عادا إلى معسكر المسلمين، خرج علي بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص، إلى ماء بدر فأسروا غلمان ا لقريش يحضرون

الماء منهم أسلم، و هو غلام بني الحجاج وعريض أبو يسار ، و هو غلام بني العاص بن سعيد، فأعادوهم إلى معسكر المسلمين، و كان النبي محمد يصلي، فلستجوبوهما فقالا : نحن سقاة قريش ، بعثونا نسقيهم من الماء. فلم يصدقوهما و ضربوهما. فإضطر الرجلان للكذب و قول أنهما ملك لأبي سفيان، ليطمع المسلمون بالفدية فلا يضربوهم ا. فلما انهى النبي محمد صلاته قال لعلي و أصحابه:إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ، صدقا ، والله إنهما لقريش. أخبراني عن قريش ؟ قالا : هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى فقال لهما النبي : كم القوم ؟ قالا : كثير قال: ما عدتهم ؟ قالا : لا ندري ؛ قال: كم ينحرون كل يوم ؟ قالا : يوما تسعا ، ويوما عشرا ، فقال: القوم فيما بين التسع مئة والألف . ثم قال لهما : فمن فيهم من أشراف قريش ؟ قالا : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدي بن نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن عبد ود .
فخرج النبي محمد إلى المسلمين وقال لهم: هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها.

هروب أبو سفيان بالقافلة و طلبه من قريش العودة

استطاعت "العيون الإسلامية" أن ترصد عملية هروب العير، وأرسل أبو سفيان إلى قريش أن القافلة قد نجت، ولا حاجة لهم في قتال أهل يثرب، لكن أبا جهل أبى إلا القتال، وقال قولته المشهورة: "لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم ثلاثا ننحر الجُزر، ونطعم الطعام، ونشرب الخمر، وتعزف القيان علينا، فلن تزال العرب تهابنا أبدا"، لكنّ "بني زهرة" لم تستجب لهذه الدعوة فرجعت ولم تقاتل.

المعركة:

وصل المشركون إلى بدر ونزلوا العدوة القصوى ، أما المسلمون فنزلوا بالعدوة الدنيا . وقام المسلمون ببناء عريش للرسول على ربوة ، وأخذ لسانه يلهج بالدعاء قائلا : " اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني ؟ اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم فلن تعبد في الأرض " . وسقط ردائه عن منكبيه ، فقال له أبو بكر : " يا رسول الله ، إن الله منجز ما وعدك ".

وقام المسلمون بردم ابار بدر بعد أن اخذوا منه حاجتهم حتى لا يتمكن المشركون من الشرب منه . وقبل أن تبدأ المعركة ، تقدم ثلاثة من رجال قريش وهم : عتبة بن ربيعة ، وأخوه شيبة ، وولده الوليد يطلبون من يبارزهم من المسلمين . فتقدم ثلاثة من الآنصار ، فصرخوا بهم قائلين : " يا محمد ، آخرج إلينا نظراءنا من قومنا من بني عمنا" فقدم الرسول عليه الصلاة والسلام عبيدة بن الحارث ، وحمزة بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب . فبارز حمزة شيبة فقتله ، وبارز علي الوليد فقتله ، وبارز عبيدة عتبة فجرحا بعضهما ، فهجم حمزة وعلي على عتبة فقتلاه . واشتدت رحى الحرب ، وحمي الوطيس .

والتحم الجيشان بعد المبارزة، وقال -عليه الصلاة والسلام-: (قوموا إلى جنة عرضها السمأوات والأرض)، وقام عمير بن الحمام الآنصاري فقال: يا رسول الله جنة عرضها السمأوات والأرض، وألقى بتميرات كانت بيده يأكلها وقال: بخ بخ، وقاتل حتى قُتِل كان أول شهيد في المعركة.

وقاتل الرسول -صلى الله عليه وسلم- قتالاً شديداً، وكان أقرب الناس من العدو وكان من أشد الناس بأسًا،

يقول عبد الرحمن بن عوف: إني لفي الصف يوم بدر، إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأني لم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه: يا عم أرني أبا جهل، فقلت: يا ابن أخي ما تصنع به؟ قال:

عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه، وقال لي الآخر سراً من صاحبه مثله، قال: فما سرني أني بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه فقتلاه، ثم انصرفا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: (أيكما قتله؟) فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، قال: (هل مسحتما سيفيكما؟) فقالا: لا، فنظر -صلى الله عليه وسلم- إلى السيفين فقال: (كلاكما قتله، وهما ابنا عفراء).

وتمكن عبد الرحمن بن عوف من أسر أمية بن خلف، وعندما رآه بلال معه قال: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا، وحاول عبد الرحمن أن يثنيه عن عزمه فلم يستطع، بل استنفر بلال الأنصار فلحقوا به معه وقتلوه.

وعندما طرح قتلى المشركين في القليب، لم يطرح معهم، بل قبر مكانه لتفرق أعضائه، وقتل عمر بن الخطاب العاص بن هاشم بن المغيرة، وانجلت المعركة عن نصر للمسلمين إذ قتلوا سبعين من المشركين، وأسروا سبعين.

ولم يقتل من المسلمين سوى أربعة عشر رجلاً ستةٍ من المهاجرين وثمانيةٍ من الأنصار.

روى البخاري ومسلم وابن إسحاق وغيرهم أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش فقذفوا في طوي من أطواء بدر خبيث مخبَث.

وفي ثالث يوم من بدر مشى وأصحابه حتى قام على القليب، فجعل يناديهم بإسمائهم وإسماء آبائهم يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان: (أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا)، فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : (والذي نفس محمد بيده ما أنتم بإسمعَ لما أقول منهم).

عندما ألقي قتلى المشركين في القليب كان فيهم عتبة بن ربيعة فنظر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى وجه ابنه أبي حذيفة، فإذا هو كئيب قد تغير لونه.

فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء)، فقال: لا والله يا رسول الله، ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكنني كنت أعرف من أبي رأياً وحلمًا وفضلاً فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له أحزنني ذلك، فدعا له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بخير وقال له خيرًا.

العودة إلى المدينة

ثم ارتحل مؤيدا منصورا ، قرير العين بنصر الله له ومعه الأسرى والمغانم فلما كان بالصفراء ، قسم الغنائم وضرب عنق النضر بن الحارث بن كلدة ، ثم لما نزل بعرق الظبية ، ضرب عنق عقبة بن أبي معيط . ودخل النبي المدينة مؤيدا مظفرا منصورا قد خافه كل عدو له المدينة وحولها ، فأسلم بشر كثير من أهل المدينة ، وحينئذ دخل عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه في الإسلام .

الأسرى:

بعد نهاية المعركة وإنتصار المسلمين وأخذ الأسرى إستشار النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه في أمرهم، فأشار عليه عمر بقتلهم ضماناً لقوة الدولة الإسلامية لأنهم يشكلون عامل تحدٍ وخطورة، وهم من صناديد مكة.

وأشار أبو بكر بأخذ الفدية منهم، إذ كان يرى أن في ذلك قوة للمسلمين، وكان يأمل أن يهديهم الله تعالى للإسلام.

وقد أخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- برأي أبي بكر وقد تباين فداء الأسرى، فمن كان ذا مال أُخذ فداؤه، وتتناقص الأموال المأخوذة منهم بعد ذلك

تبعاً لكفاءاتهم المالية، وقد حفظت لنا المصادر نماذج منها، فمن ذلك أنه استوفى من العباس بن عبد المطلب مائة أوقية من الذهب فداءً عنه، ومن عقيل بن أبي طالب ثمانين أوقية، واستوفى من آخرين أربعين أوقية، لكل منهم.

وقد نزل القرآن العظيم بعد ذلك موافقا لرأي عمر وذلك في قوله تعالى: ؟

﴿ الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن
الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق
التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان
المرسلات النبأ النازعات عبس التكوير الانفطار المطففين الانشقاق البروج الطارق
الأعلى الغاشية الفجر البلد الشمس الليل الضحى بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴿ ﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم صدق الله
العظيم بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾
[الآنفال: 67- 70].

لقد نزلت هذه الآيات في عتاب الرسول -صلى الله عليه وسلم- لأنه قبل فداء الأسرى وهم رؤوس الفتنة وأئمة الكفر، إنهم كمجرمي الحرب الذين لا يجوز الإبقاء على حياتهم، وتشير الآية إلى أن الفداء ممكن بعد أن يكون المسلمون قد ثبتوا أقدامهم في الأرض وأقاموا دولة قوية.

وقد أطلق النبي -(ﷺ)- سراح عمرو بن أبي سفيان مقابل إطلاق قريش سراح سعد بن النعمان بن أكال الذي أسره أبو سفيان وهو يعتمر بالبيت العتيق.

وأطلق النبي -(ﷺ)- سراح بعض الأسرى الذين لم يقدروا على دفع شيء، أما الأسرى الذين يعرفون القراءة والكتابة ولم يكن لديهم مقدرة على الفداء فقد جعل فداءهم أن يعلموا عشرة من أبناء الأنصار القراءة والكتابة.

وأرسل النبي -(ﷺ)- زيدَ بن حارثة و عبد الله بن رواحة إلى المدينة ليزفا بشرى النصر، وقد تلقى المسلمون الخبر بسرور بالغ، وقد ذكر أسامة لم يصدق الخبر حتى رأى الأسرى مقرنين.

سمات ومزايا

إن من أبرز سمات تلك المعركة، هو تلاشي الفروق العصبية، والعُبِيَّة الجاهلية، في اللون أو الجنس، إذ أصبح الأمر فيه أمر إسلام وكفر، إسلام من أي لون أو جنس وجد، وكفر من أي بشرة أو أي إقليم كان، حيث التقى في تلك المعركة الأخ مع أخيه، والقريب مع قريبه، أحدهما ينصر الله ودينه، والآخر ينصر قوميته وفخره.

ويعترضنا مشهد آخر من مشاهد تلك المعركة، يتمثل في عظم التوكل على الله، والرضا بقضائه وقدره؛ إذ أراد الرسول وأصحابه عِيْر أبي سفيان : ﴿ الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبإ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ﴾ [الأنفال:7]. يريدون العير، والله يريد القتال والجهاد، ذلك أن الإنسان محدود النظر، قد يرى ولكن في إطار، ويفكر ولكن لا يخرج عن نطاق، فلا يجد إلا التوكل على الله إذ عسى أن يكره شيئا وهو خير له، وعسى أن يحب شيئا وهو شر له، فرب مشتاق إلى مورد ما، والموت لو يعلم في ذلك المورد:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ .

ولم يغب في تلك المعركة موقف الذكاء والفطنة والرأي من المسلمين، مع الأدب والطاعة، حين نزل الرسول أدنى ماء من بدر، فقام الحباب بن المنذر فقال يارسول الله: (أرأيت هذا المنزل. أمنزلا أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه؟ أم هو الحرب والرأي والمكيدة؟) قال رسول الله : ((بل

هو الرأي والحرب والمكيدة))، فقال: (يا رسول الله، إن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم، فننزله ثم نفسد ما وراءه من القُلُب؛ فنشرب ولا يشربون)، فقال رسول الله : ((لقد أشرت بالرأي)) الله أكبر! ما أعظم هذه الكلمات، التي تفوه بها الحباب ! (أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه).

هذا هو الأساس العظيم، الذي قام عليه بناء المسلم فيما مضى من الطاعة المطلقة، والانقياد لما أمر الله به، وأمر به رسوله ، لا تردد ولا تلكؤ، ولا مسأومة ولا تسويف، ولكن إذا أمر الله بأمر فليس لنا أن نتقدمه أو نتأخر عنه، مهما أبدى لنا هوانا البليد وأعاد. فلا مصلحة، ولا حكمة، ولا هوى، بعد أمر الله ورسوله، بل الطاعة والانقياد، بكل حزم وعزم، فهو الرأي والحكمة والمصلحة جميعا، ولا يكون ذلك إلا للذين يحكم الشرع حياتهم، وهم مسلمون لله، مستسلمون لشرعه وأمره، أما الذين يتبعون شهواتهم ورغباتهم، ولا يعنيهم أيرضى الله شيئا أم يسخط عنه، فهم بحاجة إلى تصحيح أصل الإيمان في قلوبهم وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ .

وفي تلك المعركة ـ يأبى الشباب الطموح المتطلع إلى ما عند الله، يأبون إلا أن يصولوا صولتهم، ويجولوا جولتهم من بين صفوف المعركة، لتعلو بذلك كلمة الله من بين ظلال السيوف، ولهج السنابك، يقول عبد الرحمن بن عوف : (بينما أنا واقف في الصف يوم بدر، نظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار، حديثة أسنانهما فغمزني أحدهما فقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل؟ قال: قلت نعم، وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ، والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، قال: فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر، فقال مثلها، قال فلم أنشب أن

نظرت إلى أبي جهل فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه. قال: فابتدراه، فضرباه بسيفهما حتى قتلاه) . الله أكبر! ما أهونَ الخلق على الله صنديد من صناديد قريش، وعظيم من عظمائها، يأبى الله إلا أن يكون حتفه على يد شابين يافعين. فأين أنتم يا شباب الإسلام من تلك الطموحات؟! ماذا سجلتم لأمتكم؟! وماذا عساكم أن تفعلوا بشبابكم وفراغكم وجدتكم؟! وما مدى صلتكم بتاريخ آبائكم وأجدادكم؟! الذين صنع الله على أيديهم البطولات. عودوا إلى تاريخكم فالعود أحمد، وتجنبوا مكر الشيطان ولو أرغى وأزبد.

إسماء شهداء بدر الكبرى

١. عمير أبن أبي وقاص
٢. ذو الشمالين بن عبد عمرو.
٣. صفوان بن وهب .
٤ مهجع بن صالح .
٥ عاقل بن البكير .
٤. عبيدة بن الحارث .
٥. سعد بن خيثمة .
٦. مبشر بن عبدالمنذر .
٧. حارثه بن سراقة .
٨. رافع بن المعلاء .
٩. عمير بن الحمام
١٠. يزيد بن الحارث
١١. معوذ بن الحارث .
١٢. عوف بن الحارث .

حالة قريش بعد بدر:

امتلأت مكة بالغيظ والحزن، فقد هزمهم المسلمون، وقتلوا أشرافهم، ولم تكن قريش تتوقع أن تنال مثل هذه الهزيمة من المسلمين، فهذا أبو لهب -ولم يشهد بدرًا- يرى أبا سفيان بن الحارث قادمًا فيسرع إليه ويقول له -وهو يريد أن يفهم كيف هزم المسلمون قومه وهم أكثر منهم-: يابن أخي! أخبرني كيف كان أمر الناس؟

فقال أبو سفيان: والله ما هو إلا أن لقينا القوم، فمنحناهم أكتافنا يقودوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، وايم الله (يمين الله) مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالا بيضًا، على خيل بلق (لونها بياض وسواد) بين السماء والأرض، فقال رافع مولى العباس بن عبد المطلب -وكان مسلمًا يكتم إسلامه-: تلك والله الملائكة، فإذا بالغيظ يملأ وجه أبي لهب، فرفع يده وضرب أبا رافع على وجهه ثم حمله وضرب به الأرض، ثم برك عليه يضربه، فقامت أم الفضل -زوجة العباس عم الرسول (ﷺ)- إلى عمود من عمد الحجرة، فأخذته فضربت به أبا لهب ضربة أصابته في رأسه، وقالت: استضعفتَه أن غاب عنه سيده، فقام أبو لهب موليًا ذليلا، وما عاش بعد ذلك إلا سبع ليال حتى أصابه الله بمرض خطير فقتله.

مؤامرة عند الكعبة:

وعند أحد أركان الكعبة، كان يجلس اثنان من كبار المشركين هما: صفوان بن أمية، وعمير بن وهب يتذكران قتلاهما في بدر، وأسراهما في المدينة، فاتفقا أن يذهب عمير بن وهب إلى المدينة متظاهرًا بفداء ابنه الأسير وهب، ثم يضرب الرسول (ﷺ) بالسيف فيقتله ويثأر للكفار منه، ووعده صفوان بن أمية برعاية أبنائه وزوجته من بعده إذا أصابه مكروه.

وعندما وصل المدينة رآه عمر متوشحًا سيفه فقال: هذا عدو الله عمير بن وهب والله ما جاء إلا لشر، ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله،

هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحًا سيفه، قال: فأدخله علِيٌّ، فأقبل عمر فأمسكه وقيده وأمسك سيفه، وقال لرجال من الأنصار: ادخلوا على رسول الله (ﷺ) فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون، ثم دخل به على رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله (ﷺ) وعمر آخذ سيفه في عنقه قال: (أرسله يا عمر، ادن يا عمير).

فدنا ثم قال: انعموا صباحًا -وهي تحية أهل الجاهلية- فقال رسول الله (ﷺ): (قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، تحية أهل الجنة)..

فقال: أما والله يا محمد أن كنت بها لحديث عهد. قال: (فما جاء بك يا عمير؟)

قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم، فأحسنوا فيه.

فقال (ﷺ): (فما بال السيف في عنقك؟)

قال عمير: قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئًا؟

قال (ﷺ): (اصدقني، ما الذي جئتَ له؟)

قال: ما جئتُ إلا لذلك.

قال (ﷺ): (بل قعدتَ أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش (قتلاهم في بدر) ثم قلت: لولا دَيْن علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمدًا، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك).

قال عمير: أشهد أنك رسول الله، وقد كنا نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق، وشهد عمير شهادة الحق ودخل في دين الإسلام، فقال رسول الله (ﷺ): (فقهوا أخاكم في دينه وأقرئوه شيئاً من القرآن، وأطلقوا له أسيره). ففعلوا.

ثم قال عمير: يا رسول الله، إني كنت جاهدًا على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله تعالى وإلى رسول الله ﷺ وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم وإلا آذيتهم في دينهم، كما كنت أوذي أصحابك في دينهم. فأذن له رسول الله (ﷺ)، فذهب إلى مكة، وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب يقول: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل الركبان عن عمير، حتى قدم رجل فأخبره بإسلامه، فحلف ألا يكلمه أبدًا، ولما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويؤذي من خالفه أذى شديدًا، فأسلم على يديه كثيرون. _[ابن إسحاق].

عوامل النصر في بدر

يرجع النصر بعد الله سبحانه وتعالى إلى عدة أمور منها:

١. الرغبة الشديدة في نيل الشهادة. مثل موقف عمير بن الحمام :الذي قال - وبيده تمرات يأكلهن- .. بخ .. بخ.. أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رضي الله عنه وأرضاه.

و عوف بن الحارث أبن عفراء الذي قال يا رسول الله ﷺ ما يضحك الرب من عباده؟ قال غمسه يده في العدو حاسراً .فنزع درعاً كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رضي الله عنه وأرضاه .

٢. الانضباط التام والطاعة الكاملة لأوامر الرسول القائد .

٣. اختيار القائد أساليباً تكتيكية جديدة في التحرك والاصطفاف غير معروفة لدى الخصم له أثره في الانتصار.

٤. صدق القيادة وحكمتها وتكاتفها مع الجنود من خلال مشاركتهم في المعركة يكون لها دافع أيضا في ارتفاع الروح المعنوية كما شارك النبي (ﷺ) الجنود في تحمل تعب المعركة .

٥. حسن تعامل القائد مع الجنود أيضا يكون له الأثر الكبير على نفوس الجنود كما فعل (ﷺ).

٦. القيادة والتخطيط والتنفيذ وإدارة المعركة من أسباب النصر بعد الله سبحانه وتعالى .

برلين

"دخلت معركة برلين سجل جينيس للأرقام القياسية بوصفها اكبر معركة في تاريخ البشرية".

و"كانت بمثابة المسمار الاخير الذي دق في نعش المانيا الهتلرية التي تكالبت عليها كل دول العالم وانهكت قواها في المعارك السابقة ابتداءا من العلمين ومرورا بستالينغارد ، فحسمت بذلك الحرب العالمية الثانية لصالح الحلفاء وقلبت موازين القوى وغيرت وجه التاريخ، فبعد ان كانت المانيا هي الدولة الأولى عسكريا في العالم ، تقاسم الروس والامريكان السيطرة على العالم وبدأت مرحلةالحرب الباردة بين الامريكان والروس حيث اقتسموا النفوذ والسيطرة على العالم ،بعد ان طردوا الإنجليز من كافة المناطق في الخمسينيات، وإستمر الحال على هذا المنوال حتى سقوط الاتحاد السوفييتي في أوائل التسعيننيات من القرن الماضي، فاستفردت الولايات المتحدة بالسيطرة على العالم"ﷺ.

التاريخ : 16 نيسان - 2 ايّار 1945

الاطراف المتحاربة": ألمانيامن جهةوالاتحاد السوفيتي وبولندا من جهة آخرى

عدد المقاتلين والقادة:

-المانيا: بقيادة هتلر ومجموعة من القادة العسكريين

روسيا وبولندا : بقيادة ستالين مجموعة من القادة العسكريين. كان مجموع قوات الجبهات الثلاث السوفيتية 2,5 مليون رجل (منهم 78,556 جندي من الجيش البولندي الأول)، و 6,250 دبابة، 7,500 طائرة، 41,600 قطعة مدفعية ومدافع مورتر، 3,255 عربة تحمل منصات إطلاق صواريخ كاتيوشا. و 95,383 عربة.

الخسائر

خسرت القوات السوفيتية في عملية الهجوم على برلين وما صاحبها من معارك مثل معركة مرتفعات الزيلو ومعركة الهالبه حوالي 81.116 طبقا لبحث لغريغوري كريفوشيف الذي اعتمد فيه على معلومات سرية مفرج عنها من الأرشيف السوفيتي. بينما كانت التقديرات الغربية أعلى من ذلك بكثير. وأبلغ عن 280.251 جندي مجروح خلال العملية. وتتضمن كل هذه الأرقام الجنود البولنديين الذين قُتل أوفُقد منهم 2.825 و جُرح 6.067. وكلفت العملية السوفيت حوالي 2.000 عربة مدرعة، على الرغم من ذلك فـأن الرقم النهائي غير معروف. وقدرت المصادر السوفيتية خسائر الألمان بـ 458.080 قتيل و 479.298 أسيرولا يُعرف حتى الآن عدد المدنيين القتلى.

نتيجة المعركة : نصر حاسم للسوفيت والحلفاء

إستمرت عملية برلين 23 يوما- من 16 نيسان حتى 8 ايّار عام 1945. تواصلت معارك الشوارع في برلين ليل نهار، للسيطرة على كل بناية في المدينة. اما القتال من اجل إحتلال مبنى الرايخستاغ فقد استمر طوال الأول من ايّار. ولم تُلقِ حامية المبنى السلاح إلا في اليوم التالي، حيث اذنت القيادة الالمانية بالاستسلام.

ودخلت معركة برلين سجل جينيس للأرقام القياسية بوصفها اكبر معركة في تاريخ البشرية. فقد استخدم فيها كلا الطرفين 52 ألفً من المدافع الثقيلة والهأونات،و 7 آلاف و750 دبابة و 11 ألف طائرة. وشارك فيها حوالى 3 ملايين و500 الف شخص. ودارت رحى المعركة من أوآخر نيسان 1945 حتى أوائل ايّار وكانت واحدة من أكثر المعارك دموية في التاريخ.

وقام أدولف هتلر ومعه الكثير من اتباعه بالآنتحار قبل نهاية المعركة. واستسلمت القوات الألمانية تحت وطأة الحصار في 2 ايّار. ولكن القتال استمر

في الشمال الغربي، الغرب والجنوب الغربي من المدينة حتى نهاية الحرب في أوروبا في 8 ايّار (9 ايّار في الاتحاد السوفيتي). وقد فضلت الوحدات الألمانية المتمركزة غرباً قتال السوفيت حتى يستسلموا للحلفاء الغربيين الذين لم يخوضوا المعركة أملاً في معاملة أفضل.

مقدمة

في 12 كانون ثاني 1945، بدأ الجيش الأحمر هجوم الفيستولا - الأودر من وارسو عبر نهر ناريف. وهي عملية استمرت ثلاثة أيام على جبهة عريضة تضمنت أربع مجموعات جيوش. وفي اليوم الرابع، بدأ الجيش الأحمر التحرك غرباً بسرعة 30 إلى 40 كيلومتر في اليوم تقريباً قاطعاً دول البلطيق، غدانسك، شرق بروسيا و بوزنان، ر اسماً خطاً يبعد 60 كيلومتر شرق برلين ومحاذياً لنهر أودر.

حأولت مجموعة جيوش فيستولا المتكونة حديثاً تحت قيادة رئيس وحدات النخبة النازية هاينريش هيملر، القيام بهجوم مضاد ولكنها فشلت بحلول يوم 24 شباط. فتقدم الجيش الأحمر إلى بوميرانيا، مؤمناً الضفة اليمنى لنهر الأودر وواصلاً إلى سيليزيا.

وفي الجنوب حمى وطيس معركة بودابست. وفشلت ثلاثة محأولات ألمانية لفك الحصار عن العاصمة المجرية وسقطت في يد السوفيت في 13 شباط. وقام الألمان بهجوم مضاد مرة آخرى، وأصر أدولف هتلر على استعادة نهر الدانوب الذي كانت استعادته مستحيلة. وفي 16 آذار، فشل الهجوم الألماني على بحيرة بلاتون واستعاد السوفيت بهجومهم المضاد الذي إستمر 24 ساعة كل ما اكتسبه الألمان في 10 أيام. وفي 30 آذار، دخل السوفيت النمسا واستولوا على فيينا في 13 نيسان.

وكان من الواضح حينها أن هزيمة الرايخ الثالث لم يتبقى لها إلا أسابيع قليلة. وفقد الجيش الألماني (الفيرماخت) ما بين حزيران وايلول 1944 أكثر من مليون رجل وشح الوقود والذخيرة[16]. ولكن هتلر قرر البقاء في المدينة على الرغم من نصائح مستشاريه. وفي 12 نيسان، سمع هتلر بخبر وفاة الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت . وقد أعط اه هذا أملاً زائفاً بحدوث انشقاق بين الحلفاء، يمكّن برلين من النجاة في آخر لحظة كما حدث من قبل خلال ما يُطلق عليه "معجزة البراندينبرغ..

ولم يقدم الحلفاء الغربيون على أي تحرك لمساعدة السوفيت لدخول برلين. وكان لديهم العديد من التبريرات. الجنرال الأمريكي أيزينهاور اعتبر أن برلين ستكون في نطاق النفوذ السوفيتي بعد الحرب لذلك لا داعي للتضحية بأرواح الجنود الأمريكيين.، كما أنه خاف من "النيران الصديقة" التي يمكن أن تصيب جنوده عند دخولهم المدينة. وكانت المشاركة الغربية الوحيدة الواضحة لهزيمة عاصمة النازية هي القصف الجوي الاستراتيجي خلال عام 1945 الذي قامت به القوات الجوية الأمريكية والقوات الجوية الملكية البريطانية. وانتهت هذه الغارات ليلة 20/21 نيسان قبل دخول السوفيت للمدينة.

التحضير للحرب

كان للهجوم السوفيتي على وسط ألمانيا - الذي أصبح فيما بعد ألمانيا الشرقية - هدفين. كان ستالين يريد أن يقابل جيوش الحلفاء الغربيين في أبعد نقطة في الغرب للسيطرة على أكبر مساحة ممكنة من ألمانيا لذلك حارب على جبهة واسعة تضمنت أربع مجموعات جيوش. والهدف الثاني والأهم بالنسبة له كان السيطرة على برلين، ولذلك كان الهدفان متكاملين لأن السيطرة على أكبر مساحة من الأرض تتطلب سقوط برلين في يده. كما أن برلين تحوي الكثير من الأسرار والوثائق منها وثائق البرنامج النووي الألماني لتصنيع القنبلة الذرية.

وفي 6 آذار، عين هتلر الفريق هيلموت ريمان كقائد لمنطقة برلين الدفاعية مكان الفريق فون هأوينسشيلد.

وفي 20 آذار، عُين اللواء غوتهارد هاينريكي قائداً لمجموعة جيوش فيستولا بدلاً من قائد وحدات النخبة النازية هاينريش هيملر. وكان هاينريكي واحداً من أفضل المخططين الدفاعيين في الجيش الألماني. وبدأ فوراً في إعداد الخطط الدفاعية. وكان افتراضه صحيحاً بأن الهجوم السوفيتي الرئيسي سيكون على نهر الأودر وعلى طول طريق الأوتوبان الرابط بين شرق وغرب ألمانيا. وقرر هاينريكي عدم الدفاع عن ضفاف نهر الأودر وأكتفى بترك قوة مناوشة صغيرة.وبدلاً من الدفاع عن النهر، أمر المهندسين بتقوية مرتفعات الزيلو المشرفة على النهر في موقع يعبره طريق الأوتوبان. وكان هذا الموقع على بعد حوالي 17 كيلومتر غرب الأودر و 90 كيلومتر شرق برلين. وقلل هاينريكي من قواته في الأماكن الآخرى لتركيز الجنود على المرتفعات. وحول المهندسون الألمان نهر الأودر، الذي كان حينها مليئاً بماء الربيع الذائب من جليد الشتاء، إلى مستنقع بتوجيه الماء إلى خزان مائي. وخلف النهر بنى المهندسون ثلاثة أحزمة من التحصينات الدفاعية. ووصل طول هذه التحصينات إلى أطراف برلين. وتكونت هذه الخطوط من خنادق مضادة للدبابات، مدافع مضادة للدبابات، وشبكة كثيفة من الخنادق والأقبية المحصنة.

وفي 9 نيسان، وبعد مقاومة طويلة سقطت كونغسبيرغ - الواقعة في شرق بروسيا - في يد الجيش الأحمر . وأعطى ذلك فرصة للمشير روكوسوفسكي قائد الجبهة البيلاروسية الثانية للتحرك غرباً ناحية نهر الأودر.

وركز المشير غيورغي جوكوف جبهته البيلاروسية الأولى - التي كُلفت بالقتال على طول نهر الأودر من فرانكفورت في الجنوب إلى البحر البلطيقي - في مساحة أمام مرتفعات الزيلو. وبينما كانت إعادة تجميع القوات السوفيتية

تجري، تكونت ثغور بين الخطوط وتمكنت بقايا الجيش الثاني الألماني بقيادة اللواء دايتريش فون سأوكين، التي تجمعت في منطقة قرب غدانسك، من الهرب إلى دلتا الفيستولا. وفي الجنوب، حول المشير كونيف معظم قوات الجبهة البيلاروسية الأولى من سيليزيا العليا إلى نهر نايسه إلى الشمال الغربي.

وكان مجموع قوات الجبهات الثلاث السوفيتية 2,5 مليون رجل (منهم 78,556 جندي من الجيش البولندي الأول)، و 6,250 دبابة، 7,500 طائرة، 41,600 قطعة مدفعية ومدافع مورتر، 3,255 عربة تحمل منصات إطلاق صواريخ كاتيوشا. و 95,383 عربة.

معركة النايسه ـ الأودر

كانت البقعة التي شهدت المعركة الرئيسية هي مرتفعات الزيلو، الخط الدفاعي الرئيسي الأخير خارج برلين.وكانت هذه المعركة التي استغرقت أربعة أيام من 16 نيسان إلى 19 نيسان هي آخر معركة أرضية في الحرب العالمية الثانية. واشترك في هذه المعركة من الجانب السوفيتي مليون رجل تقريباً وأكثر من 20,00 دبابة وقطعة مدفعية لاختراق الخط الدفاعي الألماني الذي كان يحرسه حوالي 100,000 جندي و 1,200 دبابة ورشاش .وكسب السوفيت المعركة بقيادة جوكوف وخسروا حوالي 30,000رجل بينما خسر الألمان 12,000 .

وفي 19 نيسان، اليوم الرابع للمعركة، اخترقت الجبهة البيلاروسية الأولى آخر خط في دفاعات مرتفعات الزيلو ولم يكن هناك ما يحول بينهم وبين برلين إلا شراذم متفرقة من القوات الألمانية. وكانت الجبهة البيلاروسية الأولى تتجول في البلاد بعد أن استولت على فورشت في اليوم السابق. وقام جيش الحرس الثالث بقيادة غوردوف و جيشا الدبابات الثالث والرابع بقيادة كلا من ريبالكو و ليليشينكو على التوالي بالهجوم شمال شرق ناحية برلين بينما توجهت

الجيوش الباقية غرباً إلى قطاع يوجد فيه خط جبهة للجيش الأمريكي على نهر إلبو. وكانت الجيوش السوفيتية بهذا التحرك تفصل بين مجموعة جيوش فيستولا في الشمال وبين مجموعة الجيوش المركزية الألمانية في الجنوب. وفي نهاية هذا اليوم، إنتهى وجود الجبهة الألمانية الشرقية الممتدة من شمال فرانكفورت حول مرتفعات الزيلو إلى الجنوب حول فورشت. ومكنت هذه الاختراقات الجبهات السوفيتية من محاصرة الجيش التاسع الألماني في منطقة واسعة غرب فرانكفورت. وأدت محأولات الجيش التاسع الألماني للهرب للغرب إلى معركة الهالبه. وكانت خسائر السوفيت فادحة بين 1 نيسان و 19 نيسان، أكثر من 2.807 دبابة منها حوالي 727 في معركة الزيلو.

في يوم عيد ميلاد هتلر ، 20 نيسان، بدأت مدفعية الجبهة البيلاروسية الأولى في قصف وسط برلين ولم تتوقف حتى استسلمت المدينة، (وكان وزن متفجرات المدفعية السوفيتية أثقل من الحمولة التي قذفتها قاذفات الحلفاء الغربيين) واخترقت الجبهة البيلاروسية الأولى التشكيلات الأخيرة للجناح الشمالي لمجموعة الجيوش المركزية أثناء تقدمها ناحية شرق وشمال شرق المدينة وعبروا شمال يوتربوغ حتى وصلوا قرب الخطوط الأمريكية الأمامية على نهر إلبو في ماغديبورغ. وفي الشمال بين شتاتين وشفيدت، هاجمت الجبهة البيلاروسية الثانية الجانب الشمالي لمجموعة جيوش فيستولا التابعة لجيش الدبابات الثالث بقيادة هاسو فون مانتيفيل. وخلال اليوم التالي، تقدم جيش دبابات الحرس السوفيتي الثاني بقيادة بوغدانوف حوالي 50 كيلومتر شمال برلين. ووصلت وحدات سوفيتية آخرى على حدود المدينة، وكانت خطة السوفيت هي حصار برلين تمهيداً لحصار الجيش التاسع الألماني.

وانتقلت قيادة الفيلق الخامس تلقائياً من جيش الدبابات الرابع إلى الجيش التاسع عندما وقع في الحصار مع الجيش التاسع شمال فورشت. وكان الفيلق لا

يزال يرابط على الطريق السريع الرابط ما بين برلين و كوتبس. وعندما حقق الجانب الجنوبي لجيش الدبابات الرابع بعض النجاحات في صد هجمات الجبهة البيلاروسية الأولى، قام هتلر بإصدار أوامر أظهرت فقدانه لمهارته العسكرية، فقد أمر الجيش التاسع بالتمركز في كوتبس وتكوين جبهة غربية . ثم عليهم مهاجمة القوات السوفيتية المتجهة شمالاً. وكانت هذه الجبهة طرف الكماشة الشمالي الذي سيطبق مع جيش الدبابات الرابع القادم من الجنوب على الجبهة الأوكرانية الأولى. وكان عليهم إنتظار هجوم جنوبي من جيش الدبابات الثالث ثم الإستعداد للتحول لطرف كماشة جنوبي لتطويق الجبهة البيلاروسية الأولى التي سيتم تدميرها بواسطة مفرزة (أكبر من فيلق وأصغر من جيش) تتقدم من شمال برلين بقيادة لواء وحدات النخبة النازية فيليكس شتاينر . وعندما أوضح شتاينر أنه لا يملك فرق الجيش الكافية للهجوم، قام هيانريكي بالاتصال بقادة أركان هتلر وقال لهم إنهم إذا لم يسحبوا الجيش التاسع في أسرع وقت ف أنه سيُحاصر بين الجبهتين البيلاروسية والأوكرانية وأنه قد فات أوان تحركه إلى الشمال الغربي إلى برلين ويجب عليه التحرك غرباً. وذهب هاينريكي إلى حد التهديد بأنه سيطلب من هتلر التنحي إذا لم يأمر بتحرك الجيش التاسع غرباً.

وفي 22 نيسان، كان هتلر في حالة يرثى لها من الغضب الممزوج بالدموع في اجتماع تقييم الحالة عندما أدرك أن خطط اليوم السابق لم يكتب لها النجاح. وأعلن أنه خسر الحرب وقرر البقاء في برلين حتى النهاية ثم الآنتحار. وفي محأولة لآخراج هتلر من غضبه، اقترح اللواء ألفرد يودل سحب الجيش الثاني عشر الألماني الذي يقوده اللواء فالتر فانك من الغرب للتوجه إلى برلين مادام الأمريكيين لن يكونوا ليتقدموا أكثر من موقعهم على نهر الألبه. وتعلق هتلر بالفكرة وفي ساعات أُمر فانك بفك الاشتباك مع الأمريكيين والتحرك بجيشه إلى الشمال الشرقي إلى برلين. وتم حينها إدراك أنه إذا تحرك الجيش

التاسع غرباً فلنه سيلتحم مع الجيش الثاني عشر. وفي المساء أعطى هاينريكي الأمر بالالتحام.

وبعيداً عن غرفة الخرائط وتخيلات قادة الأركان في مقر الفوهرر، كان السوفيت يكسبون المعركة فعلياً على الأرض. فقد قامت الجبهة البيلاروسية الثانية بإنشاء رأس جسر على الضفة الشرقية لنهر الأودر وعبرت مسافة 15 كيلومتراً وكانت مشتبكة بضراوة مع جيش الدبابات الثالث. وخسر الجيش التاسع كوتبس وتقدمت دبابات سوفيتية كرأس حربة على نهر الهافل إلى شرق برلين واخترقت دبابات آخرى الحلقة الدفاعية الداخلية لبرلين.

علق احد المراسلين الحربيين السوفيت على المعركة بأسلوب الصحافة الروسية الحماسي المعروف أثناء الحرب العالمية الثانية عندما أصبحت برلين في مدى قذائف المدفعية السوفيتية :قائلا" رأينا على جدران البيوت نداءات غوبلز التي كُتبت بعُجالة بطلاء أبيض: "سيدافع كل ألماني عن عاصمته. سندحر الجحافل الحمراء على أسوار مدينتنا. فقط حاولوا أن توقفوهم!"

ورصت الحواجز، الألغام، الشراك، الفرق الآنتحارية بقنابلهم اليدوية ممسوكة بأيديهم في إنتظار الهجوم.

وبدأت السماء تمطر قليلاً، ورأيت بطاريات الصواريخ قرب بيسدورف تستعد لإطلاق النار.

"ماهي هي الأهداف؟" سألت قائد البطاريات.

أجابني "وسط برلين، كباري شبري، وشمال برلين ومحطة قطارات شتاتين"ثم جاءت الأوامر من القيادة "اقصفوا عاصمة ألمانيا الفاشية."

ونظرت في الساعة فكانت 8:30 صباحاً، يوم 22 نيسان. وسقطت ستة وتسعون قذيفة مدفع على وسط برلين خلال بضع دقائق.

وفي 23 نيسان، ضيقت الجبهتان البيلاروسية والأوكرانية الخناق على برلين، وقطعت آخر ارتباط بين الجيش التاسع والعاصمة . واستمرت عناصر من الجبهة البيلاروسية الأولى في التحرك غرباً وبدأت في الاشتباك مع الجيش الألماني الثاني عشر الذي كان متجهاً إلى برلين. وفي نفس اليوم، عين هتلر اللواء هيلموت فايدلنغ كقائد لمنطقة برلين الدفاعية مكان الفريق ريمان. وبحلول 24 نيسان أكملت عناصر من الجبهتين البيلاروسية والأوكرانية الحصار على المدينة. وفي اليوم التالي 25 نيسان، دُعمت منشآت الحصار بوحدات سوفيتية كبيرة تقوم بالبحث عن مداخل قطارات الأنفاق واختراقها. وفي نهاية اليوم انهارت الدفاعات الألمانية الرئيسية ولم يكن هناك شئ يحول دون دخول السوفيت للمدينة إلا دفاعات يمكنها فقط تأخير الدخول لأن السوفيت كسبوا المعارك الحاسمة خارج المدينة.

المعركة في داخل برلين

كانت القوات المتاحة لفايدلينغ للدفاع عن المدينة مكونة من العديد من فرق الجيش الألماني وفرق وحدات النخبة النازية المقاتلة (فافين) (بالألمانية: Waffen-SS)، وكان تعداد جميع القوات حوالي 45.000 رجل . وكانت هذه الفرق مدعمة بقوات الشرطة، والصبيان الصغار في منظمة شباب هتلر، وجيش الشعب (بالألمانية: Volkssturm) (فولكس شتورم) . وكان العديد من الرجال الكبار في الفولكس شتورم مقاتلين سابقين في الجيش وبعضهم كان من قدامى المحاربين الذين شاركوا في الحرب العالمية الأولى. وكان لدى قائد حي وسط المدينة، عميد وحدات النخبة النازية فيلهلم مونكه، أكثر من 2.000 رجل تحت قيادته . وقسم فايدلينغ المدينة إلى ثمانية أقسام، كل قسم يقوده عقيد أو لواء، ولكن لم يمتلك معظمهم خبرة قتالية سابقة. وفي غرب المدينة كانت ترابط فرقة المشاة العشرون. وفي الشمال فرقة المظلات التاسعة . وفي الشمال

الشرقي فرقة دبابات مونخيبورغ. وفي الجنوب الغربي شرق مطار تيمبلهوف فرقة المشاة الميكانيكية الحادية عشر التابعة لوحدات النخبة النازية المسماه نوردلاند Nordland (أي أراضي الشمال).وكانت فرقة المشاه الميكانيكية الثامنة عشر التابعة للاحتياط ترابط في حي وسط برلين.

وكان مصير برلين قد حُسم منذ أن ربح السوفيت المعارك الحاسمة خارج المدينة، وعلى الرغم من ذلك فقد استمر الألمان في المقاومة.

وفي 23 نيسان، هاجم جيش الصاعقة الخامس بقيادة نيقولاي بيرزارين و جيش دبابات الحرس الأول بقيادة ميخائيل كاتوكوف برلين من الجنوب الشرقي وبعد أن صدا هجوم مضاد بواسطة فيلق الدبابات الألماني السادس والخمسين ووصلا في مساء يوم 24 نيسان إلى حلقة السكك الحديدية لقطارات الآنفاق في الجانب الشمالي من قناة التيلتوف. وفي نفس الوقت، أمر هتلر كل القوات الألمانية بإعادة تقوية الدفاعات الداخلية، ولكن لم يصل إلى برلين سوى وحدات من المتطوعين في وحدات النخبة النازية الفرنسية تحت قيادة العميد غوستاف كروكينبورغ. وفي يوم 25 نيسان، عُين كروكينبورغ كقائد للقطاع الدفاعي ج، وكان قطاع ج هو أكثر قطاع يعاني من الضغط السوفيتي لدخول المدينة.

وفي 26 نيسان، عُين لواء المدفعية هيلموت فايدلينغ كقائد لمنطقة برلين الدفاعية. وشق جيش الحرس الثامن بقيادة فاسيلي تشيكوف وجيش دبابات الحرس الأول طريقهما عبر الضواحي الجنوبية وهاجما مطار تيمبلهوف، ووصلا إلى حلقة قطارات الآنفاق الدفاعية، حيث واجها مقاومة شرسة من فرقة مينخيبورغ. ولكن بحلول يوم 27 نيسان، واجهت فرقتا المينخيبورغ والنوردلاند الضعيفتان اللتان تدافعان عن الجنوب الشرقي خمسة جيوش سوفيتية - من الشرق إلى الغرب: جيش الصاعقة الخامس، جيش الحرس

الثامن، جيش دبابات الحرس الأول، وجيش دبابات الحرس الثالث بقيادة بافيل ريبالكو. ولذلك تراجعت فرقتا المينخيبورغ والنوردلاند إلى وسط المدينة حيث اتخذا مواقع دفاعية جديدة حول هيرمانبلاتز. وأبلغ كروكينبورغ في الحال اللواء هانز كريبس قائد قيادة أركان القيادة العليا للجيوش الألمانية أنه في خلال 24 ساعة سيتوجب على فرقة النوردلاند التراجع إلى قطاع وسط المدينة.

وكانت القوات السوفيتية تتقدم إلى وسط المدينة على المحاور الرئيسية التالية: من الجنوب الشرقي، على طول الفرانكفورتر إليه (وينتهي عند ألكسندربلاتز)؛ من الجنوب عبر سونين إليه وينتهي شمال بيل أليانس بلاتز، من الجنوب وينتهي عند بوتسدامر بلاتز ومن الشمال وينتهي قرب الرايخستاغ. وكانت الأماكن التي شهدت أعنف المعارك هي الرايخستاغ، جسر ملتكه، ألكسندربلاتز و جسور هافل في شباندأو، وكان القتال من بيت إلى بيت وفي الشوارع.

وقاتلت الوحدات الأجنبية التابعة لوحدات النخبة النازية بشراسة لأنها كانت ذات عقيدة ومبدأ كما أعتقدوا أنهم سيقتلون لو وقعوا في الأسر.

السيطرة على الرايخستاغ

في الساعات الأولى من صباح 29 نيسان، عبر جيش الصاعقة السوفيتي الثالث جسر ملتكه وبدأ بالتجول في الشوارع والمباني المحيطة. وكان لغياب المدفعية أثراً كبيراً على سرعة تقدم الهجمات الأولى على المباني التي تضمنت مبنى وزارة الداخلية. ولم تتدخل المدفعية حتى تم اصلاح الجسر المدمر. وفي الساعة الرابعة صباحاً بمقر الفوهرر، كتب هتلر وصيته الأخيرة ثم تزوج من إيفا براون. وبحلول الفجر كثف السوفيت هجماتهم من الجنوب الشرقي. وبعد قتال عنيف تمكنوا من إحتلال مقر الغيستابو في شارع برينز-ألبريخت ولكن السوفيت أُجبروا على التراجع من المبنى تحت ضغط الهجوم المضاد الذي

قامت به وحدات النخبة النازية المقاتلة فافين. وفي الجنوب الغربي بدأ جيش الحرس الثامن هجومه ناحية الشمال عبر قناة لاندفير إلى تايرغارتين.

وبحلول اليوم التالي، 30 نيسان، تمكن السوفيت من إعادة بناء الجسور المحطمة وبمساندة المدفعية هاجموا الرايخستاغ في الساعة السادسة صباحاً. ولم يتمكن السوفيت من دخول المبنى حتى المساء بسبب الخنادق الألمانية حول المبنى ومساندة مدافع عيار 88 مل الموجودة على أبراج المدفعية المضادة للطائرات في حديقة حيوان برلين التي تبعد كيلومترين عن الرايخستاغ. ولم يكن مبنى الرايخستاغ مستخدماً منذ عام 1934 عندما أمر هتلر بحرقه وكان المبنى من الداخل بشبه كومة ركام. واستغل الألمان هذا أحسن استغلال واعتمدوا اعتماداً كبيراً على الأنتظار في الخنادق والحفر وبين الركام. وطارد السوفيت الألمان داخل المبنى من غرفة إلى غرفة واستغرقت هذه المطاردات يومين حتى سيطر السوفيت تماماً على الرايخستاغ.

السيطرة على وسط المدينة

خطوط الجبهات في 1 ايّار

خلال الساعات الأولى من صباح يوم 30 نيسان، أبلغ فايدلينغ هتلر شخصياً أن المدافعين عن المدينة ستنفذ ذخيرتهم بحلول الليل. فاعطاه هتلر الأذن بمحأولة الهروب عبر خطوط الجيش الأحمر التي تحاصر برلين. وفي عصر هذا اليوم، انتحر هتلر وإيفا وأُحرقت جثتيهما في مكان ليس ببعيد عن مقر الفوهرر. وكان هتلر قد أوصى في وصيته الأخيرة برئاسة البلاد للواء بحري كارل دونتز في حكومة فلنسبورغ، وبالمستشارية لغوبلز.

وعندما عبر السوفيت الخطوط الدفاعية وتراجع المدافعون، تركزوا في منطقة صغيرة في وسط المدينة. وكانوا حوالي 10.000 جندي ألماني، تمت مهاجمتهم من جميع الجهات. وعلى جانب آخر دكت المدفعية السوفيتية مبنى وزارة الطيران المبني من الخرسانة المسلحة. وتراجعت كتيبة دبابات التايغر الألمانية من مواقعها شرق تايرغارتين للدفاع عن وسط المدينة ضد جيش الحرس الثالث بقيادة كوتزنيتسوف وضد جيش الحرس الثامن الذي يتقدم من جنوب تايرغارتين. وقامت هذه القوات السوفيتية بقطع المنطقة التي تشبه الهلال التي يمسك بها الألمان إلى نصفين وجعلوا الهروب إلى الغرب أكثر صعوبة.

وفي الساعات الأولى من يوم 1 ايّار، جرت محادثة بين كريبس و اللواء تشيكوف، قائد جيش الحرس الثامن السوفيتي واخبره بموت هتلر ورغبته في إجراء مفأوضات الاستسلام النهائي للمدينة. ولكنهم لم يتوصلوا لاتفاق بسبب إصرار السوفيت على الاستسلام غير المشروط وادعاء كريبس بعدم امتلاكه صلاحية ذلك. وفي عصر هذا اليوم انتحر غوبلز وعائلته ،وكان غوبلز هو العقبة الوحيدة أمام فايدلينغ لإعلان الاستسلام غير المشروط..

السقوط والاستسلام

وفي ليلة 1/2 ايّار، حاول معظم الجنود الألمان عبور الخطوط السوفيتية للهرب من وسط المدينة في ثلاثة إتجاهات مختلفة. ونجح فقط الجنود الذين اتجهوا غرباً عبر تايرغارتين وعبروا على جسر الشارلوتين (بالألمانية: Charlottenbrücke) (على نهر الهافل) للوصول إلى شباندأو. وعلى الرغم من نجاحهم في الهرب والوصول إلى شباندأو، إلا أن القلة التي عبرت أولاً هي التي نجحت في الوصول لخطوط الحلفاء الغربيين بينما قتل أو أسر السوفيت معظم الهاربين. وفي الصباح الباكر ليوم 2 ايّار، سيطر السوفيت على مقر المستشارية. ولم يتكبد السوفيت العناء الذي تكبدوه للسيطرة على الرايخستاغ لأن معظم الجنود هربوا أو كانوا مشغولين بالهرب . واستسلم اللواء فايدلينغ وقادة أركانه في الساعة السادسة صباحاً. واصطحبه السوفيت لرؤية اللواء تشوكوف في الساعة 8:30 صباحاً. ووافق فايدلينغ على أمر الجنود الألمان بالاستسلام للسوفيت. وقام فايدلينغ بكتابة هذا الأمر بناء على أوامر اللواءين تشوكوف وفاسيلي سوكولوفسكي.

وغادرت الحامية القوية المكونة من 350 رجل برج المدفعية المضادة للطائرات في حديقة برلين. وكان هناك قتال متفرق في بعض البنايات المعزولة حيث يوجد بعض جنود وحدات النخبة النازية الذين رفضوا الاستسلام فقام السوفيت بتحويل هذه البنايات إلى ركام.

تفاصيل نهاية هتلر :

وترى مجلة "د ير شبيجل" أن فيلم "السقوط" يتحدى عالم "البروباغندا" والدعاية الكاذبة التي حبكت تفاصيل الساعات الأخيرة للسقوط النازي ولشخصية الزعيم، فشوّهت الحقائق وطمستها، خدمة لأهداف المنتصر. وتنظر صحيفة "دي فيلت" من ناحيتها إلى فيلم "السقوط" بأنه أول دليل واقعي غير

مشوّه وغير كاذب حول نهاية الحكم والزعيم النازي.إذا، التاريخ هنا "لا يكتبه الأقوياء" بل تكتبه الوقائع والأدلة والمذكرات التي كانت مخفية في أدراج الأجهزة الإستخباراتية، كما تكتبه الذكريات الحيّة التي نطق بها بعض مرافقي هتلر، من القيادات العسكرية والسياسية، والذين عاشوا معه في "البونكر" (الملجأ) منذ إطلالة الجيش السوفياتي الأحمر، منتصف شهر نيسان العام 1945 على ضواحي برلين، حتى لحظة إنتحاره في نهاية الشهر.

سكرتيرة هتلر ترأودل يونغي.. أصدق مذكرات حول السقوط والجديد في عملية التأريخ للساعات الأخيرة من سقوط برلين ونهاية الزعيم وحكمه النازي، أن هذا التأريخ لا يأتي من أدراج إستخبارات الحلفاء أو مكاتب الدراسات اليهودية، بل هو خطّ بقلم سكرتيرة هتلر ترأودل يونغي التي عاشت مع هتلر وفريق عمله القيادي داخل "البونكر". هذه المرأة الشابة، الموثوقة والمخلصة جدا للزعيم، رافقته في ساعاته الأخيرة كما رافقت وزير الدعاية النازية جوزف غوبلز وعائلته، فسجّلت بصدق وإخلاص للتاريخ، كامل التفاصيل في لحظات الضعف والقوة قبل السقوط والإنهيار.

وبالإضافة إلى ذلك، يشكّل فيلم "السقوط" فاتحة الأفلام والوثائق الحقيقية للتاريخ النازي، والتي بدأ الألمان بالكشف عنها منذ الإحتفال بالذكرى السنوية الستين لنزول قوات الحلفاء على شواطىء النورماندي، والجديد في فيلم "السقوط" أن المخرج الألماني لم يهتم هذه المرة لردود الفعل خاصة اليهودية على فيلمه، فلم يبادر كما جرت العادة إلى تشويه هتلر أو إظهاره بشكل كاريكاتوري هزلي، كما فعلت هوليوود الأميركية، بل هو نقل الوقائع، التي كشفت بأن هتلر إنسان كسواه من البشر، في داخله مكامن للقوة والضعف كما للحب والكراهية. وفي أول تعليق صحافي ألماني على مضمون الفيلم، جاء أن "هتلر دخل مجددا إلى حياة الشعب الألماني ولم يعد الحديث عنه وعن خصائله

معصية أو جرم يخضع صاحبه للمعاقبة". ويلاحظ في هذا السياق أنه على الرغم من الدور التاريخي الذي لعبه أدولف هتلر فإن صوره الشخصية على شبكة الإنترنت تكاد تكون معدومة، حيث لا يسمح بإطلالته إلا عبر صور هزلية دعائية سخيفة.

"بونكر" غرفة العمليات

قضى الزعيم النازي أدولف هتلر الشهر الأخير من حياته داخل "بونكر" أي ملجأ تحت مبنى المستشارية هو عبارة عن نفق كبير تبلغ سماكة جدرانه أربعة أمتار من الأسمنت المسلح، وهو يقع على مسافة 50 مترا من مبنى البرلمان الألماني(البوندستاغ) الحالي في وسط برلين بالقرب من بوابة براندنبورغ.أبرز "نزلاء" البونكر بالإضافة إلى هتلر كانت عشيقته (لاحقا زوجته) ايفا براون ووزير الدعاية النازية جوزف غوبلز وعائلته (زوجة وستة أطفال) والسكرتيرة الوحيدة ترأودل يونغي (توفيت قبل عامين بعد نشر مذكراتها) ومجموعة من ضباط الإستخبارات والشعب العسكرية والحرس الشخصي لهتلر. هؤلاء عاشوا معا أجواء الساعات الأخيرة في "بونكر" مجهز بمختلف أنواع المأكولات والتبريد والتدفئة والتهوية ووسط حراسة مشددة وتفتيش دقيق لا يسمح بمرور أو خروج أي شيء من دون تصريح.وزير الدعاية جوزف غوبلز وعائلته.. إختار الموت على الإستسلام!وجرى تجهيز البونكر بكافة وسائل الراحة، وخاصة باللوحات الفنية الثمينة التي يحبها هتلر، كما كان مكتبه الشخصي ضيقا (ثلاثة مقاعد) ومتواضعا بمساحة ثلاثة أمتار مربعة لكنه مجهز بما يلزم من وسائل الإتصال.هذا "البونكر" إضطرت القوات السوفياتية إلى نسفه وتدميره في العام 1947 بعد أن تحوّل إلى محجّة سياحية واحتفظت المانيا الشرقية بجميع موجوداته، وباستطاعة الزائر اليوم مشاهدة بعض آثار هذا البونكر الذي لم يدمر بكامله.وتكشف مذكرات سكرتيرة هتلر أن

الزعيم لم يفكر لحظة بالإستسلام بل كان مستعدا للقتال حتى آخر مواطن وكان يكرر أمامها وأمام ضباطه:"إذا كان شعبنا الألماني غير جدير بالدفاع عن أرضه فيجب أن يزول هذا الشعب"!.وكان هتلر يعني ما يقول فهو أعطى الأوامر بنسف الجسور وتدمير البنى التحتية وقطع مياه الشرب وقطع الإتصالات الهاتفية وطالب بتجنيد الأطفال بعمر 16 عاما وإرسالهم إلى الجبهات والدفاع عن عاصمتهم وهم من دون أدنى تدريب عسكري.."كان يريد التضحية بكل شيء".

وينقل الفيلم دمعة هتلر وهو يسمع عن بعض الخيانات، وخاصة عند سماعه بأن رئيس جهاز الإستخبارات (أس.أس) هملر حاول توقيع الصلح مع السوفيات من دون علمه، كما ينقل الفيلم مشاهد عن حفلات السكر والرقص داخل البونكر في اليوم قبل الأخير للهزيمة، لا حبا بالفرح بل يأسا من الحياة واستعدادا للموت. هنا لأول مرة، يظهر هتلر إنسانا متألما حزينا مغايرا للصورة التي نقلها الحلفاء عنه بأن سعيد لإحتراق شعبه وبلاده.

الدفاع عن برلين حتى آخر ألماني

في 9 آذار 1945 وصل الجيش الأحمر الروسي إلى مسافة 70 كيلومترا من العاصمة برلين ووصل الحلفاء إلى نهر الألب. يومها وجه هتلر أمرا بالدفاع عن برلين حتى آخر رصاصة.في الساعة الثالثة من فجر 16 نيسان 1945، يتلقى الجيش الأحمر أوامره بإحتلال برلين، وبعد أربعة أيام تبدأ الإستعدادات للإحتفال بعيد ميلاد هتلر ال 56 داخل البونكر بالترافق مع أصوات المدفعية الروسية التي تدك العاصمة.

ترتدي عشيقة هتلر أيفا براون أجمل فساتينها، وتتقبل إلى جانب هتلر التهاني بعيد ميلاده.وعلى الرغم من تزايد الضغط الروسي على العاصمة الألمانية وحدة القصف والقتال العنيف، يرفض هتلر مغادرة العاصمة والإنتقال

إلى جنوب المانيا لمتابعة القتال، معتبرا أن العاصمة هي رمز البلاد الأول والقيادة تكون منها وليس من الجبال البعيدة.أدركت القيادة العسكرية الألمانية أن سقوط العاصمة برلين بات حتميا على الرغم من ضراوة المقاومة الألمانية من منزل إلى منزل. لم يكن هناك معادلة حسابية تفتح الأمل على الانتصار: 465 ألف جندي روسي و 1500 دبابة روسية مقابل 90 ألف جندي الماني و 100 دبابة المانية.. المعركة غير متكافئة، لكن إحصاء 80 ألف جندي روسي قتيل في برلين يثبت حجم المقاومة الألمانية دفاعا عاصمتهم.

ثلاث محطات قبل الموت

في 22 نيسان 1945 إعترف هتلر بالهزيمة وبدأ التفكير بالإخراج النهائي للفصل الأخير من حياته. طلب إلى عشيقته أيفا برأون وسكرتيرته مغادرة البونكر والفرار:"بعد ساعة تسافران على متن طائرة إلى جنوب المانيا". هنا ترفض برأون المغادرة وترجوه أن يسمح لها بالبقاء إلى جانبه.. ولأول مرة يقبلها هتلر على فمها علانية بحضور السكرتيرة.وينقل أحد ضباط البونكر في مذكراته (برند فرايتاغ):"لم يعد لدينا ما نقوم به. لقد أنصبّ تفكيرنا على أفضل طريقة للانتحار، هل نجرع كبسولة سم زيانكالي أ م نطلق النار داخل الفم أم على الصدغ؟". وتجدر الإشارة هنا إلى أن المؤرخ ريتشارد لاكوفسكي يشير إلى أن أكثر من 100 ألف مواطن ألماني وضعوا في الساعات الأخيرة من حياة العاصمة الألمانية حداً لحياتهم بواسطة الإنتحار. كان الموت أهون من الاستسلام للعدو.. وينقل الضابط فرايتاغ لا مبالاة هتلر بالموت ورفضه اقتراحا بالهرب بواسطة مركب سريع وإصراره على أن يكون الجندي الأخير المقاتل في المانيا.

يبدأالمشهد الأول في كوارث النهاية، في 1945/4/28 حيث يعقد هتلر قرانه على أيفا برأون في حفل هو مزيج من الفرح والحزن. هنا يشرب

العريسان الشامبانيا على وقع الموسيقى ويتقبلان معا التهاني.أما المشهد الثاني، فيبدأ قبل تنأول هتلر لطعام الغداء(سباغتي - هتلر نباتي لا يأكل لحم) حيث يطلب حارسه الشخصي أوتو غونشي وخادمه لينغي وينقل إليهما الأمر التالي: سوف أطلق النار على نفسي كما تنتحر زوجتي أيفا وأنا آمركما بحر ق جثتي بعد موتي تماما.. وقال هتلر لخادمه بعد سماع صوت الرصاص بعشر دقائق تدخل غرفتي وتطلق النار مجددا علي ثم تحرق جثتي".. وللتأكد من فعالية السمّ الذي سلمه إليه طبيبه الخاص، أحضر هتلر كلبه "بلوندي" وحقنه بالسم فمات. عندها اطمأن هتلر إلى الفعالية. ودخل هتلر وزوجته أيفا إلى الغرفة حيث تنأولت هي السم وبعد ان تأكد من وفاتها أطلق النار على نفسه ليدخل حارسه الشخصي بعد عشر دقائق ويجهز عليهما برصاص الرحمة كما أمره.. بعد ذلك قام الحارس بنقل الجثتين إلى أحد مخارج البونكر وأحرقهما.. هذه الوقائع حول الوفاة، نقلها لاحقا كل من الخادم والحارس في المعتقل الروسي.وفي المشهد الكارثي الثالث داخل البونكر، تنقل السكرتيرة مشهدا لوقيعة رهيبة: انتحار الوزير جوزف غوبلز وزوجته ماجدة وأطفالهما الستة، وتفضيلهم جميعا الموت على الاستسلام!.هذا الحدث التاريخي ينقله فيلم "السقوط" بتجرد توثيقي لأول مرة بعد مرور ستين عاما على الهزيمة الألمانية في الحرب العالمية الثانية.

بلاط الشهداء

"تور أو بواتيه"

يقول هنري دي شامبون " مدير مَجلةِ " ريفي بارلمِنْتِير " الفَرَنْسِية:(لولا انتصار جيش " شارل مارتل " الهمجيِّ على العرب المسلمين في " فرنسا " لما وقعت بلادنا في ظلمات القرون الوسطى [وهي القرون المظلمة التي امتدت من سنة 476 إلى سنة 1500]...ولَمَـا أصيبت بفظائعها ..ولا كابدت المذابحَ الأهلية التي دفع إليها التعصُّبُ الديني المذهبي ...نعم ، لولا ذلك الانتصار الوحشيُّ على المسلمين في " بواتييه " لظلَّت " إسبانيا " تنعم بسماحة الإسلام .ولَنَـجتْ من وصمة عارمحاكم التفتيش [هي المحاكم التي عقدها فرديناند والملكة إيزابيلا للمسلمين ولكل من خالف مذهبهم من اليهود والنصارى في الأندلس وارتكبا فيها من الجرائم الانسانية ما يندى له جبين التاريخ] .ولما تأخر سيرُ المدنية ثمانيةَ قرونٍ.ومهما اختلفت المشاعر والآراء حول إنتصارنا ذاك .فنحن مَدينون للمسلمين بكل محامد حضارتنا في العلم ، والفن ، والصناعة .مدعُوُّون لأن نعترف بأنهم كانوا مثالَ الكمال البشري .في الوقت الذي كنا فيه مثالَ الهمَجية" .

التاريخ : 10 تشرين أول عام 732 م

الاطراف المتحاربة": المسلمون والفرنجة"الفرنسيين"

عدد الجيش والقادة:

1-المسلمون .100000 بقيادة عبد الرحمن الغافقي

2-الفرنجة: جيوش أوروبا الجرَّارَة بقيادة شارل مارتل

السبب: تأديب أهل " آرل " الذين شقوا عصا الطاعة ، ونكثوا العهد ، وامتنعوا عن دفع الجزية .

اهمية المعركة:

هُزِيمة المسلم يِنَ في هذه المعركة أوقفت الزحف الإسلامي تجاه قلب أوروبا وتركت النصارى بين مطرقة الجهل والتخلف القروسطي وسندان محاكم التفتيش.

التسمية

البلاط في اللغة العربية تعني القصر أو الرخام، و سميت هذه المعركة ببلاط الشهداء في التاريخ الإسلامي لأن المعركة وقعت بالقرب من قصر مهجور وحسب رأي آخر سميت المعركة ببلاط الشهداء بسبب الطريق المعبد من زمان الرومان الذي قاتل الجانبان عليه وأضيفت كلمة الشهداء لكثرة ما وقع في تلك المعركة من قتلى للمسلمين. أما الأوروبيون فينسبون المعركة لمدينة تورز التي وقعت المعركة بالقرب منها فيسمونها معركة تور وتسمى كذلك معركة بواتييه لوقوعها أيضا بالقرب من بلدة بواتييه في فرنسا.

تمهيد تاريخي:

بعد أن فتح المسلمون إسبانيا ووطدوا حكمهم فيها عبروا جبال البرانس وبدؤوا في فتح الأراضي الإفرنجية (فرنسا في الوقت الحاضر) على يد قائدهم في ذلك الوقت السمح بن مالك الخولاني وتم على يده فتح مدن منطقة سبتمانيا أربونة وبيزارس وآجده ولوديفيه وماغيولون ونييمس.

ورجع السمح إلى الأندلس ليجمع جيشا يحاصر به مدينة طولوشة (أو تولوز) ويقال أنه جمع أكثر من 100 ألف شخص من الفرسان والمشاة.

قام المسلمون بحصار تولوز طويلا حتى كاد أهلها أن يستسلموا إلا إن الدوق أودو دوق أقطانيا (أكوينتين) باغته بإرسال جيش ضخم فقامت هنالك معركة عرفت بإسم معركة طولوشة أو (معركة تولوز) وقاوم المسلمون فيها قليلا بالرغم من قلة عددهم و مقتل قائدهم السمح بن مالك فاضطرب الجيش

وانسحب المسلمون لقاعدتهم في بلاد الإفرنج مدينة أربونة وكان ذلك في 9 حزيران 721 م.

كان السمح هو والي الأمويين في بلاد الأندلس وبعد وفاته قام الأندلسيون بتعيين عبد الرحمن الغافقي كوال مؤقت حتى ينظر الخليفة في من سيعين عليهم.

عين الخليفة عنبسة بن سحيم الكلبي كوال للأندلس فقام بإكمال ما بدأ به السمح بن مالك وقد توغل كثيرا في الأراضي الفرنسية حتى بلغ مدينة أوتون في شرق فرنسا وفي طريق عودته إلى الأندلس فاجأته قوات إفرنجية فأصيب إصابة بليغة لم يلبث أن مات على إثرها في كانون أول 725 م. ثم جاء 4 ولاة للأندلس لم يحكم أغلبهم أكثر من 3 سنين حتى عين عبد الرحمن الغافقي عام 730

قام عبد الرحمن بإخماد الثورات القائمة في الأندلس بين العرب والبربر وحسّن وضع البلاد الأمني والثقافي.

وفي تلك الأثناء تحالف الدوق أودو مع حاكم إقليم كاتالونيا المسلم عثمان بن نيساء وعقدا صلحا توقفت على اثره الفتوحات الإسلامية في بلاد الإفرنج.

كان الدوق أودو يعلم أن عدوه الأبرز هو شارلز مارتل -وخاصة بعد معركة طولوشة- وأنه إذا صالح المسلمين فإنه سيأمن هجماتهم من جهة وسيشكلون قوة ورادعا في وجه تشارلز مارتل من جهة آخرى إذ لن يفكر تشارلز في مهاجمته خوفا من المسلمين.

قام عثمان بن نيساء بمالم يكن في الحسبان فقد انشق عن الخلافة الأموية واستقل بإقليم كاتلونيا فما كان من عبد الرحمن الغافقي إلا أن أعلن الحرب ضده بصفته خائنا ولم يستثن عبد الرحمن الدوق أودو حليف الخائن من هذا

الأمر فجهز جيشه وأخضع كاتلونيا لدولته ثم اتجه صوب أراض أودو ....

ونكمل الحكاية من كتاب صور من حياة التابعين:

تناهت إلى " دوق أُكتَانْية " الأخبار المفزعة عن مصرع صِهره عثمان بن أبي نُسعة .وبلغته أنباء النهاية الحزينة التي صارت إليها ابنته الحسناء " مينين " ....فأدرك أن طبول الحرب قد دَقَّتْ ...وأيقن أن أسد الإسلام عبد الرحمن الغافقي مُمْسٍ في دياره ، أو مُصْبِح ....فتأهبَّ للدفاع عن كل شبر من أرضه دفاع المستميت .واستعدَّ للنِّضال دون نفسه ومملكته ، إستعداد المُسْتَبْسِل .فقد كان يخشى أن يُساق هو الآخر أسيراً إلى دار الخلافة في الشام كما سيقت ابنتُهُ .أو أن يُحمل رأسه على طبق ، ويُطاف به في أسواق دمشق كما طِيفَ برأس " لُذَرِيقَ " ملك إسبانيا من قبل .

لم يُكذِّب عبد الرحمن الغافقي ظنَّ الدُّوق ...فانطلق بجيشه اللجب من شمال الأندلس كما ينطلق الإعصار .

وانصبَّ على جنوب فرنسا من فوق جبال " البِرِنِيهْ " كما يَنْصَبُّ السيل .وكانت عِدَّةُ جيشه مائة ألف مجاهد .بين جوانح كل منهم قلب أسد ....وفي عُرُوقِهِ عزمَةُ مارد ...

يَمَّمَ الجيش الإسلامي وجْهه شطر مدينة " آرل " [Arles: مدينة في جنوب فرنسا على نهر الرون شمالي مرسيليا] الواقعة على ضفاف نهر " الرُّون "فلقد كان له معها حساب ...ذلك أنَّ " آرل " هذه كانت قد صالحت المسلمين على أن تدفع لهم الجزية .فلمَّا استشهد (السمح بن مالك الخولانيُّ) في معركة " تولوز " [Toulouse : مدينة في جنوب فرنسا على نهر الغارون وهي قاعدة محافظة غارون العليا] وتضعضع المسلمون لمصرعه ، نبذ أهل " آرل " الطاعة ، ونكثوا العهد ، وامتنعوا عن دفع الجزية .

ولمَّا بلغ عبد الرحمن الغافقي ضواحي المدينة ، وجد أنَّ " أودَ " " دُوقَ أكتانية " قد عبأ قواته الكثيفة عندها .

وَحَشَدَهَا حول تُخُومها ...وتصَّدى لرد الزحف الإسلامي عليها ...ثُمَّ ما لبث أن إلتقى الجيشان وجهاً لوجه .

ودارت بين الفريقين معركة طَحُونٌ ...قذَفَ خلالها عبد الرحمن الغافقي بكتائب من جيشه تُحِبُّ الموت أكثر ممَّا يُحبُّ أعداؤها الحياة ، فزلزل أقدام العدو .... ومزَّقَ صُفُوفَهُ ...ودخل المدينة في هذه المرّة حرباً ...فأعمل السيف في رقاب أهلها ..وأثخن فيهم إثخاناً ..

وإحتلها المسلمون وقتلوا من جيش أودو الكثير حتى قال المؤرخ إسيدورس باسينسيز "إن الله وحده يعرف عدد القتلى".وغنم منهم غنائم عزَّت على الحصر ..

أما الدوق " أودو " فقد فرَّ بمن بقي حيّاً من جنوده ...

وطفق يُعِدُّ العُدة للقاء آخر من جيوش المسلمين ..

فقد كان يعلم أن معركة " آرل " كانت بداية الطريق ، وليست نهايته .

عَبَـرَ عبدُ الرحمن الغافقي بجيشه الجرَّار نهر " الجارون " ، وطفقت كتائبه الظافرة تجُوسُ خلال مقاطعة أوكتانية ذات اليمين ، وذات الشمال .وأخذت المدن والقرى تتساقط تحت سنابك خيْله كما تتساقط أوراق الشجر في فصل الخريف إذا هبَّتْ عليها الرياح الهُوجُ .

وأضاف المسلمون إلى غنائمهم السابقة غنائم لاحقة لم ترها عيْنٌ من قبل ...ولم تسمع بها أُذُنٌ ...

وقد حاول دوق " أُكتانية " أن يتصدى لهذا الزحف الكبير مرة آخرى فاشتبك مع المسلمين في معركة ضروس .لكنَّ المسلمين ما لبثوا أن هزموه

هزيمة طاحنة ...وأنزلوا به نكبة ساحقة مُدَمِّرة ...ومزَّقوا جيشه شر ممزَّق ...وتركوا جيشه بين قتيل ، وأسير ، وهَزِيم ..

ثم اتجه المسلمون إلى مدينة " بوردو " كبرى المدن الإفرنسية آنذاك ، وعاصمة مقاطعة " أُكتانية " .

وخاضوا مع أميرها معركة لا تقل هوْلاً عن المعارك السابقة استبسل فيها المهاجمون والمدافعون استبسالاً يُثير العجب والإعجاب ...

لكنَّ المدينة الكبيرة الخطيرة ما لبثت أن سقطت في أيدي المسلمين كما سقطت أخواتُها من قبل .وما لبث أميرها أن قُتل في جملة القتلى .وأحرز المسلمون من غنائم " بوردو " ما هَوَّن في أعينهم كل ما أحرزوه من غنائم سابقة .

وقد كان سقوط " بوردو " في أيدي المسلمين فاتحةً لسقوط مدن آخرى كثيرة خطيرة .أهمُّها " ليون " و " بيزانسُون " و " سانس SENS " .

اهتزَّت أوروبا من أقصاها إلى أقصاها لِسُقُوط نصف فرنسا الجنوبي كله في يدي عبد الرحمن الغافقي خلال بضعة أشهر. ....وفتح الفرنجة أعينهم على الخطر الداهم .

ودبَّ الصريخ في كل مكان يدعو العجزة والقادرين إلى الوقوف في وجه هذا الهوْل القادم من الشَّرق .

ويَحُضُهُمْ على التَّصَدِّي له بالصدور إذا عزَّت السيوف .

ويدعوهم إلى سدِّ الطريق أمامه بالأجساد إذا انعدم العَـتَاد ..فاستجابت أوروبا لدعوة الدَّاعي ..وأقبل الناس على الآنضواء تحت لواء " شارل مارتل " ومعهم الشَّجر ، والحَجَر ، والشَّوك ، والسِّلاح .

كان الجيش الإسلامي آنذاك قدْ بلغ مدينة " تُورَ TOURS " طليعةَ مدنِ فرنسا وَفْرَةً في السكان ، وقُوَّةً في البُنْيَان ، وعراقة في التَّاريخ ....وكانت

المدينة - فوق ذلك - تختال على أكثر مدن " أوروبا " بكنيستها الفخْمة ، الضخمة ، العامرة بجليل الأعلاق [الآثار القديمة ، النفيسة الثمينة] ، وكريم النَّفائس .فأحاط بها المسلمون إحاطة الغُلِّ بالعُنُق ....وانصبُّوا عليها انْصباب المنون إذا جاء الأجل ...واسترخصوا في سبيل افتتاحها الأرواح والمُهَج ...فما لبثت أن سقطت بين أيديهم على مرأى " شارل مارتل " وَمَسْمَعِه ....

مجريات المعركة الحاسمة :

وفي العشر الأواخر من شهر شعبان سنة أربعٍ ومائة للهجرة ، زحف عبد الرحمن الغافقي بجيشه اللجب على مدينة " بُوَاتْيِيه POITIERS " ..

وهناك إلتقى مع جيوش أوروبا الجرَّارَة بقيادة " شارل مارتل " ..ووقعت بين الفريقين إحدى المعارك الفاصلة لا في تاريخ المُسلمين والفِرنجة فحسب ..وإنما في تاريخ البشريَّة كُلِّها .وقد عُرِفَتْ هذه المعركة بمعركة (بَلاطِ الشُّهَدَاءِ) .

كان الجيش الإسلامي يومئذ في ذروة إنتصاراته الباهرة .

لكنَّ كاهله كان مُثقلاً بتلك الغنائم التي انْصبَّت عليه انصِباب الغيْث ....وتكدَّست في أيدي جُنُوده تكدُّس السُّحب ...وقد نظر عبد الرحمن الغافقي إلى هذه الثروة الطائلة الهائلة نظرة قلق وإشفاقٍ .وتوجَّس منها خيفةً على المسلمين .

فقد كان لا يأمن أن تَشْغَلَ هذه النَّفائس قُلُوبَهم عند اللِّقاء ..وأن توزِّع نفوسهم في لحظات البأس ...وأن تجعل إحدى عيْني الواحد منهم على العدو المُقبل عليه ...وعيْنه الآخرى على الغنائم التي في يديه ...

ولقد همَّ بأن يأمر جُنُودَه بالتَّخلص من هذه الثروات الطائلة الهائلة ...ولكنَّه خشي ألَّا تطيب قلوبهم بذلك القرار الخطير ....وألَّا تسمح نُفُوسهم بالتَّخلي عن هذا الكنز الثمين .

فلم يجد وسيلة خيراً من أن يجمع هذه الغنائم في مخيمات خاصَّة ...وأن يجعلها وراء المُعسكر قبل إنشاب القتال [إثارة الحرب] .

وقف الجيشان الكبيران بضعة أيام كلٌّ منهما قُبَالة الآخر في سكون ، وتَرَقُّب وصمت ، كما تقف سلسلتان من الجبال إحداهما في وجْه الآخرى ...

فقد كان كلٌّ من الجيشين يخشى بأس عدُوِّه ، ويحسبُ للقائِهِ ألْف حِسَاب .

فلمَّا طال الوقت على هذه الحال ، ووجد عبد الرحمن الغافقي مراجل الحمِيَّة والإقدام تغلي في صدور رجاله ، آثر أن يكون هو البأدىء بالهجوم مُعْتمداً على مناقب جُنْدِهِ [مزاياهم وخصائصهم] ...مُتفائلاً بحُسْن طالعه في النَّصر .

انقضَّ عبد الرحمن الغافقي بفُـرْسانه على صفوف الفرنجة انقضاض الأسود الكاسرة .وصمد لهم الفرنجة صُمُود الأطواد الرَّاسخة [الجبال] .

وانقضى اليوم الأول من أيَّام المعركة دون أن ترجح فيه كَفَّةٌ على كَفَّةٍ ...ولم يحجز بين المتقاتلين غير هبوط الظلام على ميدان القتال ...ثمَّ تجدَّد النِّزال في اليوم التالي ، وحمَلَ المسلمون على الفرنجة حملات باسلةً ، ولكنهم لم ينالوا منهم وَطَراً [بُغية] .وظلَّت المعركة تدور على هذه الحال سبعة أيام طويلةً ثقيلةً.

فلما كان اليوم الثامن كَـرَّ المسلمون على عدوهم كرَّةً واحدة .ففتحوا في صفوفه ثُغْرةً كبيرة لاح لهم من خلالها النصر كما يلوح ضوءُ الصبح من خلال الظلام .

عند ذلك أغارت فِرقةٌ من كتائب الفِرنجةِ على معسكرات الغنائم.فلما رأى المسلمون أن غنائمهم قد أوشكت أن تقع في أيدي أعدائهم .انكفأ [تراجع] كثير منهم لاستخلاصها منه.

فتصدعت لذلك صفوفهم ...وتضعضعت جموعهم...وذهبت ريحهم..."كما حصل يوم احد...ومن لايعتبر من التاريخ لايُرحم"

فهب القائد العظيم يعمل على رد المنكفئين ...ومدافعة المهاجمين ..وسدِّ الثغور...

وفيما كان بطل الإسلام عبد الرحمن الغافقي يذرع أرض المعركة على صهوة جواده الأشهب جيئةً وذهاباً ...وكرّاً وفرّاً..أصابه سهم نافذ فهوى عن متن فرسه كما يهوي العُـقاب [طائر من الجوارح] من فوق قمم الجبال .

وثوى صريعا شهيدا على أرض المعركة.فلما رأى المسلمون ذلك عمهم الذعر وسادهم الاضطراب .واشتدت عليهم وطأة العدو ، ولم يوقف بأسَه عنهم إلا حلولُ الظلام.

وحينما أسفر الصبح نهض الفرنجة فلم يجدوا من المسلمين أحداً ، فتقدموا على حذر من مضارب المسلمين فإذا هي خالية منهم ، وقد فاضـت بالغنائم والأسلاب والخيرات ، فظنوا أن في الأمر خدعة ، وتريثـوا قبل أن يجتاحوا المعسكر وينتهبوا مافيه ، ولم يفكر أحد منهم في تتبع المسلمين ؛ إما لأنـهم خافوا أن يكون المسلمون قد نصبوا لهم بهذا الانسحاب شركاً ، أو لأن شارل مارتل تبين مانزل بالمسلمين فرأى أنه يستطيع العودة إلى الشمال مطمئناً إلى أنهم انصرفوا عنه وعن بلاده ، و اندفع المسلمون في تراجعهم نحو الجنوب مسرعين ، واتجهت جموعهم نحو أربونة ، وحينما أحسوا أن أحداً من النصارى لا يتتبعهم تمهلوا في سيرهم ليستجمعوا صفوفهم من جديد .وهكذا انتهت المعركة ، التي لو انتصر فيها المسلمون لتخلصت أوروبا من ظلماتها وجهالتها واستبدادها وحطمت الاستغلال والاضطهاد ، ولذا قال جيبون : "لو انتصر العرب في تور _ بواتييه لتلي القرآن وفسر في اكسفور وكمبردج"

وما إن وصل الخبر إلى الخليفة الأموي حتى أمر والي إفريقية بإرسال مدد بقيادة عبد الملك بن قطن الفهري ، وأمره الخليفة بغزو فرنسا ، وتوجه عبد الملك إلى نواحي شمال الأندلس وحصن المعاقل التي بأيدي المسلمين ، وبقي أهالي جنوب فرنسا يكرهون الفرنجة رغم انتصارهم على المسلمين ، وتحالفَ بعض أمراء جنوب فرنسا مع المسلمين ضد الفرنجة ؛ وذلك كرهاً للهمجية

البربرية في شارل وجيشه ، ولكن بلاط الشهداء كانت آخر محأولة جدية قام بها المسلمون لغزو بلاد الفرنجة .

ولو انتصر المسلمون في هذه المعركة لدخلوا أوروبا فاتحين منظمين ، يريدون إدخالها في رحاب دولتهم وتحويلها إلى الإسلام ، ولو استقر لهم الأمر في فرنسا لاتجه نظرهم إلى ما وراءها ، ومن هنا كانت أهمية بلاط الشهداء في تاريخ النصرانية فقد حالت بينها وبين الزوال .

ما بعد المعركة

أدت المعركة إلى توقف الزحف الإسلامي في أوروبا الغربية ، وقد اختلف المؤرخون، قديمون أو معاصرون، مسلمون أو مسيحيون في أهمية تلك المعركة فالبعض وصفها بأنها حفظت المسيحية من الفناء فيقول المؤرخ إدوارد جيبون في كتابه اضمحلال الإمبراطورية الرومانية:

«خط إنتصار [المسلمين] طوله ألف ميل من جبل طارق حتى نهر اللوار كان غير مستبعد أن يكرر في مناطق آخرى في قلب القارة الأوروبية حتى يصل بالساراكنز [يقصد المسلمين] إلى حدود بولندا ومرتفعات اسكتلندا، فالراين ليس بأصعب مرورا من النيل والفرات و لو حصل ما قد ذكرت كنا اليوم سنرى الأساطيل الإسلامية تبحر في التايمز بدون معارك بحرية ولكان القرآن يدرس اليوم في أوكسفورد ولكان وعاظ الجامعة اليوم يشرحون للطلاب باستفاضه عن الوحي النازل على محمد.»

يختلف العديد من المؤرخين مع وجهة نظر جيبون فيخبرون عن توسعات المسلمين أنها لم تكن تتوقف لهزيمة أو خسارة معركة فللمسلمين العديد من المحأولات للسيطرة على القسطنطينية قبل أن تسقط في ايديهم ، وقد هزم المسلمون أكثر من مرة في الهند وبلاد ما وراء النهرين ،إلا أن ذلك لم يكن ليمنعهم من مواصلة القتال. مؤرخو القرن الحالي يرون بأن المعركة سواء

أوقفت المد الإسلامي أم لم تفعل لكنها وضعت الأسس الأولى لبناء الإمبرطورية الشارلكانية وهيمنة الفرنجة لقرن من الزمان. وإنشاء قوة الفرنجة بغرب القارة حددت مصير أوروبا والمعركة أثبتت ذلك.

بولتافا

"كانت هزيمة السويد في معركة بولتافا تعني بداية النهاية للإمبراطورية السويدية التي كانت في تلك الفترة الدول ة الأولى والاقوى في العالم واتاحت الفرصة لبروز روسيا كدولة عظمى يحسب لها الف حساب."

التاريخ : 27 يونيو/حزيران عام1709

الاطراف المتحاربة": روسيا ضد السويد

عدد الجيش والقادة:

1-السويد: 35 الف جندي و39 مدفعا بقيادة كارل ،

2-روسيا: 42 الف جندي و102 مدفع

السبب: محأولة السويد الهيمنة على روسيا.

عددالقتلى من السويد: ادت إلى ابادة الجيش السويدي

عدد القتلى الروس: 1500 قتيل و3000 جريح:

تمهيد تاريخي:

تنقسم الشعوب التي تعيش في الوقت الحاضر في شبه الجزيرة الاسكندنافية والجزر المحيطة بها إلى دنماركيين وسويديين ونرويجيين ولكنهم كانوا في سالف الزمن يعرفون بإسم واحد هو " الفايكنغ" أو " رجال الشمال" . وبسبب برودة المناخ في بلادهم اتجهوا إلى البحر طلبا للرزق. فأخذوا يهبطون إلى البر في ما حولهم من بلدان على امتداد شواطئ أوروبا الغربية فينهبون المدن ويقتلون الناس ثم يعودون حملين بالغنائم. ويعأودون الكرة في بلاد آخرى. وكانوا ذوي قامة طويلة وشعر أشقر وهم ذو بأس شديد أصبحوا مبعث رعب وخوف.

وفي نهاية القرن التاسع الميلادي توغل الفايكنغ فيما يعرف الآن روسيا،

وخلال ذلك كانت جماعات الفايكنغ تنطلق إلى جهات آخرى حتى وصلوا إلى جزيرة أيسلندا بسفنهم السريعة وإندفعوا منها إلى جرينلاند ثم قاموا بهجمات على كل من إنجلترا وفرنسا وتسببوا فيها بأضرار فادحة إذ أنهم كانوا يدمرون الكنائس والأديرة ويذبحون الرهبان وينهبون ويخربون الأقاليم التي يغزونها. وقد استهدفوا باريس في القرن التاسع الميلادي أربع مرات على الأقل ونهبوها وسلبوها وقد كانوا يصلون إليها ليلا ويقتربون منها بالسفن خلال نهر السين، فاضطر ملوك فرنسا في النهاية لدفع مبالغ باهظة مقابل انسحاب الغزاة من العاصمة.

وفي عام 885 قام نحو 30.000 مقاتل من رجال الفايكنغ بحصار باريس مرة آخرى وفي هذه المرة دفع إليهم مبلغ 700 جنيه ذهبا فتركوا العاصمة باريس لكنهم لم يتركوا فرنسا. فقد استقروا فيها ووطدوا أقدامهم في المنطقة المعروفة بإسم نورماندي وأصبحوا يعرفون بإسم النورمانديين، وبعد أن إتصل النورمانديين بالحضارة الفرنسية.

تحولوا إلى الديانة المسيحية واستبدلوا لغتهم الاسكندنافية بلغة الأقاليم الشمالية في فرنسا واتخذوا نمط الحياة الفرنسية.

أما إنجلترا فقد وفد عليها الفايكنغ لأول مرة في عام 787 بعد الميلاد، حيث قاموا بالإغارة على ساحل دورسيت ثم غادرا فيما بعد على إقليم نورثنبريا وبعد حوالي 80 عاما بدأ الفايكنغ بالاستقرار في إنجلترا، وتمكنوا من قهر إقليمي نورث مبريا ومرسيا، وهاجموا إقليم ويسكس لكنهم واجهوا مقاومة عنيفة في هذا الإقليم واستطاع أبناء إقليم غرب سكسونيا يقودهم الملك الفرد أن يحرزوا نصرا كبيرا في معركة ايثانديون عام 878م وعندما اضطر الفايكنغ على الموافقة بحصر إقامتهم في الجزء المعروف في إنجلترا بإسم دينلو وتخلصت إنجلترا لفترة من الوقت من غارات الفايكنغ، ولكن بعد أن أصبح

ايثلريد ريدليس ملكا في عام 979م عاد الفايكنغ لشن غاراتهم من جديد فدفع هذا الملك الضعيف في أول الأمر إليهم مبالغ كبيرة من المال لكي يرحلوا عن بلاده ولما لم يجد نفعا في ذلك أمر بذبح كافة رجال الفايكنغ العاملين في خدمته فأدى ذلك إلى انتقام مروع من لفايكنغ حيث غزا البلاد ملك الدنمارك سوين وطرد منها ايثلريد، وبعد وفاة سوين أصبح ابنه كانوت ملكا على إنجلترا كلها وحكم إنجلترا على مدى 25 عاما ملوك دنماركيين ثم جاء إنجليزي هو إدوارد الملقب " بالمعترف " وحكم البلاد لفترة قصيرة ولكن بعد وفاته قام النورماندويون بغزو البلاد تحت قيادة الدوق وليام.

وفي القرن الحادي عشر أصبح النورمانديون مبعث الرعب في أوروبا فمن موطنهم الجديد في إقليم نورماندي الفرنسي استطاعوا قهر انجلترا، ثم قهروا جنوبي إيطاليا وجزيرة صقلية ووصلوا إلى مشارف إنجلترا، وتعدوها إلى القيام برحلات حج إلى بيت المقدس.

شهدت بداية شتاء عام 1700 سلسلة متتالية من الانتصارات السويدية برئاسة الملك كارل الثاني عشر بما فيها الانتصار على الدنمارك. وعقدت روسيا في صيف عام 1700 اتفاقية القسطنطينية للسلام مع تركيا لتتفرغ لخوض الحرب ضد السويد مثبتة بذلك تعهداتها التي سبق لها ان قدمتها للدنمارك. ثم فرض القيصر الروسي بطرس الأول حصارا على مدينة نارفا لكنه انهزم وانسحب. ولم تتح لروسيا فرصة لأن تأخذ الثأر من السويد إلا بعد مضي سنتين.فقد تمكن بطرس الأول من الاستيلاء على بعض الأراضي السويدية الواقعة على ساحل بحر البلطيق لينشئ فيها قلعة أطلق عليها إسم سان يطرسبورغ وحملت نجاحات بطرس الملك كارل على اتخاذ قرار بتدبيرالهجوم على العاصمة الروسية موسكو. وفي اثناء حملته الحربية قرر الملك السويدي

بلن يوجه جيشه إلى أوكرانيا التي انتقل زعيمها مازيبا إلى معسكر كارل لكنه لم يتلق دعما من جانب غالبية القوزاق في أوكرانيا.

الملك يحكي الحكاية من أولها:

ودعونا الآن نسمع من الملك كارل يروي ما حصل:

في آذار من العام 1700 جاء رسولنا بخبرفحواه:هجمت فرقة عسكرية من الجيش الروسي على ليتوانيا الواقعة تحت السيادة السويدية. كنت في السابعة عشرة من العمرومستعداً لكل الإحتمالات. انتابني إحساس غريب.. إحساس غامض بالسعادة. قلت:

ـ أخيراً سأعيش أجواء الحرب التي إنتظرتها طويلاً. لبست الثياب العسكرية مثل بقية أفراد الجيش.. معطف أزرق يصل إلى الركبة. تحت المعطف صدرية من الجلد وبنطال أصفرضيق يصل إلى الركبة. انتعلت جوارب طويلة وجزمة غليظة. أعلنت النفير العام. أرسلت الرسائل والرسل إلى كل الأجزاء الواقعة تحت الحكم السويدي من أجل الإستعداد للحرب. بسرعة فائقة تقدم مئة ألف رجل للسير ورائي في معركتي الأولى.

سميت ذلك النفيركارولينا.

الدخان والضباب واللون الداكن عوامل مساعدةفي الحرب.. في دفع أشرعة السفن. من أجل مساعدتنا أنا وجنودي للوصول إلى قلب الحرب. كان علي أن أدافع عن بلادي وعن أرض المملكة وأن أحكم السويد والشعب بشكل عادي.

العديد من العربات حُملت. الأقداح والبورسلين.. الطعام والنبيذ.. الأسرة والبطانيات.. الخيم وأشياء آخرى من مستلزمات الحرب.

جهزت السفن.. دفعت الأشرعة بإتجاه الشرق.. إلى الخليج الفلندى. إحتل الروس إحدى الحصون الواقعة في مدينة نارفا. إقترب جيشنا.. الجيش السويدي من ميناء قريب من مدينة نارفا. هناك تركنا سفننا. بدأنا نسيربإتجاه الشمال.

كنت مستعجلاً. لكن الأمرلم يكن بيدي. الأمر يحتاج إلى وقت أطول. من أجل أن يسيرالجيش.. المرافقين.. الخيول والعربات. نريد ان نصل قبل أن ينتهي شهر نوفمبر.. قبل البرد والمطروالوحل. حتى لا تغرز العربات في الوحل.. قبل أن يتعفن الخبز.. قبل أن يمرض الجنود ويصابوا بالآفات.

في ديسمبر/كانون الأول/من العام 1700 كنا في مرمى الهدف.. كنت في نارفا وجها لوجه مع العدو. وقتها كنت في الثامنة عشرة من العمر. خليط من المطر والثلج يتساقط طوال الليل. خيم على الجيش الإجهاد والتعب وتبللت الثياب والأحذية بالماء والوحل. لم نذق الطعام لعدة أيام متواصلة ولفنا الجوع.

بدأت في الساعة السادسة من صباح اليوم التالي أخطط للهجوم. في الساعة الثانية بعد الظهرأعلنت النفير العام وأمرت بالهجوم. في هذه اللحظات هبت عاصفة ثلجية قوية. راح الثلج المتساقط يهب على الروس. كان من الصعب عليهم أن يروا الجيش السويدي يهجم عليهم وهم مكتوفي الأيدي. في الوقت نفسه راح جنودنا يطلقون الرصاص من بنادقهم. راح أزيزالرصاص

يملأ الفضاء صدى وضوضاء رهيب. بعد فترة وجيزة إقترب جيشنا كثيراً. صرنا على مقربة صغيرة منهم.. مسافة لا تتجأوز الثلاثين متراً من الجيش الروسي. صار القتال بالسلاح الأبيض.. بالسيف والحربة.. طعن وقطع أجساد.

حأول الروس الهرب من ميدان المعركة عبر الجسر. لكن الجسر انهار عليهم فأودى بحياة أفراد جيشهم غرقا في المياه المتجمدة الباردة.

في الساعة الخامسة بعد الظهر إنتهى كل شيء. كان النصر الأول لي. النصر الأكبر! سرت بمحاذة الجنود.. درت حولهم مدة طويلة. بقيت معهم إلى حدود منتصف الليل. كنت متعباً ومجهداً. طوال الوقت كنت في العراء.. أمشي على الأرض مدثراً بمعطفي الرمادي الداكن. راح إسمي بعد المعركة يضرب الأفاق.. في كل أوروبا. للنصرالذي أحرزته على الروس في نارفا.. صرت مشهوراً!

فقط بضعة مئات من الجنود السويديين ماتوا. بينما مات للجانب الروسي بضعة آلآف. حصلنا على الكثير من المعدات العسكرية.. بنادق وسيوف. وأيضاً الكثير من التوابيت المملوءة بالنقود والسبائك الذهبية وأشياء آخرى ثمينة.

النصر الأول أعطاني الشجاعة في مواصلة الحرب ضد أعداء السويد.

الحرب مثل الشطرنج تخضع لحسابات دقيقة. تدرس بدقة. خطط نفسك وخطط عدوك. كيف تمركزفرقة عسكرية ومتى تجهز. ساعة توقيت الصفرفي الهجوم. هذا يعني إنه يتوجب أن يقيم المرء وضع جنوده.. الفرسان في المكان الصحيح.

إنها لعبة مثيرة عن الحياة والموت.. الهزيمة أو النصر. لكن لم أفكر بالخسارة على الإطلاق!

كنا أمام حاكم روسيا القوي والعنيد بطرس الأكبر. حتى يلتقي الجيشان يتوجب علي أن أعبر إلى بولونيا. ملك بولونيا في ذلك الوقت كان أوغست.. القوي.. الصديق الحميم لقيصر روسيا الأكبربطرس. لهذا علي أن أهجم على أوغست وأنتصر عليه.

بعد عامين.. في يوم صائف. بدأنا القتال خارج مدينة كراكوه الكائنة في جنوب بولونيا. بعد ستة ساعات من القتال. هزم نا البولونيين. قتل منهم ألفان من الجنود.. ومثلهم أسرى.

كان نصراً كبيراً. جعل العديد من الدول والملوك تنظرلي بعين الأعجاب.. كبطل ومحارب صلب.

مكثنا في بولونيا ستة أعوام. بين الحين والآخريبدأ القتال بيينا وبين روسيا وبولونيا من جهة آخرى. دائماً كان النصر إلى جانبنا.

طوال الوقت كنت إنتظروصول الأسلحة والمعدات من الجنود من السويد وفنلندا من أجل الالتحاق بي.

تعلمت الصبر والآنتظار.. علمتني الحياة أشياء كثيرة!

دائماً أحتاج للوقت الطويل من أجل أن أنتقل من هذا الميدان إلى ميدان آخر.

خلال هذ الوقت زارني العديد من النبلاء من بلدان متعددة. أحد الفرنسيين تحدث في رسالةفحواها كالتالي:

ـ الملك كارل شاب يافع.. ربما يكون طويلاً ونحيفاً.. شعره بني وقصيروسبل.. عليه معطف أزرق قصيرمتسخ.. يمتشق حساماً أطول مرتين من أي سيف آخر. في الغالب لا ينزع حذائه من قدميه عندما يذهب إلى النوم. مرات كثيرة ينام على كومة التبن مثلما ينام المرء على الأرض المتسخة.الملك كارل كثير الصمت.

نعم.. كنت كثير الصمت مثلما كان عليه والدي. لم أتكلم إلى أحدهم على الإطلاق فيما أفكرأو أخطط أوما أرمي له في المستقبل.

كنت وحيداً. أحب أن أقررما أريده لوحدي. أبقى صامتاً طوال الوقت. عندما يتحدث الطاقم الإستشاري المرافق لي.. إسمع وأنصت. لكن في النهاية أقرروحدي ما أراه مناسباً دون أن إسمح لأحدهم أن يسأل أو ينطق بحرف.

لكن في إحدى المعارك تركت غيري يأخذ مكاني.

كنت أتواجد في كل مكان. أنتقل من موقع لموقع آخرمن جيشنا لاعتقادي أن هذا يشبه عمل أي جندي بطل.

خلال هذه المدة الطويلة كنا في بو لونيا. محاطين بالأعداء من كل الجهات. لقد مكثنا في نفس المكان مدة طويلة. كنت الجيش.. جميع المرافقين لي بحاجة ماسة للطعام يوماً بعد يوم وشهر بعد آخر وسنة بعد آخرى.

رحنا نغزوالأرياف وننهبها من أجل الحصول على الطعام. وما يثير الاستغراب أن البولونيين سلبوا أبناء جلدتهم ونهبوا المعوزين على طول عدة أميال من مخيماتنا أضعافامضاعفة لما قمنا به.

كنت أقتل بسهولة ويسركل معارض أو معترض على بقائنا هناك.. سواء كان رجلاً أوامرأة أو ولد.. بعدها أحرق الضيعة كلها بمن فيها حتى أخيف وأرعب الناس في جميع القرى المحيطة بنا. لم يكن الناس بالنسبة لي في القرى البولونية المجاورة لنا مجرد ناس عاديين.. لديهم أسرة وبيت إنما أعداء محتملين يجب سحقهم.

كانت الأخبار من استوكهولم تشير إلى تذمرالمستشارين والنبلاء مني لطول فترة الحرب ومن التكاليف الهائلة التي تسببت في إفراغ الخزينة من النقود.لهذا كان علي تدبرالأمرومتابعة نهب المدن والأديرة من أجل الحصول على الذهب والفضة. لقد أعددت جيشاً كبيراً من بلدان عديدة. هؤلاء يحتاجون

إلى رواتب وطعام ومؤنة ومعدات كثيرة. لهذه الأسباب إستمرت الحرب. القسم الأكبر من جنودي لم يعودوا إلى أوطانهم أبداً. العديد منهم فقدوا أيديهم أو ارجلهم. لكن.. لم أكن أبالي بهم على الإطلاق!

كنت أحب جيشي/ كارولينا/. لكن.. لم يكن يثير إهتمامي عدد القتلى أو الجرحى عندنا أو عند الأعداء أو كم من البولونيين أحترقوا أوشنقوا. ....يجب أن أدافع عن السويد بأي ثمن.

كنت أخاف من الليل و الظلمة وما سيحدث تحت جنح الظلام. لهذا سمحت لبعض الجنود بالنوم في خيمتي.

تابعت روسيا هجومها وأخذت أجزاء كبيرة من الأراضي الواقعة على أمتداد الساحل الجنوبي لبحر البلطيق. تلك الأراضي كانت تابعة للسويد لمئة سنة خلت. لهذا يجب أن أنتصر على بطرس روسيا الأكبروجيشه. ألتفتنا نحوروسيا.. لكن الشتاء القاسي حل علينا. لم يسمح لنا بمتابعة السير والزحف. العديد من جيشنا تجمد من البرد حتى الموت. لم يبق معنا طعام.

الملك يتحدث عن المعركة:

لم تكن بولتافا إلا مدينة صغيرة. لكن في داخلها يكمن بضعة الآف من الجنود الروس. لقد إنتظر ت طويلاً هذه اللحظة الجميلة! إنتظرت وصول القيصر بطرس الأكبرإلى بولتافا قبل أن أبدأ هجومي على المدينة. أريده أن يكون موجوداً.. حتى يساعد جنوده حين أزحف عليه.. من أجل أن أسحقه وأنتصر عليه.جئنا إلى مولتافا في مايو/ايّار/ من العام 1709.في فترة الآنتظار.. إنتظار مجيء القيصر.. التفت إلى الوراء نحوجيشي من أجل تحفيزه.. ورفع روحه المعنوية.كنت قد نجحت في جمع عدد كبير من الجنود يصل إلى خمسة وعشرين ألفاً منهم. كانت كارولينا/ جيش كارل الثاني عشر/ تعاني من مشاكل كثيرة.. بضعة الآف من الجرحى وعدد مضاعف منهم يحتاج

إلى رعاية ومساعدة ومثلهم الخيول المجهدة والعربات المعطلة التي تحتاج إلى إصلاح. كل هذه الأشياء تحتاج إلى وقت لالتقاط الآنفاس وعلاجها قبل البدء بأي شيء آخر.

بالإضافة إلى ذلك كان المعسكريعج بالنساء والأطفال في المخيمات. الكثير من الضباط والجنود كانوا متواجدين مع عائلاتهم. هناك الكثير من الخادمات والممرضات وأشياء كثيرة لخدمة حاجات الجيش والحرب.

إستمرت الحرب لمدة عشرة أعوام.

لقد اعتاد الكثيرمن الجنود على هذا الوضع. من الصعوبة بمكان أن ينتقل من هذه الحالة إلى حالة آخرى. لقد صارت الحرب جزء ا من حياته وعمله الذي يعتاش عليه.

الآن يجب أن نستعد للهجوم على الروس وبطرسهم الأكبر. لقد سمحت للجيش أن يحفرخندق عميق حول المدينة على طول محيطها الدائري. بهذه الطريقة نستطيع أن نعزل الروس عن بعضهم عند إقترابهم من المدينة.

في إحدى الأيام كنت على جوادي بالقرب من النهر، من أجل التحري ومعرفة الوضع الميداني على الأرض. أصبت برصاصة في قدمي. في البدء لم أخذ الأمرعلى إنه شيء. شيئاً فشيئاً بدأ الرصاص يلعلع بالقرب من رأسي. كان الرب معي ومع جنودي. لقد نجوت من الموت المحقق باعجوبة.

حينها سقطت على الأرض مغشياً من الألم. عندما عدت إلى المعسكروجدت رصاصة صغيرة مخترقة جزمتي اليسرى وهشمت بعض العظام في داخل قدمي.الإصابة لم تكن خطيرة.. الجرح لم يكن عميقا. بسرعة راح يلتئم. لكن الالتهاب أخذ يتمدد ويكبرداخل القدم لدرجة أعتقد البعض إنني سأموت خلال بضعة أيام.

بينما كنت مستلقياً في خيمتي كالعاجز. بدأ القيصر بطرس الكبير يقترب منا. كان لديه عدد كبير من الجنود والمعدات. خلال فترة قصيرة.. راح يغرز أوتاد خيام معسكره بالقرب من النهر إلى الشمال من بولتافا.

لم يكن لدي خيار آخرسوى المباغتة والهجوم قبل أن يستعدوا. ثم نلحق بهم هزيمة ساحقة وماحقة. لكن لم أكن في الوضع الذي يسمح لي أن أكون في مقدمة الجيش.. أن أقوده وأسيربه. إلى أخذ زمام المبادرة والنصر.

كنت على النقالة، مربوطاً ومثبتاً بين حصانين. من هناك، أستطعت أن أعطي الأوامرللجنود والأبواق.

في الليل جمعت الضباط. شرحت لهم كيف يمكن أن تتوزع الفرق العسكرية.

الساعة الآن تشير إلى الواحدة والنصف.

تحت جنح الظلام الأسود خارج خيمتي. كانت النقالة والخيول تنتظرني. في الجانب الآخرمن مولتافا.. كان النوم يرخي بذيوله على عدوي بطرس وجنوده.

أطلقت الأبواق النفيرالعام من أجل البدء بالهجوم. لكن الظلام أربك الجنود. الضباط لم يتفقوا على موقف موحد.. لم ينفذوا أوامري. الجنود لم يروا بعضهم. ضاعت الوجوه في الظلام وأرتبكوا وأختلط الحابل بالنابل. خلال هذا الوقت كان بطرس وجيشه قد أخذ الحيطة والحذر.

بدأ النهاريطلع بالتدريج قبل أن أبدا الهجوم النهائي وقبل أن يستعد الروس.

حتى طلوع النهاركنت متأكداً من إننا سننتصر. كانت قدمي تؤلمني. لكن كنت أستطيع أن أصرخ أو وإسمع الجنود الذين يحملون نقالتي من مكان إلى آخر.

عندما نهضت الشمس من مخدعها.. كان الهواء يمتلئ بالبارود والدخان.. الغبار والرماد يفرش أنفاسه على المدى الواسع ويمنع الرؤية على مسافة متر.

الأصعب كان الدخان الثقيل والكثيف المنبعث من المدافع. كلا الجيشان كان يكافح تحت ثقل الضباب الأسود السديمي الكتيم.

الجنود هائمون على وجوههم في هذه الظلال.. يصولون ويجولون داخل الضباب الذي يفل قلوبهم. الجنود الروس يطلقون النار على الروس والجنود السويديون يطلقون النار على رفاقهم. الأبواق تستصرخ المدى وتحث كلا الطرفين على مواصلة الذبح.. تبعث الاشارات والرموز من أجل أن يختفي الصراخ وصوت الوجع.. من أجل أن يموت صوت الألم المنبعث من القلوب الجريحة.. ان يموت صوت الموت للأحياء المقتربة من الموت سواء كان الجنود أو الخيول.أحد الخيول التي كانت تحمل نقالتي أصيب برصاصة فسقط على الأرض. فوجب ان أدبر حصاناً آخر.. بعد قليل أصيبت نقالتي.

سمحت للضباط أن يجتمعوا من أجل المعركة الحاسمة.

كان أمامنا الآلآف من الجنود الروس لكن الجنود السويديون تحركوا بشجاعة وبسالة نادرة و اتجهوا إلى الأمام متحدين الرصاص المنبعث من البنادق الروسية. كذلك الصراخ والآندفاع خرج من الجانب الروسي وفي اذهانهم الموت أو الحياة.

كانت النقالة التي تحملني قد تكسرت. لكن أحدهم ساعدني ووضعني على الحصان. خلال لحظات.. مات الحصان الذي حملني. بعد قليل حصلت على حصان آخر بسرعة.

خلال هذا الوقت استطاع الجيش الروسي أن يحاصر الجيش السويدي وراح فينا الطعن والقتل.. الآلآف ماتوا في المذبحة. المذبحة إستمرت ساعات. سقط مثلها من الضحايا في الجانب الآخر في الوقت نفسه.

في الساعة الحادية عشرة قبل الظهر.. كان كل شيء قد إنتهى.

الجيش الروسي حسم المعركة وأنتصر.. بينما أنا خسرت!كنت مجروحاً. يجب أن أحمل على نقالة.

قبل لحظات. كان لدي الآف الجنود. بينما الآن لدي بضعة مئات يحأولون أن يخلصوا بجلودهم قبل أن يقعوا في الأسربيد بطرس روسيا الكبير.

حأولت مع جنودي أن نتجه إلى تركيا التي كانت في حالة عداء وحرب مع روسيا. نتجه إلى مدينة صغيرة إسمها بيندر.

يتوجب علينا أن نأخذ طريق آمن وسليم لكي نصل إلى بيندر. هناك. كنت أمل أن يساعدني الأتراك من أجل تجهيز جيش ومواصلة الهجوم على الروس.. لكن الأتراك لم يقبلوا.خمسة أعوام وأنا إنتظر في بيندر.

حكمت السويد بمساعدة من سعاة البريد الذين يذهبون عدة مرات في الشهرعبر أوروبا إلى استوكهولم. في البدء كان الأمر يتعلق بتأمين المال من أجل دفع رواتب الجنود ومواصلة الحرب. بالإضافة إلى ذلك.. كانت هناك مشكلة آخرى علي الإهتمام بها. العام بعد العام قتل الآلآف من الجنود الشباب في ميدان المعركة التي خاضتها السويد في مواجهة أعدائها. الكثير من المزارع والحقول أقفرت لأن النساء لم يستطعن رعاية الماشية وتربيتهن. كما لم يستطعن القيام بأعمال الزراعة ومستلزماتها. وهذا أثر على المواإسم وجعلها في حالة كساد. القمح.. الذرة والشوفان لم ينضج بسبب الجفاف أوالتجلد والبرد المصمط.

علأوة على ذلك. علمت أن أختي هيدفيك صوفيا القريبة من قلبي. التي أحبها كثيراً قد ماتت. راح اليأس والكآبة تغزوروحي وقلبي. رمى قلبي في مستنقع البكاء والقهر. ربما هذا البكاء كان الأول لي في حياتي. بكيت عدة أيام متواصلة. كنت أحزن على الأحداث التي حلت أخيراً بي.

كنت في ساحة الحرب مدة تسعة أعوام. تسعة أعوام من الهجوم.. الدفاع.. دم وأكوام من الجثث والموتى من الجنود. ماذا فعلت بحياتي؟ لقد تزوج والدي امرأة فاضلة وطيبة ورزق بأبناء يحبونه. بينما الشيء الوحيد الذي أثار إهتمامي وعملته هو الحرب. عندما إستلمت الرسالة الأخيرة. عندما قرأت خبر وفاة أختي أحسست وفهمت مقدار الخسائر التي تعرضت لها في حياتي. لم يبق لي إلا أختي أولريكا إليونورا.

تدريجياً راح الأتراك يسأمون من وجودي على أرضهم. مضت الأيام تزداد صعوبة يوماً بعد يوم. بعد أربعة أعوام دخل الأتراك والجنود السويديون في نزاع مسلح. نزاع أشبه بأحداث الشغب في المنطقة التي أعيش فيها/بيندر/. قتل من جنودنا بضعة رجال. بعد ذلك ألقوا القبض علي ووضعوني في السجن. نقلت إلى مكان ما. وضعت في السجن عشرة أشهر. تركت هناك مثل الانسان العاجز المشلول على سريره. كنت أتساءل أين هم الآن جنودي.. كيف السبيل لأخذ حقي وأنتقم من الذين فعلوا ما فعلوه بي! هناك في الجانب الآخر.. روسيا ورجلها القوي بطرس.. سلطة ونفوذ وقوة. بصراعه معي.. جردني من كل مكامن القوة والسلطة والنفوذ. كنت في الثلاثين من العمر.. عاجز وضعيف. لا أملك من وسائل البقاء إلا الغربة والإحساس بالخواء!

مضت أعوام طويلة.. أربعة عشرة عاماً بعيداً.عن الوطن والأهل والأحبة.

إستلمت رسالة من أختي أولريكا إليونورا تقول في فحواها:

ـ الأوصياء على الحكم في السويد. يفكرون جدياً.. بملك آخر. ملك يحكم البلاد. لأنك لم تعد أبداً.

عندما إستلمت الرسالة في أيلول/سبتمبرمن العام 1714 قررت أن أعود إلى السويد مع بضعة ضباط مررورا عبرتركيا. تنكرت بثياب العامة.. عامة

الناس حتى لا يقبض علي أحدهم. عزمت على الرحيل عبر روسيا أو المانيا. وضعت على رأسي باروكة سوداء ولبست ثيابا آخرى حتى لا تثير الإهتمام.. غير تلك الثياب التي اعتادوا أن يروني بها!

ركبت على الحصان مع اثنان من رجالي. سرنا عبررومانيا.. أوكرانيا.. النمسا.. المانيا. سرنا مباشرة إلى مدينة سترولستوند. كانت ما تزال ضمن المملكة السويدية. لقد قطعنا كل الأراضي الأوروبية خلال أسبوعين. نجحنا في الوصول إلى المبتغى. خلال هذه المدة الطويلة من السفر لم أخلع أحذيتي من قدمي التي تورمت داخله. لهذا كنت أحتاج إلى مساعدة أحدهم من أجل نزع الاحذية من قدمي قبل أن أنام!

على ظهر السفينة جلست متأملاً.. خمسة عشرة عاماً في الحرب والغربة والأسروالضياع. أخيراً عدت إلى البلاد.. بلادي!

عندما صرت ملكاً. عندما بدأت أول معركة لي. كانت السويد بلداً قوياً.. كبيراً. بينما الآن خسرت القوة والأرض. الأعداء على الأبواب من كل الإتجاهات يهددوا بالهجوم علينا. كنا في حالة حرب مع الدانمرك.. روسيا.. إنكلترا والعديد من الدول الألمانية.

كنت أسأل نفسي:

- في أي يوم سيبدأ الهجوم الدانمركي على السويد؟

لهذا قررت أن أفاجئ الدانمركيين ببدأ هجومي على النروج الواقعة ضمن سيطرتهم.

بعثت بالرسائل إلى الناس في المملكة السويدية والأجزاء التابعة لها من أجل التحضيرللأيام القادمة. التجهيزات اللأزمة من الرجال والمعدات كالطعام والخيول.. التبن والعربات.. البنادق والمدافع وأشياء آخرى من مستلزمات الحرب.

كان الشعب السويدي قد تعب من الحروب التي لم تنته. مع هذا نجحت في جمع ما أريد. من أجل الحرب والمباغتة والهجوم.

كنت ما أزال ملك السويد.

بعد عدة سنوات من الحرب في بولونيا تعلمت كيف يدبر المرء الحاجات اللأزمة للجيش والحرب.

في شهر تشرين الأول/ أكتوبر/ من العام 1718 كان كل شيء جاهزاً.

الآن علينا أن ننتزع النروج من الدنماركيين وأن نثبت للأعداء أن السويد ما تزال دولة قوية.

كالعادة.. لم أتحدث مع الآخرين عن الخطط التي في رأسي. ...كان الجيش يثق بي.

بجانب مدينة سفينسود قرب بوهولسن على الحدود ما بين السويد والنروج. كانت تقع مدينة ريدريكسهولد. هناك كان يوجد حصن منيع. كان علي أن أنتزعه بالقوة. من أجل ان إستمر في التوغل في العمق النرويجي.

لكن الدانماركيين في الحصن أبدو ا مقأومة عنيفة ضد الجيش السويدي. لكننا أستطعنا أن ننجح في السيطرة على حصن أصغريقع بالقرب من الحصن الأكبر.

لقد أمرت بحفر خندق حول الحصن كما فعلت في مولتافا في بولونيا في مرحلة التحضير لمواجهة الجيش الروسي. حفرنا الخندق كمسار طويل حول الحصن من أجل حماية جنودنا من رصاص الجنود الدانماركيين.

الآن الدانماركيون تحت الحصار من قبل جنودنا. عاجلاً أم أجلاً سيستسلموا ولدينا الوقت الكافي للإنتظار! لقد علمتني التجربة أن إنتظريوم أو شهر أو سنة في الحرب وأنتصر على أعدائي.

كنت محارباً مميزاً وممتازاً! أضحت بلادي فقيرة. لكن مع هذا نجحت في ترتيب الوضع.. جهزت جيشاً من أجل مواصلة الحرب. الكثير من السويديين كانوا يكرهوني بسبب الحروب الكثيرة التي خضتها. النبلاء لم يكونوا يرغبون في عودتي إلى العرش. كانوا يرغبون أن تتولى أختي أولريكا إليانورا العرش في السويد .

لكن الحرب إلى الآن لم تنته.. ولدي رغبة كبيرة في الانتصار على أعدائي.

ليل الأحد الواقع في الثلاثين من نوفمبر/تشرين الثاني/ من العام 1718. صعدت فوق سد ترابي ورحت أرى الطرف الآخر من الحصن الذي يتمركز فيه الدانماركيين. من هذا المكان رحت أراقب كيف يستطيع جنودنا حماية أنفسهم من رصاص الأعداء .

من خلال الجبل الطويل / جبل أوفاند/ كانوا يطلقون علينا الرصاص طوال الوقت. كانوا يستعملون الخردق الصغيرالقاتل. يطلقون علينا طوال الوقت.. الرصاص يعبربيننا. أحد رجالي حذرني أن لا أتسلق السد. لكن طوال حياتي كنت مغامراً لا ألتفت إلى نصائح أحد .

إذا مت.. سأترك ورائي بلداً فقيراً وبائساً. بعد أن كان في عهد والدي قوياً ومنيعاً. أعرف تماماً إنني لن أستطيع أن أستعيد ما خسرته حتى لو حاربت ستة عشرة عاماً. لهذا يجب أن أهجم على الحصن الواقف أمامي.

الحرب الوحيدة الأهم حدثت خلال حياتي. لهذا.. ربما وقفت على السد الترابي بالرغم من التحذيرالذي سمعته. وفي تلك الظلمة.. لم أخف على الإطلاق من أن أصاب بطلق ناري. في تلك الظلمة أصبت بطلق ناري. طلقة صغيرة أنهت حياتي المجازفة.

مات الملك كارل الثاني عشرفي عمر لا يتجأوز السادسة والثلاثين.

وضعوا الجثمان في التابوت وحملوه على عربة يقودها ستة أحصنة ونقل إلى استوكهولم.

كان الشتاء على الأبواب ورحلة الموت أخذت وقتاً طويلاً.

في الأول من يناير/ كنون الثاني/ وصل الجثمان إلى المدينة التي غادرها قبل تسعة عشرة عاماً.. إلى استولهولم.

الكاتب هانس بيترسون/نقلها عن السويدية/آرام كربيت

اهمية المعركة: وضعت نهاية للهيمنة السويدية بصفتها قوة عسكرية سائدة في أوروبا. كما أسفر الانتصار في المعركة عن نتائج هامة لروسيا في العلاقات الدولية، اذ انه آخرج روسيا إلى الصعيد الدولي الواسع وحمل دول أوروبا كلها على أن تقيم لها وزناً وغير جذريا دور روسيا في تسيير أمور أوروبا آنذاكمن اجل فرض السيطرة على منطقة البلطيق (أعوام 1700 – 1721).

وتعد معركة بولتافا تعد أكبر معركة في الحرب الشمالية التى جرت بين روسيا والسويد من اجل فرض السيطرة على منطقة البلطيق (أعوام 1700 – 1721).

حدثت معركة بولتافا في صباح يوم 27 يونيو/حزيران عام 1709 بالقرب من مدينة بولتافا الواقعة في أوكرانيا. وأدى الانتصار الحاسم للجيش الروسي في المعركة إلى انعطاف جذري في سير الحرب الشمالية لصالح روسيا.
ووضع نهاية للهيمنة السويدية بصفتها قوة عسكرية سائدة في أوروبا.

توفرت في المعسكرين المتجابهين غداة وقوع المعركة القوات التالية:
كان لدى الجيش السويدي 35 الف جندي و 39 مدفعا، فيما كان لدى الجيش الروسي 42 الف جندي و 102 مدفع. وفشل كارل في فرض الحصار على مدينة بولتافا واضطر إلى ملاقاة الجيش الروسي على مشارف المدينة حيث

حدثت الموقعة. واسفرت المعركة عن هزيمة ساحقة للجيش السويدى وهروب قائدها كارل إلى الامبراطورية العثمانية.

جدير بالذكر ان معركة بولتافا حددت سير الحرب اللاحق، إذ أنها أدت إلى انتهاء الجيش السويدي فيما لم يتكبد الجيش الروسي خسائر جسيمة وفقد اقل من 1500 جندي بين القتلى و 3000 جندي بين الجرحى. ويدل ذلك على قدرة ونضج الجيش الروسي والمستوى المرموق لفنه الحربي. وغير الانتصارالروسي في معركة بولتافا توازن القوى للمعسكرين المتحاربين وعزز مواقع روسيا في منطقة البلطيق. كما أسفر الانتصار في المعركة عن نتائج هامة لروسيا في العلاقات الدولية، اذ انه آخرج روسيا إلى الصعيد الدولي الواسع وحمل دول أوروبا كلها على أن تقيم لها وزناً وغير جذريا دور روسيا في تسيير أمور أوروبا آنذاكمن اجل فرض السيطرة على منطقة البلطيق (أعوام 1700 – 1721).

حطين

"كانت معركة حطين بداية النهاية للصليبيين في المنطقة ، فهي _وان لم تحطم ممالك الفرنج ولم تقض عليها نهائياً - ، إلا أنها شكلت بداية جديدة لموازين القوى ، وأكدت أن قوة الفرنج يمكن أن تقهر ، فقد كانت معركة فاصلة بين حدين ، أي أنها ختمت مرحلة الهزائم والدفاع عند المسلمين وأسست مرحلة الانتصارات والهجوم "ولو التزم صلاح الدين بالحكم الشرعي، وسلم الدولة لمسلم قوي تقي بدل توريثها لابنائه، فلربما كان لتلك المعركة نتائج أعظم بكثيرمما كان. ولو عامل الصليبيين كما عاملونا يوم فتحوا القدس فلربما لم يجرؤوا على التفكير بالرجوع ابدا!!!

وقال المؤرخ الانجليزي لين بول عن فتح بيت المقدس:

"لو لم يكن لصلاح الدين من الأعمال الثابتة إلا أخذه بيت المقدس لكان ذلك كافيا لجعله أعظم الفاتحين في عصره وأكبرهم بل لعله كان كذلك في أي عصر من العصور".

التاريخ :الجمعة 4 تموز 1187 م /24 ربيع الآخر 583هـ

الاطراف المتحاربة": المسلمون والصليبيون

عدد الجيش والقادة:

المسلمون: 12000 جندي نظامي وما يقاربهم من المتطوعين بقيادة صلاح الدين الايوبي

الصليبيون : 60000بقيادة غي دي لوزينيان ملك القدس وريموند(زعيم امارة طرابلس)...

السبب: الغارة اللصوصية التي شنها رينالد دي شاتيلون (أرناط) على قافلة للمسلمين.

عددالقتلى المسلمين: ؟

عدد القتلى الصليبيين: يقال إن عدد القتلى بلغ ثلاثين ألفاً ، والأسرى كذلك كانوا ثلاثين ألفاً"ابن كثير".

تمهيد تاريخي:

في عام 1095 دعا البابا اربان الثاني إلى شن حرب صليبية للسيطرة على الأراضي المقدسة في فلسطين، معلناً أن تلك هي مشيئة الله، ولم تنقض أربعة أعوام على تلك الدعوة حتى كان الصليبيون قد إحتلوا بيت المقدس، وذبحوا معظم سكانه بعد حصار دام، وأقاموا في أثناء ذلك، العديد من الممالك، التي تركزت حول المدن والقلاع المنتشرة في المنطقة، وإستمرت السيطرة للصليبيين على بلاد الشام حتى معركة حطين بقيادة ال سلطان الناصر صلاح الدين.

اهمية المعركة:

حطين معركة فاصلة بين الصليبيين وقوات صلاح الدين المسلمة، وقعت في قرية المجأودة، بين الناصرة وطبرية انتصر فيها المسلمون، ووضع فيها الصليبيون أنفسهم في وضع غير مريح إستراتيجيا في داخل طوق من قوات صلاح الدين، أسفرت عن سقوط مملكة القدس وتحرير معظم الأراضي التي إحتلها الصليبيون.

كانت مناطق من البلاد الإسلامية و القدس تحديدا قد إحتلت من قبل الصليبيين عام 1099 م، وكان الإقطاعيون الصليبيون والفرسان قد نصبوا أنفسهم أمراء وملوك على تلك المناطق، فكان هذا على مدى قرن دافعاً لتحرير البلاد من الإحتلال، وكانت غارة لصوصية شنها أحد بارونات الإفرنج البارزين، رينالد دي شاتيلون (أرناط) السبب المباشر لهجوم المسلمين، رينالد دي شاتيلون كان مغامرا وقحا وسبق له أن اجتاح قبرص البيزنطية في سنة 1155 م وعمل فيها سلبا ونهبا، وكان قد أسر عند نور الدين زنكي قبل

سنة، وبعد إخلاء سبيله استقر في حصن الكرك، وعكف على نهب وسلب قوافل التجار المارّة في الجوار، لأن الحصن كان يقطع الطريق من سوريا إلى مصر و الحجاز، وفي أوآخر سنة 1186 م ولربما أوائل 1187 م، شن رينالد غارة (خلافا لشروط هدنة عقدت في 1180) على قافلة متجهة من القاهرة إلى دمشق ونهب بضائعها ، وأسر أفرادها وزجهم في حصن الكرك، ، ، فناشدوه الله والصلح الذي بينه وبين المسلمين فقال مستخفا بالنبي (ﷺ) : قولوا لمحمدكم يخلصكم ، وبلغ الخبر السلطان فنذر إن ظفر به ان يقتله .

ثم طالب صلاح الدين ملك القدس آنذاك غي دي لوزينيان بالتعويض عن الضرر والإفراج الفوري عن الأسرى و محاسبة الناهب، ولكن الملك لم يجازف بمس تابعه القوي رينالد، فكان قرار صلاح الدين اعلان الحرب على المعتدين.

العمليات العسكرية التي سبقتها

في البدء اجتاحت قوات صلاح الدين في الربيع الباكر من عام 1187 م مناطق قلعتي الكرك وكراك دي مونريال، وبعد شهرين بدأ القتال ضد الصليبيين، واحتشدت قوات المسلمين المُنْطَلِقَة مِنَ دمشق نحو بحيرَةَ طبريا وضم جيش الشام الموحد قوات من دمشق وحلب والموصل، ووافاه جيش من مصر بقيادة الملك العادل فضمّه إلى جيش الشام، وسار بهما إلى تل عشترة.

في ايّار ايّار 1187 م أبيدت قرب الناصرة فصيلة كبيرة مؤلفة أساسا من الفرسان الصليبيين، ولقي الأستاذ الأكبر لجمعية الأوسبيتاليين روجيه دي مولان مصرعه.

عبرت جيوش المسلمين نهر الأردن جنوبي طبريا، وسارت في اليوم التالي إلى تل كفر سبت (كفر سبيت) في الجانب الجنوبي الغربي من طبريا، وحاولت الاشتباك مع الصليبيين، فرفضوا القتال، وفي 2 تموز استولت جيوش

صلاح الدين على طبرية قاطعا على عدوه طريقه إلى الماء.
أحداث معركة حطين

أحرق المسلمون الأعشاب والشجيرات في ساحة المعركة، واستولوا على عيون الماء، لتعطيش الصليبيين واجبارهم على النزول للاشتباك معهم ولما وصل الصليبيون إلى السهل الواقع بين لوبيا وحطين شن صلاح الدين هجوما ففروا إلى تلال حطين، فحاصرت قوات المسلمين التلال، وأقبل الليل وتوقف القتال، في اليوم التالي وفي قيظ شديد ونقص في مياه الشرب قامت معركة حطين، ولف الفرسان الصليبيون الذين انتظموا على مرتفع حطين سحب الدخان المتصاعد إلى أعلى، فالتحم الجيشان على بعد ميلين من حطين ، فتضعضعت صفوف الصليبيين وأهلكت سهام جيوش المسلمين الصليبيين، ثم شن هجوم بالسيوف والرماح، فقتل وجرح وأسر الكثير، فاستسلم الألوف منهم، وقام الصليبيون بمناورة، فتقدم قائد الفرسان ريمون الثالث أمير طرابلس ، وزحزح بهجومه هذا قوة يقودها تقي الدين عمر، فظن الصليبيين أنهم فتحوا ثغرة في صفوف صلاح الدين فاندفعوا فيها، وحاصر جيش صلاح الدين جزء من الجيش الصليبي فشطره إلى شطرين. ودامت المعركة نحو 7 ساعات سقط فيها الآلاف بين جرحى وقتلى، ووقع الملك غي دي لوزينيان ملك القدس آنذاك في أسر صلاح الدين، بالإضافة إلى العديد من القادة والبارونات، ولم ينج إلا بضع مئات فروا إلى صور واحتموا وراء أسوارها.

بعد المعركة:

قال ابن كثير : " فلما تمت هذه الوقعة ووضعت الحرب أوزارها أمر السلطان بضرب مخيم عظيم ، وجلس فيه على سرير المملكة وعن يمينه أسرة وعن يساره مثلها ، وجيء بالأسارى تتهادى بقيودها ، فأمر بضرب أعناق

جماعة من مقدمي الدأوية "فرقة دينية عسكرية شديدة البأس – صبراً ، ولم يترك أحداً منهم ممن كان يذكر الناس عنه شراً".

ثم جيء بملوكهم فلجلسوا عن يمينه ويساره على مراتبهم ، فأجلس ملكهم الكبير عن يمينه ، وأجلس أرناط برنس الكرك وبقيتهم عن شماله ، ثم جيء إلى السلطان بشراب من الجلاب مثلوجاً ، فشرب ثم نأول الملك فشرب ، ثم نأول أرناط صاحب الكرك فغضب السلطان وقال له : إنما نأولتك ولم آذن لك أن تسقيه ، هذا لا عهد له عندي ، ثم تحول السلطان إلى خيمة داخل تلك الخيمة واستدعى بأرناط صاحب الكرك ، فلما أوقف بين يديه قام إليه بالسيف ودعاه إلى الإسلام فامتنع ، فقال له : نعم أنا أنوب عن رسول الله (ﷺ) في الانتصار لأمته ، ثم قتله وأرسل برأسه إلى الملوك وهم في الخيمة ، وقال : إن هذا تعرض لسب رسول الله (ﷺ) ، ثم قتل السلطان جميع من كان من الأسارى من الدأوية والاسبتارية – الاسبتارية كالدأوية ، وأراح المسلمين من هذين الجنسين الخبيثين".

نتائج معركة حطين

كانت هزيمة الصليبيين في معركة حطين هزيمة كارثية، حيث فقدوا فيها زهرة فرسانهم ، و قتل فيها أعداد كبيرة من جنودهم و أسر فيها أعداد كبيرة أيضاً. و أصبح بيت المقدس في متناول صلاح الدين ، وكانت بداية النهاية للصليبيين في المنطقة ، إذ استمرت الحروب بعدها قرابة القرن انتهت أخيراً باقتلاع الممالك الإفرنجية من ساحل الشام وفلسطين، فحطين لم تحطم ممالك الفرنج ولم تقض عليها نهائياً ، بل أسست بداية جديدة لموازين القوى، وأكدت أن قوة الفرنج يمكن أن تقهر ، فقد كانت معركة فاصلة بين حدين، أي أنها ختمت مرحلة التراجع والهزائم للمسلمين وأسست مرحلة الانتصارات والتقدم .

ويقال أنه عندما وصلت أنباء الهزيمة الفادحة للصليبيين إلى البابا إربان الثالث خر ميتاً من وقع المفاجأة، فأصدر خليفته البابا غريغوري الثامن، في التاسع والعشرين من (تشرين أول) أمراً بابوياً يعزو فيه سبب الهزيمة إلى آثام المسيحيين، ويدعو إلى شن حملة صليبية ثالثة.

ويذكر أن صلاح الدين كان قد فتح بيت المقدس في الثاني من (ايلول)، أي قبل صدور الأمر البابوي، ولكن أنباء سقوط القدس لم تكن وصلت بعد إلى روما، أما الحملة الصليبية الثالثة فلم تنطلق حتى عام 1189، وكان على رأسها الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد، والملك الفرنسي فيليب آب الملقب بفيليب الثاني، والملك الألماني فريدريك الأول، وأطلق على تلك الحملة إسم «حملة الملوك» وامتدت حتى عام 1192، ولكن آلت في النهاية إلى الفشل، وانتهت بما عرف بصلح الرملة الذي أعاد السيطرة للمسلمين على سائر بلاد الشام وسمح للصليبيين بالاحتفاظ بشريط ساحلي يمتد من صور إلى يافا ولكن لفترة من الزمن فقط.

أحد الذين تمكنوا من النجاة بأنفسهم من قادة الصليبيين في حطين كان النبيل «باليان»، ويعرف بلقب باليان الراهب، الذي فر أول الأمر إلى صور، ومالبث أن إتصل بصلاح الدين طالباً السماح له بعبور خطوط المسلمين إلى القدس لاستعادة زوجته ماريا وأولاده من المدينة، وحصل من صلاح الدين الإذن المطلوب مقابل أن يقسم بعدم حمل السلاح ضد المسلمين، وعدم البقاء في المدينة أكثر من يوم واحد. ولكن ما إن وصل باليان إلى القدس حتى استدعته ملكتها سيبيلا وبطركها هرقل لتولي مهمة الدفاع عنها، وعندما تردد «باليان» في قبول الطلب، بسبب القسم الذي قطعه لصلاح الدين، أعفاه البطرك من واقع سلطته الدينية من تبعات قسمه، وسارع باليان من جانبه إلى إرسال وفد إلى صلاح الدين بغية الشروع في مفأوضات حول استسلام المدينة، وعندما رفض

صلاح الدين التفأوض قال الوفد لصلاح الدين أن باليان أصبح في حل من قسمه.

سماحة الإسلام مع أعدائه

وعلى الرغم من أن صلاح الدين غضب غضباً شديداً من باليان فإنه سمح لزوجته وعائلته بمغادرة بيت المقدس والسفر إلى طرابلس، وتفرغ باليان بعد ذلك لتعزيز دفاعات المدينة، وفي العشرين من (ايلول) وصل بجيشه إلى تخوم المدينة وعسكر خارج أسوارها.

تحرير بيت المقدس:

تطلعت الأنظار إلى القدس فأعد صلاح الدين عدته وبدأ حصارها في منتصف رجب 583هـ -20 ايلول 1187م، وكان داخل القدس حوالي ستين ألف مقاتل صليبي كلهم يرى الموت أهون عليه من تسليمها. وخلال أيام حصارها جرت صدامات عديدة وحاول المسلمون اقتحامها واقتتلوا «أشد قتال رآه الناس، وكل واحد من الفريقين يرى ذلك ديناً وحتماً واجباً فلا يحتاج فيه إلى باعث سلطاني». وطلب الفرنج الأمان مقابل تسليم المدينة فرفض صلاح الدين حنقا لما فعلوه بالمسلمين عندما إحتلوها قبل حوالي تسعين عاماً، ثم عادوا وطلبوا الأمان وهددوا إن لم يعطوه أن يقتلوا أسرى المسلمين وهم ألوف، ثم يقومون بقتل نسائهم وذراريهم من النصارى ويحرقون ويعطبون أموالهم، ويقتلون حيواناتهم، ويخربون الصخرة والأقصى، ثم يخرجون ليقاتلوا حتى النهاية قتال المستميت. وشاور صلاح الدين أصحابه فأجمعوا على الإشارة بالأمان، فأمنهم صلاح الدين.

ثم دخل في مفاوضات لتسليمها بشكل سلمي، مؤملاً بذلك تجنب مزيد من سفك الدماء، وعندما فشلت المفاوضات ضرب صلاح الدين حصاراً حول المدينة، ثم هاجم بوابتي دأوود و دمشق، وبعد عشرة أيام من الهجوم المتواصل تحول صلاح الدين إلى مهاجمة جانب من السور متاخم لجبل الزيتون ولا يحتوي على بوابة، وبعد أربعة أيام من القصف بالمنجنيق انهار الجدار وتدفقت قوات المسلمين إلى داخل المدينة، ولم يعد أمام الصليبيين المتحصنين داخلها سوى الاستسلام أو الإبادة، وعندها خرج باليان مع وفد من قادته لمقابلة صلاح الدين الذي رفض في البداية وقف الهجوم ولكنه عاد وقبل به حقناً للدماء.

وفي الثاني من تشرين أول 1187 قدم باليان لصلاح الدين مفاتيح برج دأوود وبذلك تم استكمال استسلام المدينة للمسلمين، وفي بادرة طيبة أعتق

صلاح الدين وكثير ون من قادته أعداداً كبيرة من الأسرى، وقبلوا في نفس الوقت الفدية من أعداد آخرى، وغادر المهزومون المدينة حاملين معهم كافة امتعتهم على شكل ثلاثة أعمدة، وبعد استيلائه على المدينة سمح صلاح الدين لمن بقي فيها من النصاريبم مارسة شعائرهم الدينينة بحرية تامة، وأعطاهم السيطرة على كنائسهم ومراكز عبادتهم.

وعلى عكس ما فعل الصليبيون عند احتلالهم للقدس وقيامهم بارتكاب مذابح ضد السكان دون تمييز بين المسلمين أو النصارى الذين كانوا يعيشون جنباً إلى جنب قروناً عديدة تحت راية الحضارة الإسلامية والدين الإسلامي الحنيف، فقد عفا صلاح الدين عن الأسرى من النساء والأطفال والشيوخ والعجزة وقدم لهم العون والمساعدة التي تبلغهم بلادهم لمن أراد العودة منهم، وأمن من رغب في البقاء٠ ووصف ذلك الشاعر أبو الفوارس سعد بن محمد فقال:

ملكنا فكان العفوا منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطح

وحللتم قتل الأسارى وطالما غدونا على الأسرى نمن ونصفح

وحسبكم هذا التفأوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

وتم للمسلمين فتح القدس في 27 رجب 583هـ-2 تشرين أول 1187.

وهكذا عادت بيت المقدس لتحكم براية الإسلام بعد 91 سنة هجرية (88سنة ميلادية)، وأعيد للمسجد الأقصى بهاؤه ونضارته، وعاد صوت الآذان يصدح في جنباته، وتم إحضار المنبر الذي أعده نور الدين للمسجد الأقصى قبل فتحها بعشرين سنة.

ومن المهم الإشارة إلى أن صلاح الدين تابع فتح المدن والقلاع الصليبية الآخرى، ففتح سنة 584هـ جبلة واللاذقية وقلعة صهيون، وفتح حصن بكاس

والشغر وسرمينية وبرزية ودرب ساك وبغراس. كما فتح الكرك وما يجأورها كالشوبك بعد طول حصار صلحا، « وفتح صلاح الدين صفد صلحا بعد حصار وخرج الفرنج إلى صور «وكفى الله المؤمنين شرهم فإنهم كانوا وسط البلاد الإسلامية»كما فتح كوكب. وفي ربيع الأول 585هـ فتح صلاح الدين شقيف أرنوم وهي من أمنع الحصون.وهكذا.. عادت أرض فلسطين لتحكم تحت راية الإسلام من جديد.

ذي قار

"لاشك ان ما حصل يوم ذي قار- ان صحت الروايات- قد كان معجزة سبق زمن المعجزات التي ستلي ذلك بعد ظهور الاسلام ،فان تتحدى قبيلة صغيرة أو بضع قبائل، كسرى الفرس لم يكن يخطر في بال ولا يتصوره خيال...وكان من نتيجة ذلك النصر ان ذهبت هيبة الفرس من نفوس العرب، مما ممهد لسلسلة من المناأوشات بدأها الشيبانيون ، وتلتها غزوات ومعارك المسلمين في نهأوند والقادسية وغيرهما لتكون نهاية تلك الدولة العظمى -على يد ابناء تلك القبائل الشريفة التي لاتسكت على ضيم-ممن اصبحوا جنوداً لدولة الاسلام.

لولا ذي قار -الذي اذهب هيبة الفرس- وتحريضات الشيبانيين وعلى راسهم المثنى لربما تردد المسلمون في مواجهة الفرس... ولذا يمكن القول ان معركة ذي قار كانت بداية النهاية لامبرطورية الفرس آنذاك."

التاريخ : اختلف المؤرخون في ذلك، منهم من جعله في يوم ولادة الرسول، ومنهم من جعله عند منصرف الرسول من وقعة بدر الكبرى، ومنهم من جعله قبل الهجرة. وقد ذهب "روتشتاين" إلى انه كان حوالي سنة "604 م"، وذهب نولدكه إلى انه بين "604" و "615 م". وأكثر أهل الأخبار انه وقع بعد المبعث ورووا في ذلك حديثا ضعيفا قالوا إن الرسول لما بلغه من هزيمة ربيعة جيش كسرى، قال: "هذا أول يوم انتصف العرب من العجم، وبي نصروا".

الاطراف المتحاربة": العرب والفرس

عدد الجيش والقادة:

1. **العرب :** القادة هانئ بن مسعود الشيباني الوائلي ولواء بني عجل حنظلة العجلي.

2.**الفرس:** الهامرز على الفرس، و النعمان بن زرعة على تغلب، وخالد بن يزيد البهراني على قضاعة وإياد، و إياس بن قبيصة على العرب كلها ومعه كتيبتاه الشهباء والدوسر.

تمهيد تاريخي:

في أواخر العصر الجاهلي وقبيل انتشار نور الإسلام بقليل كان هناك دولتين عظيمتين بلغ تاله أوج القوة وا لاتساع تحيطان بـأطراف شبه الجزيرة العربية وهما دولة الفرس ودولة الروم . في حين أن شبه الجزيرة العربية كانت بها قبائل متناحرة وتكاد تخلو من وجود دول الا بعض الإمارات الصغيرة كإمارة الاكيدر السكوني الكندي في دومة الجندل . وكانت هناك دولتين عربيتين صغيرتين أوجدتهما الدولتين العظميين كنطاق حاجز عن اعتداءات تلك القبائل وهما دولة المناذرة بسواد العراق من قبل الفرس ودولة الغساسنة بأطراف الشام الشرقية من قبل الروم . فكانت دولة الروم تسيطر على بلاد الشام في أقصى اتساع لها. في الوقت التي كانت دولة الفرس تسيطر على كامل العراق حيث كانت دولتهم في اشد قوتها وعنفوانها . وكانت عاصمتهم هي المدائن وهي بقرب موقع مدينة بغداد الحالية وكانت قبيلة بني بكر بن وائل إحدى القبائل العربية القريبة شيء ما إلى العراق حيث تحفها من جهة العراق أختهاقبيلة عنزة ابن أسد بينما كانتا قبيلتي طي وبني أسد ابن خزيمة هما الأقرب لسواد العراق في حين أن قبيلة أياد دخلت العراق و سوادة .

كانت قبيلة بني بكر في مجال حركتها و تجوالها في المرباع و المقيظ تجتال بين الصمان مرباعا مرورا باللبّة والحجرة إلى المقيظ على قراقر صيفا . وكان هذا ديدنها على مدار العام في تلك الفترة .

اما النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي، الملقب بأبي قابوس (582-610 م) فهو من أشهر ملوك المناذرة في عصر ما قبل الإسلام. كان داهية مقداما. وهو ممدوح النابغة الذبياني وحسان بن ثابت وحاتم الطائي. وهو باني مدينة النعمانية على ضفة دجلة اليمنى، وصاحب يوم البؤس والنعيم؛ وقاتل عبيد بن الأبرص الشاعر، في يوم بؤسه؛ وقاتل عدي بن زيد و. كان أبرشا أحمر الشعر، قصيرا. ملك الحيرة إرثا عن ابيه، سنة 582م، وكانت تابعة للفرس، فأقره عليها كسرى فلستمر إلى أن نقم عليه كسرى أبرويز قتله عديا بن زيد ورفضه تزويج بناته لكسرى وآله فعزله ونفاه إلى خانقين، فسجن فيها إلى أن مات وقيل: ألقاه تحت أرجل الفيلة، فوطئته، .

البداية:

ذكر كسرى بن هرمز يوماً الجمال العربي وكان في مجلسه رجل عربي يقال له: زيد بن عدي وكان النعمان قد غدر بأبيه عدي بن زيد وحبسه ثم قتله فقال له: أيها الملك العزيز إن النعمان بن المنذر عنده من بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة.

وأرسل كسرى زيداً هذا إلى النعمان ومعه مرافق فارسي لهذه المهمة، فلما دخلا على النعمان قالا له: إن كسرى أراد لنفسه ولبعض أولاده نساءاً من العرب فأراد كرامتك وهذه هي الصفات التي يشترطها في الزوجات. فقرأ عليه بالصفة التي أرادها. فشق ذلك على النعمان فقال لزيد والرسول يسمع: أما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته؟ فقال الرسول لزيد بالفارسية:ما المها والعين؟ فرد بالفارسية: "كأوان" أي البقر. فأمسك الرسول، فقال زيد للنعمان: إنما أراد الملك كرامتك، ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به. فأنزلهما يومين عنده، ثم كتب إلى كسرى: إن الذي طلبه الملك ليس عندي، وقال لزيد: اعذرني عند الملك.

فوصل زيد إلى كسرى فقرأ عليه كتاب النعمان. وأوغر صدره وقال: فسل هذا الرسول الذي كان معي عما قال. فقال للرسول: ماقال؟ فقال الرسول: أيها الملك، إنه قال: أما في بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ماعندنا؟ فعرف الغضب في وجهه، ووقع في قلبه ما وقع، ولكنه لم يزد على أن قال: رب عبد قد أراد ماهو أشد من هذا، ثم صار أمره إلى التباب. فشاع هذا الكلام حتى بلغ النعمان، وسكت كسرى أشهرا على ذلك، وجعل النعمان يستعد ويتوقع، حتى أتاه كتاب كسرى.

طلب كسرى للنعمان ومحاولته الهرب

أرسل كسرى إلى النعمان يستقدمه، فعرف النعمان أنه مقتول لا محالة فحمل أسلحته وما قوي عليه، ثم لحق بجبل طيء، وكان متزوجا إليهم، فأراد النعمان من طيء أن تدخله الجبل وتمنعه، فأبوا خوفا من كسرى، وقالوا له: لولا صهرك لقتلناك، فإنه لاحاجة بنا إلى معاداة كسرى ولا طاقة لنا به. فأقبل يطوف على قبائل العرب وليس أحد منهم يقبله،إلا بني رواحة من قطيعة بن عبس قالوا له: إن شئت قاتلنا معك -لمنة كانت له عندهم- فقال: ما أحب أن أهلككم، فإنه لاطاقة لكم بكسرى.

وذهب إلى بادية بني شيبان سرا، فلقي هانئ بن مسعود الشيباني، وكان سيدا منيعا، فاستجار به فأجاره، وقال له: قد لزمني ذمامك، وأنا مانعك مما أمنع نفسي وولدي منه، وما بقي من عشيرتي الأدنين رجل، ولكن ذلك غير نافعك، لأنه مهلكي ومهلكك، وعندي لك رأي، لست أشير به عليك لأدفعك عما تريده من مجاورتي، ولكنه الصواب. فقال: هاته. إن كل أمر يجمل بالرجل أن يكون عليه إلا أن يكون بعد الُملكِ سُوقة، والموت نازل بكل أحد، ولأن تموت كريما خير من أن تتجرع الذل أو تبقى سوقة بعد الملك، هذا إن بقِيتَ، فامض إلى صاحبك، واحمل إليه هدايا ومالا، والق بنفسك بين يديه، فإما أن صفح

عنك فعدت ملكا عزيزا، وإما أن أصابك فالموت خير من أن يتلعّب بك صعاليك العرب ويتخطفك ذئابها، وتأكل مالك وتعيش فقيرا مجأورا أو تقتل مقهورا. فقال: كيف بحرمي؟ قال: هن في ذمتي لا يخلص إليهن حتى يخلص إلى بناتي. فقال: هذا وأبيك الرأي الصحيح ولن أجأوزه.

ذهابه إلى كسرى

اختار النعمان خيلا وحللا يمانية وجواهر ووجه بها إلى كسرى، وكتب إليه يعتذر، ويعلمه أنه صائر إليه. ووجه بها مع رسوله، فقبلها كسرى وأمره بالقدوم إليه، فعاد إليه الرسول فأخبره بذلك وأخبره بأنه لم ير له عند كسرى سوءا. فأودع هانئ بن مسعود أهله وماله وفيه أربعمائة درع وقيل ثمانمائة درع. وتوجه النعمان إلى كسرى فلقي زيد بن عدي على قنطرة ساباط فقال: انج نعيم إن استطعت النجاء. فقال: أنت يا زيد فعلت هذا! أما والله لئن انفلت لأفعلن بك ما فعلت بأبيك. فقال له زيد: امض نعيم فقد والله وضعت لك عنده أخية لا يقطعها المهر الأرن.

فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه فقيده وبعث به إلى خانقين حتى وقع الطاعون فمات فيه .

ماقبل المعركة

أقام كسرى على الحيرة ملكاً جديداً هو إياس بن قبيصة الطائي وكلفه أن ويحضر ماعند هانئ بن مسعود من نساء النعمان وسلاحه وعتاده، فبعث إياس إلى هانئ يأمره بأن يرسل ما استودعه النعمان عنده من الدروع وغيرها، وقال له: لا تكلفني أن أبعث إليك ولا إلى قومك بالجنود تقتل المقاتلة وتسبي الذرية. فأبى هانئ أن يسلم ما عنده.

فلما بلغ ذلك كسرى غضب ، وأرسل إلى إياس بن قبيصة، وإستشاره في الغارة على بكر، فقال له: ماذا ترى؟ وكم ترى أن نغزيهم من الناس؟ فقال له

إياس: أرى ان تبعث عليهم العيون حتى ترى غرة منهم، ثم ترسل حلبة من العجم فيها بعض القبائل التي تليهم، فيوقعون بهم وقعة الدهر ويأتونك بطلبتك. فقال له كسرى: أنت رجل من العرب، وبكر بن وائل أخوالك، فأنت تتعصب لهم ولا تألوهم نصحا. فقال إياس: رأي الملك أفضل. فقام إليه عمرو بن عدي بن زيد -أخو زيد بن عدي- وكان كاتبه وترجمانه بالعربية وفي أمور العرب، وقال له: أقم أيها الملك، وابعث إليهم بالجنود يكفونك. وكان عنده النعمان بن زرعة التغلبي وهو يحب هلاك بكر بن وائل فقال لكسرى: أمهلهم حتى يقيظوا ويتساقطوا على ذي قار تساقط الفراش في النار فتأخذهم كيف شئت. فوافقه كسرى وأقرهم، حتى إذا قاظوا جاءت بكر بن وائل فنزلت بالحنو، حنو ذي قار.

مسير جيش كسرى إلى ذي قار

لما بلغ كسرى نزول بكر بن وائل حنو ذي قار، عقد للنعمان بن زرعة على تغلب، وخالد بن يزيد البهراني على قضاعة وإياد، جعل إياس بن قبيصة على العرب كلها ومعه كتيبتاه الشهباء والدوسر، وكانت العرب ثلاثة آلاف، وعقد للهامرز على ألف من الأساورة، وعقد لخنابرين على ألف، وبعث معهم باللطيمة -وهي عير تخرج من العراق فيها البز والعطر والألطاف، توصل إلى باذان عامل كسرى باليمن- وأمر عمرو بن عدي أن يسير بها، وكانت العرب تخفرهم وتجيرهم حتى تصل اليمن، وعهد إليهم كسرى إذا شارفوا بلاد بكر ودنوا منها أن يبعثوا النعمان بن زرعة يأخذ منهم وديعة النعمان ومائة غلام منهم يكونون رهنا بما أحدث سفهائهم، أو القتال، وقد كان كسرى قد عاقب بني تميم يوم الصفقة عندما نهبوا اللطيمة، لذا فالعرب وجلة وخائفة منه. فأرسلت هند بنت النعمان تنذر بكر بن وائل بالجيش.

سار هانئ بن مسعود حتى إنتهى إلى ذي قار فنزل به. وأقبل النعمان بن زرعة حتى نزل على ابن أخته مرة بن عمرو من بني عجل وقال إنكم أخوالي وإن الرائد لا يكذب أهله وقد أتاكم مالا قبل لكم به من أحرار فارس وفرسان العرب والكتيبتان الشهباء والدوسر وإن في هذا الشر خيارا. ولأن يفتدي بعضكم بعضا خير من أن تصطلموا فانظروا هذه الحلقة فادفعوها وادفعوا رهنا من أبنائكم إليه بما أحدث سفهاؤكم. فقال له القوم: ننظر في أمرنا.

رد بني بكر على طلب كسرى

إنتظرت بكر بن وائل حتى مقدم ساداتهم، فقدم أولا حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي .

فقالوا: يا أبا معدان قد طال إنتظارنا وقد كرهنا أن نقطع أمرا دونك وهذا ابن أختك النعمان قد جاءنا والرائد لا يكذب أهله.

قال: فما الذي أجمع عليه رأيكم واتفق عليه ملؤكم.

قالوا: قال إن اللخ ى أهون من الوه ى وإن في الشر خيارا ولأن يفتدي بعضكم بعضا خير من أن تصطلحوا جميعا.

قال حنظلة: فقبح الله هذا رأيا لا تجر أحرار فارس غرلها ببطحاء ذي قار وأنا اسمع الصوت ثم أمر بقبته فضربت بوادي ذي قار ثم نزل ونزل الناس فأطافوا به.فقال: لاأرى غير القتال، فإنا إن ركبنا الفلاة متنا عطشا، وإن أعطينا مابأيدينا تقتل مقاتلتنا وتسبى ذرارينا. ثم قال لهانئ بن مسعود: يا أبا أمامة إن ذمتكم ذمتنا عامة وإنه لن يوصل إليك حتى تفنى أرواحنا فآخرج هذه الحلقةففرقها بين قومك فإن تظفر فسترد عليك وإن تهلك فأهون مفقود. فأمر بها فآخرجت ففرقها بينهم ثم قال حنظلة للنعمان: لولا أنك رسول لما أبت إلى قومك سالما. فرجع النعمان إلى أصحابه فأخبرهم بما رد عليه القوم فباتوا ليلتهم

مستعدين للقتال وباتت بكر بن وائل يتأهبون للحرب ، وقد استقوا الماء لنصف شهر تحسبا للمعركة.

فلما أصبحوا أقبلت الأعاجم نحوهم وأمر حنظلة بالظعن جميعا فوقفها خلف الناس ثم قال يا معشر بكر بن وائل قاتلوا عن ظعنكم أو دعوا فأقبلت الأعاجم يسيرون على تعبئة. وكان ربيعة بن غزالة السكوني ثم التجيبي يومئذ هو وقومه نزولا في بني شيبان فقال: يا بني شيبان أما لو أني كنت منكم لأشرت عليكم برأي مثل عروة العلم فقالوا: فأنت والله من أوسطنا فأشر علينا فقال: لا تستهدفوا لهذه الأعاجم فتهلككم بنشابها ولكن تكردسوا لهم كراديس فيشد عليهم كردوس فإذا أقبلوا عليه شد الآخر فقالوا: فإنك قد رأيت رأيا ففعلوا.

إثارة الحماسة عند بكر

فلما تقارب القوم وإلتقى الزحفان قام حنظلة بن ثعلبة فقال: يا معشر بكر بن وائل إن النشاب الذي مع الأعاجم يعرفكم فإذا أرسلوه لم يخطئكم فعاجلوهم باللقاء وابدأوهم بالشدة. ثم قام إلى وضين راحلة امرأته فقطعه ثم تتبع الظعن يقطع وضنهن لئلا يفر عنهن الرجال، وقال :ليقاتل كل رجل منكم عن حليلته. فسمي يومئذ مقطع الوضين.

ثم ضرب قبة على نفسه ببطحاء ذي قار، وإلى لايفر حتى تفر القبة، وقطع سبعمائة رجل من شيبان أيدي أقبيتهم من مناكبها لتخف أيديهم لضرب السيوف. ثم قام هانئ بن مسعود فقال: يا قوم مهلك معذور خير من نجاء معرور، وإن الحذر لا يدفع القدر ، وإن الصبر من أسباب الظفر ، المنية ولا الدنية، واستقبال الموت خير من استدباره، والطعن في الثغر خير وأكرم من الطعن في الدبر، يا قوم جدوا فما من الموت بد ، يا آل بكر شدوا واستعدوا وإلا تشدوا تردوا.

ثم قام شريك بن عمرو بن شراحيل بن مرة بن همام فقال: يا قوم إنما تهابونهم أنكم ترونهم عند الحفاظ أكثر منكم وكذلك أنتم في أعينهم ،فعليكم بالصبر فإن الأسنة تردي الأعنة يا آل بكر قُدُما قُدُما.

إستعدادات قبيلة بني بكر ابن وائل :من الطبيعي انه يجب على بني شيبان أن يكونوا على علم بتطورات الموقف خاصة بعد المنأوشات الأولى والثانية إذ كانتا بمثابة إنذار للقبيلة لتأخذ حذرها

فأخذت تتلقف الأخبار و تلتقط المعلومات من القبائل العربية القريبة من كسرى بالإضافة إلى أن قيس ابن مسعود احد أقرباء هاني ابن مسعود أرسل ينذر قبيلته بنية كسرى - قبل أن يقبض علية كسرى و يسجنه ويقتله – بان لاتقربوا السواد . حيث إن قيس ابن مسعود كان قد وضعه كسرى على احدى قرى جنوب العراق بالقرب من البصرة وخصص له من خراج تمرها على ضمانه لاعتداءات قبيلة بني بكر وتحرشاتها بالقرى المجأورة. فاخذ بني شيبان بالإستعدادات التالية :

١. استنئوا الشرف والحمية العربية في بقية بطون بني بكر.
والقبائل العربية المجأورة لهم و البعيدة عن متنأول يد كسرى مثل بعض بطون قبيلة قضاعة وغطفان وجذام.
٢. جعلوا منهل قراقر خلف ظهورهم مسيرة نصف نهار كي تكون بعيدة عن جيش الفرس خاصة ان المنطقة نادرة المياه و رتبوا الرواة لتزويد الفرسان والمقاتلين.
٣. تمركزوا شرق(جبل الحنو) لتكون المواجهة هناك . واتفقوا أن يكون ندائهم عند اللقاء (يا محمد يا منصور) حيث كان هذا مقترح الصحابي الجليل البراء بن عازب لأنه حضر المعركة .

٤. اتفقوا مع بعض القبائل التي في جيش كسرى حيث أرسلت لهم قبيلة إياد هل ترغبون أن ننسحب من ليلتنا . فأرسلوا لهم أن لا تنسحبوا إلا عند بداية المعركة .

٥. اخذوا يوزعون أنفسهم في ليلتهم إلى مجموعات وكل مجموعة يشكلون نصف دائرة ي وقدون أمامهم نارا و يقولون النشيد و ويرقصون ما يعرف اليوم بالدحة وهي عبارة عن زئير الأسود وهدير الزمل و التصفيق وعلى رأي المثل (من يبي الدح ما يقول أح) فالدح هو التصفيق. وكان الهدف منها إظهار الكثرة و إثارة الحماس لارهاب عدوهم.

٦. صنعوا رايه من مجموع رايات القبائل العربية التي كانت تستخدمها عند الحرب .بهدف التعبير عن أوحدة الصف الواحد ضد الفرس

٧. قدموا العماريات بهوادجهن من بنات ونساء القبائل وجعلوهن خلف الفرسان كي يُنشدن و يُثرن الحماس . وعندما بدأت المعركة قام حنظله بن ثعلبة بن سيار بتقطيع الوضين للهوادج كي يستميتوا الفرسان بالدفاع ولا يتملص أو يهرب احد .

٨. قام بعض الخطباء والشعراء فألقى هاني ابن مسعود خطبته المشهورة والتي منها (يا قوم مهلك معذور خير من نجاء معرور وان الحذر لا يدفع القدر وان الصبر من أسباب الظفر المنية و لا الدنية واستقبال الموت خير من استدباره والطعن في الثغر خير و أكرم من الطعن في الدبر. إلى آخر الخطبه المثيره للحماس) ثم قام شريك بن عمرو الصلب فألقى خطبة ثم قام عمرو ابن جبلة وقال قصيدة منها : يا قوم لا تغرركم هذه الخرق ولا وميض البيض في الشمس برق

٩. قام حنظله بن ثعلبة بن سيار يحذرهم من النشاب لان الفرس مشهورون بضربه ويحثهم على اللقاء والشدة والالتحام كي يفوتون عليهم ضرب النشاب . كما أشار عليهم ابن غزالة التجيبي السكوني الكندي حيث قال لهم هل أدلكم على (عروة العكم) قال أن تكردسوا فتكونوا كراديس فيقاتلهم كردوس اثر كردوس كي لا يبيدونكم بجمعهم .

المعركة

كانت بنو عجل في الميمنة بإزاء خنابرين وعليهم حنظلة بن ثعلبة. وبنو شيبان في الميسرة بإزاء كتيبة الهامرز، وعليهم بكر بن يزيد بن مسهر. وباقي بكر بن وائل في القلب وعليهم هانئ بن مسعود. وقد أرسلت إياد قبلها سرا إلى بكر، وقال رسولهم: أي الأمرين أعجب إليكم؟ أن نطير تحت ليلتنا هذه، فنذهب؟ أو نقيم ونفر حين تلاقون القوم؟ قالوا: بل تقيمون، فإذا التقى الناس انهزمتم بهم. فخرج أسوار من الأعاجم مسور، في أذنيه درتان، من كتيبة الهامرز يتحدى الناس للبراز، فنأدى في بني شيبان فلم يبرز له أحد حتى إذا دنا من بني يشكر برز له يزيد بن حارثة أخو بني ثعلبة بن عمرو فشد عليه الرمح، فطعنه فدق صلبه، وأخذ حليته وسلاحه. ثم إن القوم اقتتلوا صدر نهارهم أشد قتال رآه الناس، وحملت ميسرة بكر وعليها حنظلة على ميمنة الجيش، وحملت ميمنة بكر وعليها يزيد بن مسهر على ميسرة الجيش، وخرج عليهم كمين كانوا اعدوه للفرس وعليهم يزيد بن حمار فشدوا على قلب الجيش، وولت إياد منهزمة كما وعدتهم. فشد الحوفزان وإسمه الحارث بن شريك - على الهامرز فقتله، وقتلت بنو عجل خنابرين، وضرب الله وجوه الفرس فانهزموا، وتبعتهم بكر بن وائل، فلحق مرثد بن الحارث، النعمان بن زرعة، فأهوى له طعناً، فسبقه النعمان بصدر فرسه فأفلته، ولحق أسود بن بجير العجلي النعمان بن

زرعة، فقال له: يا نعمان، هلم إلي، فأنا خير آسر لك، وخير لك من العطش. قال: ومن أنت؟ قال: الأسود بن بجير، فوضع يده في يده، فجز ناصيته، وخلى سبيله، وحمله الأسود على فرس له، وقال له: انج على هذه، فإنها أجود من فرسك، وجاء الأسود بن بجير على فرس النعمان بن زرعة، وأفلت إياس بن قبيصة على فرس له، وقتل خالد بن يزيد البهراني، قتله الأسود بن شريك بن عمرو، وقتل يومئذ عمرو بن عدي بن زيد العبادي الشاعر أخو زيد بن عدي صاحب النعمان.

ثم كان اليوم الثاني من القتال فجزعت الفرس من العطش، فصارت إلى الجبابات وأتبعتهم بكر بن وائل إلى الجبابات فعطش الأعاجم فمالوا إلى بطحاء ذي قار وبها اشتدت الحرب، فأتبعتهم بكر بن وائل يقتلونهم بقية يومهم وليلتهم، حتى أصبحوا من الغد، وقد شارفوا السواد ودخلوه، فذكروا أن مائة من بكر بن وائل، وسبعين من عجل، وثلاثين من أفناء بكر بن وائل، أصبحوا وقد دخلوا السواد في طلب القوم، فلم يلفت منهم كبير أحد وأقبلت بكر بن وائل على الغنائم فقسموها بينهم، وقسموا تلك اللطائم بين نسائهم.

وصول الخبر إلى كسرى

كان إياس بن قبيصة أول من أتى كسرى بعد الهزيمة وكان لا يأتيه أحد بهزيمة جيش إلا نزع كتفيه، فلما أتاه إياس سأله عن الخبر، فقال: هزمنا بكر بن وائل، فأتيناك بنسائهم، فأعجب بذلك كسرى وأمر له بكسوة، وإن إياساً استأذنه عند ذلك، فقال: إن أخي مريض بعين التمر، فأردت أن آتيه، وإنما أراد أن يتنحى عنه ويفر، فأذن له كسرى، فترك فرسه "الحمامة" وهي التي كانت عند أبي ثور بالحيرة ، وركب نجيبة فلحق بأخيه، ثم أتى كسرى رجل من أهل الحيرة وهو بالخورنق، فسأل: هل دخل على الملك أحد؟ فقالوا: نعم، إياس، فقال: ثكلت إياساً أمه! وظن أنه قد حدثه بالخبر، فدخل عليه فحدثه بهزيمة القوم

وقتلهم، فأمر به فنزعت كتفاه. ويقال ان كسرى قدمات قهرا وكمدا جراء ما حصل في ذي قار.

عوامل إنتصار العرب على الفرس في ذي قار

لم تكن ذي قار أول معركة أو مواجهة مع الفرس فقد سبقتها مواجهات اشهرها حين واجهت قضاعة الفرس وحدها فسقطت الحضر، وطردت قضاعة من العراق والثانية حين واجهت إياد مصيراً مشابهاً لمصير قضاعة، وبأيدٍ عربية.

لكن تلك المواجهات لم يكتب لها النجاح بسبب الفرقة والتشرذم العربي امام العدو وربما كانت هاتين الجولتين در سا أسهم في تكوين الوعي العربي لدى فئة من الجاهليين، أدى إلى النصر نتيجة الوحدة يوم ذي قار.

١. اتحاد القبائل في مواجهة العدوان.
٢. الوقفة الشجاعة لبني شيبان وحلفائهم العرب الذين آمنوا انه من لم يمت بالسيف مات بغيره.........
٣. العطش الذي أصاب جيش الفرس بعد أن حرمهم بنو شيبان منه.وربما كان درسا للمسلمين يوم بدر.
٤. تعاطف بعض القبائل العربية التي كانت في الجيش الفلوسي وخاصة انسحاب قبيلة إياد من المعركة بالتنسيق مع بني شيبان وبشكل يوحي بانهزامهم.
٥. موقف النساء العربيات ودعوتهم الرجال للحفاظ على أعراضهم وقيل في ذلك شعراً.

الزلاقة

"كان للمعركة تأثير كبير في تاريخ الأندلس الإسلامي، إذ أنها أوقفت زحف النصارى المطرد في أراضي ملوك الطوائف الإسلامية مما اخّر سقوط الدولة الإسلامية في الأندلس لمدة تزيد عن قرنين ونصف. وكان بالامكان ان يكون اثرها اكبر بكثير وكان يمكن ان تعوض خسارتنا في بلاط الشهداء، فالزلاقة كحطين معارك كان يمكن- لو احسن التصرف بعدها من قبل قادتها – ان تغير وجه التاريخ كليا..لاجزئيا. ومن لم يتعلم من التاريخ يخسركثيرا ،فيوسف الايوبي لم يتعلم من يوسف بن تاشفين . وهتلر لم يتعلم من نابليون وأوباما لم يتعلم من التاريخ ولامن بوش! وحكامنا اليوم لم بعظوا من مصير ابن عباد!".

التاريخ : 23 تشرين أول 1086م / رجب / 479هجري

الاطراف المتحاربة": المسلمون و النصارى القشتاليون"

عدد الجيش والقادة:

1. **المسلمون :** ثمانية وأربعين ألفاً نصفهم من الأندلسيين ونصفهم من المرابطين.بقيادة يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين والمعتمد بن عباد حاكم إشبيلية
2. **الفرنجة:** 100 ألف منهم 30 ألفا من عرب الأندلس بقيادة الملك القشتالي ألفونسو السادس.

السبب: محأولةالملك القشتالي ألفونسو السادس إحتلال إشبيلية.

عددالقتلى من الفرنجة: عشرين ألف ؟ !

عدد القتلى من المسلمين: ؟

تمهيد تاريخي"

أحوال المسلمين قبل الزلاقة

شهد القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، قمة التقدم الحضاري والسياسي في بلاد الأندلس، وأضحت قرطبة عروس الغرب، وحكامها خلفاء بني أمية يتمتعون بمكانة عالية، سياسيا وعسكرياً وحضارياً، ولم يدر بخلد أحد أن هذا الصراع الذي اشتد أواره على عهد المنصور بن أبي عامر كان يحمل في طياته عوامل الهدم والفناء، فما أن مات المنصور، ومن بعده ابنه عبد الملك، حتى ثار القرطبيون على عبد الرحمن بن المنصور، وبدأت سلسلة من الأحداث الدامية أدَّت في النهاية إلى تمزق هذه الدولة تمزقا يؤلم الصدور، وقامت في جوانبها خلافات وممالك وسلطنات لا حول لها ولا قوة، بل إن قواها قد وجهت ضد بعضها بعضاً حتى أنهكت القوى واضمحلت الأندلس كما يقول الأستاذ محمد عبد الله عنان: "الصرح الشامخ، الذي انهارت أسسه وتصدع بنيانه، وقد انتق صت أطرافها، وتناثرت أشلاؤها، وتعددت الرياسات في أنحائها، لا تربطها رابطة، ولا تجمع كلمتها مصلحة مشتركة، تفرق بينها، منافسات وأطماع شخصية وضيعة، وحروب أهلية صغيرة تضطرم بينها".

وفي كل ناحية من نواحي الأندلس، قامت دويلة أو مملكة هشة، اتخذ أصحابها ألقاب الخلافة ورسوم الممالك، دون أن يكون لهم من ذلك حقيقته أو معناه، كما وصفه الشاعر:

مما يزهدني في أرض أندلس إسماء معتضد فيها ومعتمدِ

القابُ مملكة في غير موضعها كالهرِّ يحكي انتفاخاً صورة الأسدِ

وكان تمزق الأندلس المأساوي ضربة لكيان الدولة الإسلامية لم تفق منها أبداً، بل إنها كانت البداية الحقيقية لانحلال الدولة الإسلامية رغم ما انتابها في بعض الأحيان من صحوات ويقظة مدت في عمرها بضع مئات من الأعوام.

وقد واكب هذا الضعف الأندلسي تولي الملك ألفونسو السادس عرش قشتالة، الذي عمل جهده للاستفادة من هذا التدهور الذي أحاط بالدولة الإسلامية

هناك، فبدأ باستغلال الصراع الدائر بين هذه الممالك، وأخذ يضرب بعضها ببعض، ويفرض عليها الأتأوات والغرامات حتى يستنفد طاقتها، ومن ثم تسقط في يده كالثمرة الناضجة.

سقوط طليطلة:

كانت طليطلة، من أهم المدن الأندلسية، تتوسط شبه الجزيرة تقريباً، وكانت عاصمة القوط قبل الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة، ومن هنا كانت أهميتها البالغة، وبالتالي أصبحت مطمعاً لآمال ألفونسو السادس، وخاصة أن حال المدينة كانت سيئة جداً على عهد ملوكها من الطوائف.. وهم أسرة ذي النون.

دبر ألفونسو خطته لغزو المدينة، وأرهب ملوك الطوائف وتوعدهم إن إنجدوها، وحاصرها حتى اضطرها إلى التسليم، ومما يؤسف له وجود قوات ابن عباد ملك أشبيلية ضمن قوات الملك الإسباني، وضد المدينة التي حأولت الصمود أمام مصيرها المؤلم في خريف سنة 477 هـ/1085م.

وسقطت طليطلة بأيدي ألفونسو السادس، ونقل إليها عاصمة ملكه واستتبع سقوطها استيلاءُ الإسبان على سائر أراضي مملكة طليطلة، واستشعر الشاعر فداحة المأساة فهتف يقول:

حثوا رواحلكم يا أهل أندلس　　　فما البقاء بها إلا من الغلط

الثوب ينسل من أطرافه و　　اری　　ثوبَ الجزيرةِ منسلاً من الوسطِ

مَن جاورَ الشَّرَّ لا يأمنُ عواقبَه　　　كيف الحياة مع الحيَّاتِ في سفطِ

لقد كان أسوأ ما في مأساة طليطلة أن ملوك الطوائف المسلمين لم يهبوا لنجدتها أو مساعدتها، بل على العكس، لقد وقفوا موقفاً مخزياً، فاغرين أفواههم

جبناً وغفلة وتفاهةً. بل إن عدداً منهم ارتمي على أعتاب ألفونسو السادس، طالباً عونه، أو عارضاً له الخضوع.. حتى قيل فيهم:

أرى الملوكَ أصابتهم بأندلس دوائرُ السوءِ لا تُبقي ولا تذر

وأطمع ذلك الملك ألفونسو السادس بباقي ممالك الطوائف، وانتشت أحلامه بالقضاء عليها الواحدة بعد الآخرى، وتجبر عليهم، وعلا وطغى.. فقام بنقض عهوده التي كان قد قطعها لأهل طليطلة، وحول مسجد طليطلة إلى كنيسة بقوة السلاح، وحطم المحراب ليقام الهيكل مكانه، ويقول ابن بسام في »الذخيرة«:

"عتا الطاغية أوفونش –ألفونسو- قصمه الله، لحين استقراره بطليطلة واستكبر وأخلّ بملوك الطوائف بالجزيرة وقصر، وأخذ يتجنى ويتعتب، وطفق يتشوق إلى انتزاع سلطانهم والفراغ من شأنهم ويتسبب، ورأى أنهم قد وقفوا دون مداه، ودخلوا بأجمعهم تحت عصاه".

وبدأ ألفونسو في تنفيذ خططه بالإيغال في إذلال الطوائف، وخاصة المعتمد بن عباد أكبر ملوك الطوائف وأشدهم بأساً، حيث أراد أن يمعن في إذلاله كأقوى أمراء الطوائف، فأرسل إليه رسالة يطلب فيها السماح لزوجته بالوضع في جامع قرطبة وفق تعليمات القسيسين، وقد أثارت هذه الرسالة ابن عباد حتى قيل: إنه قد قتل رسل الملك القشتالي وصلبهم على جدران قرطبة، مما أثار غضب ألفونسو السادس وصمم على الإنتقام، وبدأت جيوشه في انتساف الأرض في بسائط إشبيلية وفي الأراضي الإسلامية.

مقدمات الحرب

كان المعتمد بن عباد -حاكم إشبيلية وأقوى ملوك الطوائف- قد تعاون مع ألفونسو في حربه ضد بني ذي النون -كما اسلفنا- بسبب كونهم أبرز منافسيه السياسيين في المنطقة وكذلك بسبب خوفه من بطش ألفونسو وقوته كما كان

يدفع له الجزية سنويا -مثلما كان يفعل بقية حكام الطوائف سوى بنو الأفطس- نظير اتقاء شره.

اتجه ألفونسو بعد غزوه لطليطلة لمملكة بني هود المتهالكة وضرب حصارا على عاصمتهم مدينة سرقسطة واستولى عليها الأمر الذي أدى إلى إلقاء الرعب في قلوب الأندلسيين وخصوصا بنو العباد إذ كان بنو هود من حلفاء ألفونسو وغدر بهم. ويقال أن ألفونسو غالى في طلب الجزية من المعتمد بن عباد وبالغ في إذلاله ومن ذلك"كتب ألفونسو للمعتمد كتابا جاء فيه "كثر - بطول مقامي- في مجلسي الذباب، واشتد علي الحر، فأتحفني من قصرك بمروحة أروح بها عن نفسي وأطرد بها الذباب عن وجهي فرد عليه المعتمد "قرأت كتابك، وفهمت خيلاءك وإعجابك، وسأنظر لك في مراوح من الجلود اللمطية تروح منك لا تروح عليك إن شاء الله" (يقصد أنه سيستعين بقوات خارجية) .

الاستنجاد بالمرابطين:

تعالت الأصوات في الأندلس تطالب بالارتفاع فوق الخلافات الشخصية، وتناسي المصالح الذاتية، والاستنجاد بالمرابطين الذين نمت قوتهم في ذلك الوقت على الضفة الآخرى من البحر المتوسط.

وقام أبو الوليد الباجي وغيره من فقهاء الأندلس بالدعوة إلى التوحد، وضرورة الاستعانة بإخوة الإسلام الأفارقة من المرابطين، ولقيت الدعوة صدى عند أمراء الأندلس بسبب ازدياد عنف ألفونسو، ورغم كل التحذيرات التي وجهت إلى المعتمد بن عباد، وتخويفه من طمع المرابطين في بلاد الأندلس، إلا أن النخوة الإسلامية قد استيقظت في نفسه، فأصر على الاستنجاد بالمرابطين، وقال قولته التي سارت مثلاً في التاريخ: "لأن أكون راعي جمال في صحراء أفريقية خير من أن أكون راعي خنازير في بيداء قشتالة".

وقام ملوك الطوائف وخاصة ابن عباد ووجهاء غرناطة وقرطبة وبطليوس بالاتفاق فيما بينهم على طلب النصرة من الدولة المرابطية الفتية التي قامت على أسس الجهاد على الرغم من كثرة الاعتراضات من بعض القادة بسبب خوفهم من تفرد يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين بالحكم وحده حال قدومه ويذكر أن ابن المعتمد عاتب أباه على طلب مساعدة المرابطين إلا ان المعتمد قال قولته الشهيرة "أي بني،والله لا يسمع عني أبداً أنني أعدت الأندلس دار كفر، ولا تركتها للنصارى ، فتقوم علي اللعنة في منابر الإسلام مثلما قامت على غيري، تالله إنني لأوثر أن أرعى الجمال لسلطان مراكش على أن أغدو تابعاً لملك النصارى وأن أؤدي له الجزية ، إن رعي الجمال خير من رعي الخنازير"

وافق ابن تاشفين على مساعدة الأندلسيين شريطة إعطائه الجزيرة الخضراء لتكون مركزا له في الأندلس ونقطة رجوع وترتيب لأوراقه في حالة انهزامه في حربه مع النصارى ، أو في حال غدر أحد القادة المحليين. ترك يوسف بن تاشفين 5 آلاف جندي له في الجزيرة الخضراء وانطلق هو بـ 12 ألف مقاتل شمالا نحو إشبيلية حيث تجمع حلفاؤه من ملوك الطوائف ليصل عدد الجند لما بين 20 و 30 ألف مقاتل بين فارس وماش.

عبور المرابطين

بدأت الجيوش المرابطية العبور من سبتة إلى الجزيرة الخضراء، ثم عبر أميرهم يوسف بن تاشفين في يوم الخميس منتصف ربيع الأول 479هـ/ 3. حزيران 1086م، ثم تحركت العساكر إلى أشبيلة، وعلى رأسهم ابن تاشفين، ونزل بظاهرها، وخرج المعتمد و الفرسان لتلقيه، وتعانقا، ودعوَا اللهَ أن يجعل جهادهما خالصاً لوجهه الكريم.

استقر الجيش أياماً في أشبيبلة للراحة، ثم اتجه إلى بطليوس في الوقت الذي تقاطرت فيه ملوك الطوائف بقواتهم وجيوشهم.

سار هذا الموكب من الجيش الإسلامي إلى موضع سهل من عمل بطليوس وأحوازها، ويسمى في المصادر الإسلامية بالزلاقة على مقربة من بطليوس.

عسكر الجيشان قرب بطليوس في سهل تتخلله الأحراش ، سماه العرب الزلاقة ، وفرق بين الجيشين نهر صغير ، وضرب ابن تاشفين معسكره وراء ربوة عالية ، منفصلاً عن مكان الأندلسيين ، وعسكر الأندلسيون أمام النصارى ، ولبث الجيشان أمام بعضهما ثلاثة أيام راسل فيها ابن تاشفين النصارى يدعوهم للإسلام أو الجزية أو القتال فاختاروا الثالثة وأرسل ألفونسو رسالة إلى ابن تاشفين يهدده ويتوعده فرد عليه ابن تاشفين برسالة صغيرة (الخبر ما تراه لا ما تسمعه) .

التسمية:

وقعت المعركة في سهل في الجزء الجنوبي لبلاد الأندلس يقال له الزلاقة. ويقال أن السهل سمي بذلك نسبة لكثرة انزلاق المتحاربين على أرض المعركة بسبب كمية الدماء التي أريقت ذاك اليوم وملأت أرض المعركة. وتسمى لدى المؤرخين الغربيين بنفس الإسم العربي لها.

المعركة:

لم تكن أعين الملك القشتالي غافلة عن تحرك الجيوش الإسلامية، ولما بلغه نبأ تقدم المسلمين لملاقاته، فك الحصار الذي كان يضربه حول مدينة سرقسطة، واستدعى قائده البرهانس من بلنسية، وبعث مستغيثًا بجميع النصارى في شمال إسبانيا وما وراء جبال البرانيس، فتقاطرت عليه فرسان

النصارى من إيطاليا وفرنسا، وقدم إلى أحواز بطليوس في جيش كثيف، يقال بأنه حين نظر إليه همس: بهؤلاء أقاتل الجن والآنس وملائكة السماء.

واعتزم أن يلقى المسلمين في أرضهم حتى لا تخرب بلاده، وكانت قواته تفوق المسلمين عددًا وعدة، وقد استقرت هذه الجيوش النصرانية على بعد ثلاثة أميال من المعسكر الإسلامي ولا يفصل بينهم إلا نهر صغير يسمى "جريرو"، وانضم إلى قوات النصارى الرهبان والقسس يحملون أناجيلهم وصلبانهم، محفزين بذلك جنود النصارى.

اختلفت الآراء حول عدد الجيشين، لكنها اتفقت جميعها على تفوق ألفونسو السادس في عدد جيشه وعدته، وكانت كل الظروف في صالحه.

جرت الإستعدادات في المعسكرين بكل أشكالها، وبالبحث على الحرب والصبر فيها، وقام الأساقفة والرهبان بدورهم، كما بذل الفقهاء والعباد كل جهودهم.

حاول ألفونسو خديعة المسلمين، فكتب إليهم يوم الخميس يخبرهم أن المعركة يوم الإثنين، لأن الجمعة يوم المسلمين، والسبت يوم اليهود، والأحد يوم النصارى.

أدرك ابن عباد أن ذلك خدعة، وفعلاً جاءت الأخبار بالإستعداد الجاري في معسكر النصارى، فاتخذ المسلمون الحذر، وبات الناس ليلتهم على أهبة واحتراس بجميع المحلات، خائفين من كيد العدو. وبعد مضي جزء من الليل انتبه الفقيه الناسك أبو العباس أحمد بن رميلة القرطبي، وكان في محلة ابن عباد، فرحاً مسروراً، يقول: إنه رأى النبيَّ [(ﷺ)]، فبشره بالفتح والشهادة له في صبيحة غد، وتأهب ودعا، ودهن رأسه وتطيَّب.

فلما كان صباح الجمعة الثاني عشر من رجب سنة 479 هـ زحف ألفونسو بجيشه على المسلمين، ودارت معركة حامية، ازداد وطيسُها، وتحمَّل

جنودُ الأندلس [من المسلمين الصدمة الأولى، وأظهر ابنُ عباد بطولة رائعة، وجرح في المعركة، واختل جيش المسلمين، واهتزّت صفوفه، وكادت تحيق به الهزيمة، وعندئذ دفع ابن تاشفين بجيوشه إلى أتون المعركة، ثم حمل بنفسه بالقوة الاحتياطية إلى المعسكر القشتالي فهاجمه بشدة، ثم اتجه صوبَ مؤخرته فأثخن فيه وأشعل النار، وهو على فرسه يرغب في الاستشهاد، وقرْعُ الطبول يدوي في الآفاق، قاتل المرابطون في صفوف متراصة ثابتة، مثل بقية أجنحة المعركة.

وما أن حل الغروب حتى اضطر الملك القشتالي، وقد أصيب في المعركة، إلى الإنسحاب حفاظاً على حياته وحياة من بقي من جنده، وطُورِدَ الفارُّون في كل مكان حتى دخل الظلام، فأمر ابنُ تاشفين بالكفِّ. إستمرت المعركة يوماً واحداً لا غير – وقد حطم اللهُ شوكة العدو الكافر، ونصرَ المسلمين، وأجزل لديهم نعمه، وأظهر بهم عنايته، وأجمل لديهم صنعه.

وتجمِع المصادر الإسبانية على أن الملك القشتالي ألفونسو السادس قد نجا بأعجوبة في حوالي خمسمائة فارس فحسب، من مجموع جيوشه الجرارة التي كان سيهزم بها الجن والآنس والملائكة.

وقضى المسلمون ليلهم في ساحة القتال يرددون أناشيد النصر شكراً لله عز وجل ، فلما بزغ الفجر أدوا صلاة الصبح في سهل الزلاقة ، ثم حشدوا جموع الأسرى ، وجمعوا الأسلاب والغنائم ، وأمر ابن تاشفين برؤوس القتلى فصفت في سهل الزلاقة على شكل هرم ، ثم أمر فأذن للصلاة من فوق أحدها ، وكان عدد الرؤوس لا يقل عن عشرين ألف رأس .وذاع خبر النصر وقرئت البشرى به في المساجد وعلى المنابر ، وغنم المسلمون حياة جديدة في الأندلس امتدت أربعة قرون آخرى .

سَرَتْ أنباء النصر المبين إلى جميع أنحاء الأندلس والمغرب، وسرى البشرُ بين الناس، وأصبح هذا اليوم مشهوداً من أيام الإسلام، لا على أرض شبه الجزيرة فحسب، وإنما على امتداد الأرض الإسلامية كلها، ونجح ذلك اليوم في أن يمدّ في عمر الإسلام والمسلمين على الأرض الإسبانية ما يقرب من أربعة قرون من الزمان.

وقد وصف الشاعر الأندلسي أبو طالب بن عبدالجبار ذلك النصر فقال:

فإذا أراد الله نصر الدين استصرخ الناس ابن تاشفين

وواصل السير إلى الزلاقة وساقة يومها ما ساقة

لله در مثلها من وقعة قامت بنصر الدين يوم الجمعة

نصر مبين.. ونتائج أقل..

يعلق يوسف أش باخ في كتابه: »تاريخ الأندلس على عهد المرابطين والموحدين« على موقعة الزلاقة بقوله:

"إن يوسف بن تاشفين لو أراد استغلال إنتصاره في موقعة الزلاقة، لربما كانت أوروبا الآن تدين بالإسلام، ولَدُرِّس القرآن في جامعات موسكو، وبرلين، ولندن، وباريس.

والحقيقة أن المؤرخين جميعاً يقفون حيارى أمام هذا الحدث التاريخي الهائل الذي وقع في سهل الزلاقة، ولم يتطور إلى أن تتقدم الجيوش الإسلامية لاسترداد طليطلة من أيدي النصارى، خاصة وأن الملك الإسباني كان قد فقد زهرة جيشه في هذه المعركة، ولا يختلف أحد في الرأي بأن الطريق كان مفتوحاً تماماً وممهداً لكي يقوم المرابطون والأندلسيون بهذه الخطوة.

إن ما حدث فعلاً هو عودة المرابطين إلى إفريقية، وعودة أمراء الأندلس إلى الصراع فيما بينهم، وكأن شيئاً لم يقع، وقد أعطى ذلك الفرصة

مرة ثانية للملك ألفونسو السادس أن يستجمع قواه، ويضمد جراحه، ويعمل على الإنتقام من الأندلسيين، وكان حقده شديداً على المعتمد ابن عباد، فعاد إلى مهاجمة بلاده، وركز غاراته على أشبيلية، وتمك ن من الاستيلاء على حصن لبيط مما اضطر ابن عباد إلى العودة مرة ثانية إلى الاستنجاد بالمرابطين.

وذهب المرابطون للمرة الثانية إلى الأندلس، لكنهم في هذه المرة لم يجدوا مساعدة من معظم أمراء الطوائف المسلمين، حيث تغلبت عليهم شهواتهم وأهواؤهم الشخصية، وخلافاتهم الضيقة، مما اضطر أمير المسلمين أن يستفتي الفقهاء في خلعهم، وضم بلاد الأندلس إلى طاعة المرابطين، والعودة مرة ثالثة إلى الجهاد ضد الإسبان.

ستالينغراد

"لم يتعلم هتلر من نابليون ولم يتعظ بما اصابه، فكانت معركة ستالينغراد."واذا كانت معركة برلين قد دقت المسمار الاخير في نعش المانيا الهتلرية وكانت الضربة الاخيرة التي اجهزت عليها،فان الفضل في ذلك انما يعود لمعركة ستالينغراد التي انهكت الجسد العسكري للالمان وجعلته يتلوى الما بإنتظار رصاصة الرحمة. التي اطلقت على ذلك الجسد في معركة برلين التي اجهزت على الكيان النازي وعلى هتلر وافسحت المجال لظهور روسيا كدولة عظمى".

وقد وصف ونستون تشرشل تلك المعركة بالمعركة المصيرية التي قررت مصير الحرب العالمية الثانية."

التاريخ : وقعت بين 21 آب 1942 و 2 شباط 1943،

الاطراف المتحاربة": ألمانيا وحلفائها من جهةوالاتحاد السوفيتي من جهة آخرى.

عدد المقاتلين والقادة:

المانيا: أكثر من مليون جندي بقيادة هتلر ومجموعة من القادة العسكريين

روسيا : ستالين ومجموعة من القادة العسكريين

الخسائر: بلغت خسائر ألمانيا خلال الفترة من 19 تشرين ثاني 1942 إلى 2 شباط 1943 أكثر من 800 ألف قتيل.

وبلغت خسائر روسيا ما يقارب خسارة الالمان.

نتيجة المعركة : نصر حاسم للسوفيت والحلفاء

تمهيد تاريخي:

بعد فشل الهجوم الالماني على موسكو في نهاية عام 1942 شهدت الجبهة السوفيتية الالمانية في شتاء عام 1941 استقرارا نسبيا. فتخلى هتلر عن محاولة

الاستيلاء على موسكو، اذ انه اعتبر ان هجوما آخر على موسكو لا يمكن ان يفاجئ القيادة السوفيتية. لذلك بدأت القيادة الالمانية في التخطيط لشن الهجوم في إتجاهات آخرى. ومن اهم تلك الإتجاهات كان جنوب الاتحاد السوفيتي حيث كان بوسع الالمان فرض السيطرة على حقول النفط القوقازية في منطقتي باكو وغروزني وكذلك على نهر الفولغا بصفته طريقا رئيسيا تمر به المواصلات بين القسم الأوروبي للبلاد ومنطقتي القوقاز وآسيا الوسطى. ولو نجح الالمان في تنفيذ خططهم هذه لكان بوسعهم توجيه ضربة موجعة إلى الاقتصاد والآلة العسكرية السوفيتيين.

اما القيادة السوفيتية المتحمسة لنجاحاتها في معركة موسكو فحأولت انتزاع المبادرة الاستراتيجية من ايدي الالمان في ايّار عام 1942 فحشدت قوات كبيرة في منطقة مدينة خاركوف الأوكرانية، أي في الموقع ذاته حيث اعتزم الالمان شن الهجوم في إتجاه نهر الفولغا والقوقاز. وتمكن الألمان من محاصرة القوات السوفيتية المهاجمة، الامر الذي تسبب في أسر ما يزيد عن 200 الف جندي سوفيتي " حسب الاحصائيات الالمانية ". وفتح جبهة جنوبي مدينة فورونيج وتوجهت نحوها الجحافل الالمانية وإحتلت مدينة روستوف التي تعتبر مفتاحا لجبال القوقاز. ثم أمر هتلر قواته بالآنقسام إلى قسمين. يواصل احدهما الهجوم صوب القوقاز. اما ثانيهما الذي تضمن الجيش السادس قيادة المارشال بأولوس وجيش الدبابات الرابع بقيادة الجنرال غوت. فانيط به مهمة التوجه نحو الشرق بهدف الاستيلاء على مدينة ستالينغراد.

كانت مدينة ستالينغراد أقصى مدى بلغه الغزو الألماني في الاتحاد السوفيتي إبان الحرب العالمية الثانية، و كان حصار ستالينغراد والدفاع عنها نقطة التحول في تلك الحرب الطاحنة. فعلى حدود تلك المدينة استنفد الألمان طاقة إندفاعهم في تقدمهم. وكان ذلك إلى غير رجعة. ومن تلك النقطة انتقلت

القوات السوفيتية من الدفاع إلى الهجوم على طول الجبهة الممتدة إلى الجنوب من لينينغراد، ومنها أظهر الجيش السوفيتي تفوقه في العمليات الهجومية بمثل ما أظهر من براعة في العمليات الدفاعية العميقة.

إستمر حصار الألمان لمدينة ستالينغراد 66 يومًا،واستخدموا لذلك الغرض الجيش السادس الألماني المكون من 22 فرقة. كما استخدموا جميع أنواع الأسلحة من الطائرات ومدافع الهأوتزر والدبابات ومدافع الهأون،واقتحم مشاة الألمان اغلب أجزاء المدينة. وإستمر القتال على مدى شهرين واشتد إلى أقصى درجات العنف. كما إحتلوا مسافة حوالي أربعة أميال من الضفة الغربية لنهر الفولغا. غير انهم لم يتمكنوا من آخراج الجنود السوفيت من المدينة،أو ابعادهم إلى ما وراء نهر الفولغا .وقد صدرت الأوامر لقوات الجيش الثاني والستين السوفيتي تحت قيادة الجنرال تشويكوف أن يتشبث بالدفاع عن المدينة. فدافعت الوحدات السوفيتية عن كل شارع وكل مصنع وتشبثت بمواقعها الدفاعية خلف الجدران ووراء أنقاض المباني وفي الحفر الناجمة عن القنابل، وتحولت ستالينغراد إلى أنقاض وكتل من الحديد وأكوام من الحجارة. لكن المدينة ابت الاستسلام.

غيرأن الضربات الرئيسية لتحريرالمدينة جاءت من خارجها وكانت على هيئة هجوم أعده المارشال جوكوف لمحاصرة القوات الألمانية في داخل المدينة. كما قام الجيش السوفيتي بحصار مزدوج وإسموه ب"المنجل والمطرقة "لمحاصرة الجيش الألماني السادس. فجاءت الضربات الأولى من الشمال. ثم جاءت عملية الاختراق من الجنوب.

اما في الشمال فقد تمكن الجيش السوفيتي من القضاء على ثلاث فرق من الجنود الإيطاليين والمجريين في تقدم سريع صوب الجنوب الغربي عبر نهر الدون. وأطبقت التشكيلات السوفيتية عليها من جميع الجهات. فسدت

أمام الألمان كل طرق الإنسحاب، وبذلك تمت محاصرة الجيوش وشطرت القوات الألمانية شطرين، ثم جاءت الخاتمة.

أسر الجيش السوفيتي ما يقارب 201 الف جندي الماني ناهيك عن جنود حلفائهم الرومانيين والمجريين والايطاليين واستولى على 60 الف عربة و6700 مدفع و1500 دبابة في أكبر هزيمة حلت بجيش ألماني في ميدان القتال.

تجلت في موقعة ستالينغراد صفات جديدة في الفن الحربي للجيش السوفيتي الذي اكتسب خبرة محاصرة العدو وتدميره.

وأثارت نتائج معركة ستالينغراد ارتباكا في صفوف دول المحو "حلفاء ألمانيا" التي صارت تواجه ازمة الانظمة الفاشية في كل من إيطاليا ورومانيا والمجر وسلوفاكيا، الامر الذي أدى إلى انخفاض النفوذ الالماني فيها وخروجها من الحرب فيما بعد.

وبذلك كانت هذه الموقعة نقطة تحول في مجرى الحرب العالمية الثانية، إذ اخذ الجيش السوفيتي في الاندفاع بعد ذلك صوب الغرب حتى طرد الألمان من جميع أراضي البلاد.

جغرافية المدينة و أهميتها

تمتد مدينة ستالينغراد بمحاذاة الضفة اليمنى لنهر الفولغا ويبلغ طولها 30 كم ولها أهمية صناعية خاصة وتعتبر المنطقة من الأراضي المنبسطة التي تكثر فيها المستنقعات وهي امتداد للسهل الأوروبي وهي من أغنى مناطق الاتحاد السوفيتي من حيث الثروات.

سير العمليات

كان سير المعركة على النحو التالي :

الهجوم الألماني : بعد أن طرد الألمان القسم الأكبر من القوات الروسية المدافعة عن ستالينجراد توغلوا في المدينة نفسها يوم 12 ايلول 1942 فوجدا أنفسهم يخوضون قتالاً مريراً من شارع إلى شارع ومن بيت إلى آخر وتحمل المشاة الألمان بطبيعة الحال وطأة ذلك القتال المرير متكبدين خسائر فادحة ، وفي يوم 13 ايلول 1942 وصلت قوات الجيش المدرع الرابع الألماني مع بعض التشكيلات الرومانية إلى ضفة نهر الفولغا جنوب المدينة إلا أنها لم تستطع رغم الهجمات المتعاقبة التي شنتها الوصول إلى المنطقة الصناعية الكائنة شمال المدينة بسبب كثرة القوات وشدة مقأومة السوفييت.

المقأومة الروسية المقابلة :

دافعت عن المدينة في أول الأمر الجبهة الجنوبية الغربية وقررت القيادة السوفيتية العليا تدمير الجناح الجنوبي للقوات الألمانية بالقضاء على الجيشين 6 والمدرع 4 ، وكلف المشير جوكوف والفريقان فاسيليفسي وفورونوف بمهمة تنسيق تحركات الجبهات الثلاث المذكورة ، ونقل إلى منطقة ستالينغراد أكبر حشد من احتياطات القوات المسلحة السوفيتية بصورة مكتومة لتحقيق النصر الساحق معاً وقد جرى توقيت الهجوم باعتناء بحيث يتوائم مع إنزال الحلفاء الغربيين في المغرب والجزائر.

في الساعة 7.30 من يوم 19 تشرين أول فتح 7000 مدفع روسي نيرانه على القوات الألمانية في منطقة ستالينغراد تمهيداً للهجوم الروسي المضاد ، وتوخت قطعات الموجة الروسية الأولى المهاجمة قاطع الجيش الثالث الروماني وأحدثت خرقين واسعين في جبهتي فيلقيه الثاني و الرابع عند رأسي الجسرين في كليتسايا و بولشوي على نهر الدون ، وعندئذ تجمعت تشكيلات الفرقتين الخامسة و السادسة وأجزاء من الفرقتين الثالثة عشر و الرابعة عشر الرومانية بإمرة الفريق لاسكار وأخذت تقأوم الهجمات الروسية من موضع مدافع عنه من

جميع الجهات ، فزجت مجموعة الجيوش ب الألمانية احتياطها المؤلف من الفيلق المدرع 48 بقيادة الفريق هايم لإزالة الخرق الروسي إلا أن الفيلق المذكور لم يتمكن من إحباط الهجمات الروسية لعدم كفاية قواته الضعيفة إزاء الهجمات الشديدة المتعاقبة .

في 20 تشرين أول 1942 شرع الروس بالموجة الثانية من الهجوم المضاد الواسع فشن الجيش 51 هجوماً عنيفاً على مواضع الفيلق السادس الروماني (ضمن قاطع الجيش المدرع الرابع الألماني) وتمكن من خرق جبهة خلال ثلاث ساعات فقط ، كما هاجم الروس الفرقة 20 الرومانية (ضمن قاطع الفيلق الرابع الألماني) فانهزم الجيش الروماني مما تسبب في خرق مواضع الجيش المدرع الرابع إلى قاطعين منفصلين . وقد أدى هذا الخرق إلى انهيار دفاعات الفيلق السادس الروماني فأدى ذلك إلى انفساح المجال لاندفاع القوات الروسية وراء الجيش السادس الألماني من جهة الجنوب .

في 22 تشرين أول 1942 استولى الفيلقان المدرعان الرابع و السادس والعشرين الروسيان من الجبهة الجنوبية الغربية في صولة سريعة على جسر الدون قرب كالاتش وفي عصر يوم 23 تشرين أول 1942 التقت ارتالها الأمامية القادمة من الشمال الغربي بالفليق المدرع الرابع الروسي من تشكيلات جبهة ستالينغراد والقادم من الجنوبي الشرقي عند سوفيتسكي فحقق الروس بذلك الاتصال تطويق الجيش السادس الألماني .

أدركت قيادة مجموعة الجيوش (ب) الألمانية بان تطويق الجيش السادس وخرق مواضيع الجيشين الرومانيين يتطلب منها جبهة جديدة إلى الغرب وكذلك تغيير عناصر قيادة التشكيلات الرومانية فتم نقل العقيد الركن الألماني فينك من منصب رئيس أركان الفيلق المدرع 57 إلى منصب رئيس اركان الفيلق الثالث الروماني وصدرت الأوامر للجيش الثالث الروماني بمنعه من

القيام بأية حركة انسحاب ، واستقر الموقف نسبياً في قاطع مجموعة الجيوش الألمانية بعد أن ركزت التشكيلات الروسية ضغطها الشديد على تشكيلات الجيش السادس الألماني التي تم تطويقها في ستالينغراد ، وكان الجيش السادس الألماني قد تعرض لخسائر فادحة من جراء معارك الاشتباك القريب التي دارت في الضواحي الشمالية لمدينة ستالينغراد مما اثر على معنويات رجاله ، أضف إلى ذلك أن شتاء 1942-1943 كان شديد البرودة وقد صادف التعرض الروسي الكبير هطول أمطار غزيزة جعلت التنقل على الطرق الموحلة متعذراً .

عندئذ أصدر هتلر أوامر مشددة للجيش السادس بوجوب الصمود حتى آخر طلقة و آخر جندي ، وأمر بتشكيل مجموعة جيوش الدون في 27 تشرين أول 1942 من الجيش السادس المحاصر والجيش المدرع الرابع وبقايا الجيشين الرومانيين الثالث و الرابع وجعلها تحت قيادة المشير اريش فون مانشتاين الذي استقدم مع جيشه (الجيش الحادي عشر) من جبهة لينينغراد على عجل حيث أبدلت تسمية ذلك المقر إلى (مقر مجموعة جيوش الدون) التي كلفت بمهمة التعرض لكسر التطويق ولكن دون إخلاء ستالينغراد ، فأقام فون مانشتاين جبهة جديدة امتدت من شمال ايلستا إلى شمال كوتلنيكوفو .

حصار الجيش السادس

حرصت القيادة السوفيتية في أول الأمر على منع عمليات كسر التطويق الألمانية سواء من ستالينغراد بخروج الجيش السادس أو الاندفاع من خارجها بتشكيلات الجيش المدرع الرابع وكلفت بهذه المهمة جيش الحرس الثاني بقيادة الفريق الأول مالينوفسكي والجيش 51 بقيادة الفريق الأول تروفانون .

عرض بأولوس حالة جيشه المنهك الذي تكبد خسائر فادحة على القيادة الألمانية مؤملا موافقة هتلر على سحب الجيش السادس من ستالينغراد ببرقية

أرسلها ليلة 24/23 تشرين أول 1942 يطلب فيها السماح له بكسر التطويق والقيام بعملية خروج قبل فوات الأوان لا سيما وان عملية التطويق تضطره بطبيعة الحال إلى الدفاع من جميع الجهات أي مضاعفة طول جبهة الجيش ، كما وان الجيش تكبد في الأيام الأخيرة خسائر فادحة في الأفراد لدرجة أصبحت معها تشكيلاته ضعيفة القوة ، وقد أيده في طلبه رئيس أركان القوات البرية الفريق زايتسلر خلال عرض الموقف اليومي .

تفهم هتلر موقف الجيش في أول الأمر وأبدى ميلا لقبول وجهة نظر الفريق زايتسلر فسال عن مدى إمكانية تموين الجيش السادس المحاصر عن طريق الجو فأبدى قائد القوات الجوية المشير هيرمان غورينغ إستعداده لتموين تشكيلات الجيش السادس جواً ، فكانت إجابته هذه وبالا على الجيش السادس المحاصر ، ذلك لان متطلبات إدامته اليومية تبلغ 750 طناً وقد تعهدت القوة الجوية الألمانية بنقل نصف هذه الكمية ثم رفع قائدها المقدار المذكور إلى 500 طن في اليوم خلال مناقشات صباح 24 تشرين أول 1942 وعندئذ أصدر هتلر قراره بوجوب صمود الجيش السادس في ستالينغراد رغم تحذيرات الفريق زايتسلر الذي اختتم مناقشاته لهتلر بقوله : " انك تريد الاحتفاظ بستالينغراد يا سيدي ولكنك ستفقد ستالينغراد والجيش السادس معاً " .

أعاد الفريق الأول بأولوس ترتيب تشكيلاته ضمن المنطقة المطوقة التي بلغ طولها من الشرق إلى الغرب 40 كم ومن الشمال إلى الجنوب 20 كم وكانت هذه منطقة كافية لإدارة معارك الدفاع السيار بمرونة كما كان مطار بيتومنك الكائن في وسط المنطقة محمياً من تأثيرات النيران المصوبة .

قتال الشوارع

في خلال هذه الفترة كانت هناك قوة مختلطة قوامها 4000 الماني و12000 إيطالي مطوقة شمال ميليروفو فاستطاعت الخروج عنوة في إحدى

الليالي وقد اعتمدت على إسناد بضعة مدافع ثم تنقلت بمسيرة على الجليد لمسافة 20 كم حتى وصلت إلى الخطوط الألمانية ولم تفقد من موجودها سوى اقل من 10% .

شن الروس بتشكيلات الجبهة الجنوبية الغربية وجبهة فورونيش الموجة الثانية من هجومهم الواسع على جبهة الجيش الثامن الإيطالي المؤلف من 7 فرق إيطالية وفرقة ألمانية واحدة في قاطع الدون الأوسط وبعد يومين حقق الروس إنتصارا كبيرا

وسع الروس ثغرات الخرق التي أحدثوها في جبهة الجيش الثامن الإيطالي حتى جعلوها خرقا واسعاً واحداً بلغ اتساعه 100 كم وكان هذا كارثة أحدقت بمجموعة جيوش الدون الألمانية التي تعرضت هي الآخرى لهجمات عنيفة لإبعاد تشكيلات المحور عن ستالينغراد تمهيداً لابادة الجيش السادس وتحقيق هدف آخر هو القضاء على الجناح الجنوبي للتشكيلات الألمانية برمته بالوصول إلى روستوف وعزل القوات الألمانية الباقية في القفقاس .

في ليلة عيد الميلاد 25/24 كانون أول 1942 واليومين الذين أعقباها شددت تشكيلات جبهة ستالينغراد السوفيتية هجماتها بقوات متفوقة عددياً على الجيش المدرع الرابع الألماني والجيش الرابع الروماني ، وفي 29 كانون أول 1942 إحتل الفيلق المدرع السابع الروسي مدينة كوتلنيكوفو وعندئذ اضطر المشير فون مانشتاين إلى إيقاف الهجوم الذي شرع به الجيش المدرع الرابع بقصد الوصول إلى ستالينغراد وتحقيق الاتصال مع الجيش السادس لكي يرأب التصدع الذي طرا على جبهة مجموعة الجيوش وبقي الجيش المدرع الرابع يقاتل ثلاثة فيالق آلية روسية في القاطع الجنوبي ، بينما كان جيش هوليدت من مجموعة الجيوش ب يقاتل ثلاثة جيوش في قاطع تسيميليا .

استسلام الجيش السادس

أصبح موقف الجيش السادس ميئوساً منه في ستالينغراد بعد النجاح الذي حققه الجيش الروسي في إبعاد الجبهة الجديدة عنه إلى هذه المسافة وتكثيف الاحتياطات لتشديد الضغط عليه بصورة منظمة وقد آمنت القيادة العليا الألمانية بان الجيش السادس لم يعد بمقدوره القيام بعملية خروج وتصورت أن بإمكانها إنقاذ الجيش بهجوم جديد تشنه في ربيع 1943 لكنها لم تتمكن من إدامته في ذلك الطقس الشديد البرودة وكذلك لقلة العتاد الذي بقيت لديه منه مقادير ضئيلة ، وكان بإمكان الطائرات القيام بثلاث رحلات يومياً إلى منطقة الحصار ولكن ابتعاد الجبهة الألمانية عن ستالينغراد جعل تنقلها محدوداً بعد أن ضاعف الروس الدفاعات ضد الجو لمقاومة طائرات النقل ففقد الألمان في شهر كانون أول 1942 وحده 246 طائرة خلال عملية نقل المعدات إلى ستالينغراد ،

في 8 /1/ 1943 عرض المشير السوفيتي روكو سوفسكي على الفريق الأول بأولوس الاستلام إلا أن القائد الألماني رفض الطلب وواصل القتال وفي 9 /1/ 1943 تلقى بأولوس نداء من برلين بترقيته إلى رتبة مشير وما لبثت أن وصلته شارات الرتبة وعصا المشير التقليدية ، وقد شرع الروس بهجومهم النهائي لتحطيم الجيش السادس في ستالينغراد يوم 10 /1/ 1943 بعد أن أحاطت بالمدينة سبعة جيوش سوفيتية من الجبهات الثلاثة .

في 14 كانون ثاني 1943 استولى الجيش 21 على مطار بيتومنكوهو أهم قاعدة جوية يتمون الجيش السادس عن طريقها وفي 22 كانون ثاني 1943 فقد الالمان مطار غومراك أيضا وبذلك وانقطع الاتصال الجوي مع ألمانيا تماماً، وحملت آخر طائرة غادرت إلى برلين وسائل وداع من الجنود الألمان لعائلاتهم. وفي 25 كانون ثاني 1943 استطاع الروس خرق دفاعات الجيش السادس في ستالينغراد وعزلوا الفيلق 11 في الشمال عن التشكيلات المحاصرة الآخرى .

في 31 كانون ثاني 1943 استسلم القسم الأكبر من الجيش السادس للسوفيت ووقع المشير بأولوس وثيقة استسلام جيشه للمشير السوفيتي روكوسوفسكي لكن الفيلق 11 بقي يقاتل بقيادة الفريق شتريكر في أطلال الأحياء الشمالية من المدينة لتوفر مقادير ضئيلة من الموؤن ولما نفذت استسلم هو الآخر عصر يوم 2 شباط 1943 .

العلمين

"من الممكن القول بان معركة العلمين كانت بداية النهاية للتفوق العسكري الالماني فبعدها أصبحت في موقع الدفاع ، وكانت المسمار الأول في نعش المانيا الهتلرية التي سقطت على اثر معركة برلين"

التاريخ : تشرين ثاني عام 1942.

الأطراف المتحاربة": المانيا الهتلرية ضد بريطانيا

عدد المقاتلين والقادة:

كانت قوات الجانبين في معركة العلمين كما يلي:

195,000 جندي بريطاني وحليف بقيادة برنارد مونتغمري

مقابل 104,000 جندي محوري. بقيادة إرفين روميل

1029 دبابة للبريطانيين مقابل 489 للمحور.

2311 مدفع للبريطانيين مقابل 1219 للمحور.

750 طائرة للبريطانيين مقابل 675 للمحور.

الخسائر:أسفرت المعركة عن الخسائر الآتية:

- الحلفاء:
- 13000 رجل.
- 250 دبابة (غير قابلة للتصليح).
- 250 دبابة (معطوبة).
- 500 مدفع.
- 250 طائرة.
- المحور:
- 15000 رجل.
- 30000 أسير.

- 54 دبابة.
- 8 مدافع.
- 4 طائرات.

نتيجة المعركة : انتهت بانتصار الإنجليز

تمهيدتاريخي:

في عام 1940 بدأت القوات الإنجليزية الموجودة في شمال إفريقيا بالهجوم على ليبيا، المستعمرة الإيطالية آنذاك وحيث كانت إيطاليا الفاشية قد دخلت في تحالف مع قوات المحور بالاشتراك مع ألمانيا النازية. وكان البريطانيون قد

انطلقوا من مصر وحيث كانت إيطاليا الفاشية قد دخلت في تحالف مع قوات المحور بالاشتراك مع ألمانيا النازية. وحيث كانت إيطاليا الفاشية قد دخلت في تحالف مع قوات المحور بالاشتراك مع ألمانيا النازية. وكان البريطانيون قد زحفوا من مصر التي كانوا يمثلون سلطة الإنتداب فيها، واستطاعوا خلال فترة وجيزة أن يهزموا ثلاث فرق إيطالية كاملة ويصلوا إلى طبرق .

لم يتاخر الإيطاليون المهزومون في ليبيا بطلب معونة حلفائهم الألمان كي يأتوا لنجدتهم. وفي مثل هذا السياق قدم المارشال اروين رومل على رأس فرقة مزودة بالأسلحة الخفيفة إلى طرابلس، عاصمة ليبيا، في شهر نيسان من عام 1941. وبعد وصول الدعم الألماني استطاع الإيطاليون دحر قوات الحلفاء من ليبيا باستثناء فرقة كندية حاصروها في قلعة طبرق. وإستمر ذلك الحصار حتى خريف عام 1941 حيث استفاد الإنجليز من انشغال هتلر بالهجوم على روسيا وقاموا بهجوم فكّوا فيه الحصار عن طبرق .

دارت الحرب بعد ذلك سجالا بين قوات الحلفاء، الإنجليزية أساسا، وبين القوات الألمانية-الإيطالية حيث دحر رومل من جديد البريطانيين في شهر كانون أول من عام 1941. وأقنع الفوهرر ادولف هتلر بعد ذلك أن يزوّده بدعم ضروري بالدبابات والجنود حيث قام في العام التالي بهجومه الثالث بإتجاه النيل بمساعدة حلفائه الإيطاليين .

من خلال ذلك الهجوم، وعلى أساس ما أبداه رومل من كفاءة، جرت ترقيته إلى رتبة مارشال ويفتح جون لاتيمير قوسين في هذا السياق كي يشير إلى أن القوات البريطانية كانت آنذاك على وشك التفكك أمام هجوم رومل، لو لم تنقذ مجموعة صغيرة من المقاتلين الفرنسيين الذين استجابوا لنداء الجنرال شارل ديغول بالانضمام إلى جيش «فرنسا الحرة» ووضعت نفسها تحت تصرّف قوات الحلفاء، وحيث دارت معركة «بير حكيم» الشهيرة .

وفي آخر شهر حزيران 1942 وصلت مدرّعات رومل إلى واحة العلمين على شاطئ المتوسط وعلى بعد 100 كيلومتر من الإسكندرية. دارت في الواقع معركتان في العلمين، انتهت الأولى بـ «لا غالب ولا مغلوب .«

أما المعركة الثانية وهي موضع الحديث فهي التي حأول فيها رومل الالتفاف على الجيش الثامن البريطاني فاصطدمت دباباته بحقل من الألغام. فحأول الالتفاف من جهة آخرى، ولكن قواته كانت قد ضعفت ونقصت ذخائرها ومؤنها بعد أن كانت قوات البحرية والطيران البريطانية قد «قطعتها» عن خطوط إمدادها الخلفية .

قال ونستون تشرشل عن العلمين: «هذه ليست النهاية، ولا حتى بداية النهاية، ولكن نهاية البداية». وأضاف فيما بعد: «قبل العلمين لم ننتصر في أية معركة، وبعد العلمين لم نهزم بأية معركة".

الوضع الميداني للطرفين قبل المعركة (1942)

- المحور:

تعوّد جيش المحور على الاندفاعات المدرعة السريعة والمفاجئة و الهجوم المتواصل، ولكنه وجد نفسه في وضع جديد، إذ لم يعد يتمتع بغطاء جوّي كاف، وكان يعاني نقصاً في الوقود إلى الحدود الدنيا التي تتطلبها خطوط انتشاره واتصالاته، لذلك وجد نفسه في موضع الدفاع.

كذلك، فإن رومل قائد الجيش كان في ألمانيا للعلاج، وكان ميزان القوى بنسبة 2 إلى 1 لصالح مونتغمري.

كانت قوات المحور بقيادة الجنرال شتوم (56 سنة) وعددها نحو 108.000 رجل (منهم 53000 رجل ألماني)، ولديه نحو 600 دبابة (منها 300 دبابة إيطالية م 13). هذه الدبابات عرفت بإسم «الكفن ذي الارتداد الذاتي» (Self-Propelled Coffin)، فقط 38 دبابة ألمانية (مارك 4) كانت تشكل توازناً مع دبابات الشيرمان التي كانت في حوزة الحلفاء. أما عدد طائرات المحور فكان 345 طائرة منها 216 ايطالية، بينما كان يتوافر للحلفاء نحو 900 طائرة انكليزية، إضافة إلى عدد من الطائرات الأميركية.

وكان للمحور نحو 24 مدفعاً فقط من عيار 88 ملم وعدد كبير من المدافع المضادة للدبابات.

كانت مواقع قوات المحور الدفاعية محمية بحزام عميق من الألغام (8 كلم عرض، و60 كلم طول) وكان لديهم نحو 2000 رجل لكل ميل من الجبهة، وهذا لم يكن له تأثير كبير بالنسبة إلى القتال في الصحراء.

النقص في الوقود كان يعني أن المدرعات ستقاتل حيث هي:

- الفرقة 21 بانزر والفرقة آريتي الإيطالية في الجنوب.
- الفرقة 15 بانزر والفرقة ليتوريو الإيطالية في الشمال.

الفرقة تريستا الإيطالية والفرقة 90 الألمانية الخفيفة احتياط في الشمال.

- الحلفاء:

ضمت قوى مونتغمري نحو 220.000 رجل و 1352 دبابة من بينها 1196 في بقعة العمل الأمامية (Forward Area) منها 1201 دبابة كانت مستعدة للانطلاق ليلة24/23 تشرين الأول 1942.

كما كان لدى الانجليز 1400 مدفع مضاد للدبابات (550 مدفعاً 2 رطل، و850 مدفعاً 60 رطلاً).

كما كان لديهم 884 قطعة مدفعية (52 مدفعاً متوسطاً و832 مدفع ميدان).

يتبين أن الجيش الانجليزي الثامن كان يتجه إلى المعركة برجحان واضح على خصمه، في العتاد والرجال والقيادة، خصوصاً وأن قائده (مونتغمري) معروف بإرادته الحديدية وتفوّقه في التكتيك.

خطط العمليات وفكرة المناورة عند مونتغمري

«عندما تسلمت قيادة الجيش قلت إن هذا التكليف كان بهدف تدمير رومل وجيشه، وهذا ما يجب القيام به حالما نكون جاهزين، ونحن الآن جاهزون». قال مونتغمري ذلك في 23 تشرين الأول 1942.

كانت خطة مونتغمري المبدئية تقوم على نقطتين:

أولاً: تدمير مدرعات رومل بسرعة.

ثانياً: التعامل مع عناصره غير المدرعة على مهل.

هذه الخطة تتطابق مع الفكر العسكري السائد في ذلك الوقت، ولكن مونتغمري قرر أن يعكس هذه الطريقة ويقوم بتعديلها بعملين متزامنين:

1- احتواء سلاح العدو المدرع.

2- التعامل مع فرق مشاة العدو، وذلك بتدميرها بطريقة منهجية في مراكزها الدفاعية، وهذه الفرق غير المدرعة ستدمر بعمليات تفتيت متتابعة.

إن تحقيق هذه الخطة يتطلب مهاجمة العدو من الجانبين، والخلف، وقطع الإمدادات عنه بعمليات منظمة، ومخططة بعناية ودقة، من خلال سلسلة من القواعد الثابتة تكون بمتناول قواته.

وقد شرح مونتغمري هذه الخطة واجتمع بقادة جيشه نزولاً حتى رتبة عقيد، فشدد على وضع العدو، وركز على ضعفه، وأكد أن القتال سيكون طويلاً (كقتال الكلاب) أو «قتالاً متوازناً»، قد يستغرق أياماً، وقد تكون عشرة. ثم قدم تفاصيل عن قوة جيشه: دباباته، مدافعه وطائراته والإمدادات الهائلة التي بحوزته من الذخيرة وغيرها، وركز على عدم التخلّي عن روح المبادرة، وشدد على أن كل فرد، يجب أن يكون مشبعاً بالرغبة لقتل الألمان.

سير المعركة:

بقيت الشكوك تساور عقول قادة الفرق الثلاثة للفيلق الثلاثين: «فريبرغ»، «مورشيدو»، «بيانار» وقلة ثقتهم بهجوم مدرع مبكر. ففي الصحراء المفتوحة المنبسطة، من المستحيل إخفاء إشارات هجوم مقبل، ولهذا السبب قام الانجليزبوضع مخطط تمويه يجعل الألمان يعتقدون أن الهجوم سيكون على الطرف الجنوبي للجبهة من جهة الصحراء (منخفض القطارة) وقاموا بوضع أشكال دبابات ومدافع وقواعد لوجستية وخزانات نفط وأنابيب كلها خشبية ومموّهة في هذا القطاع.

في الساعة 21.25 من ليل يوم 23 تشرين أول 1942 بدأ البريطانيون الهجوم بقصف مدفعي.

في ليلة 30-31 تشرين أول شنت الفرقة الاسترالية التاسعة هجوماً نجح في عزل فرقة المشاة 164 الألمانية، ودفع رومل بقواته بغرض تحرير تلك الفرقة، ونجح في ذلك في نفس يوم 31 تشرين أول ولكن بخسائر كبيرة.

في المقابل كان مونتغمري يتعرض لضغوط من رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل لعجزه عن تحقيق نصر سريع، ومع ذلك أعطى مونتغمري الجنود راحة استمرت 24 ساعة انتهت في ليلة 1-2 تشرين ثاني.

في تلك الليلة شن مونتغمري هجومه عبر تل العقاقير جنوب سيدي عبد الرحمن، ولم تستطع قوات المحور صد الهجوم، وأدرك رومل أن المعركة حسمت نهائياً لصالح البريطانيين. وفي صبلح يوم 2 تشرين ثاني وصلته رسالة عبر المذياع من الزعيم الألماني أدولف هتلر تأمره بالصمود حتى النهاية، ويبدو أن رومل لم يكن متأكداً أن هتلر هو صاحب الرسالة، إذ أمر قواته بالانسحاب.

في 3 تشرين ثاني وصل النص غير المشفر لرسالة هتلر الأصلية المطالبة بالصمود، ورغم تفوق القوات البريطانية، فإن رومل قرر إطاعة أوامر هتلر ولو لبعض الوقت.

في 4 تشرين ثاني لم يعد رومل قادراً على تنفيذ أمر هتلر، فبدأ الانسحاب إلى فوكة في الغرب، وكان قد خسر ما بين عصر 3 تشرين ثاني ، وعصر 4 تشرين ثاني حوالي 200 دبابة، وكان رومل قد إلتقى يوم 4 تشرين ثاني بالقائد الألماني كسلرنغ، قائد القوات الألمانية في جبهة البحر المتوسط وأكد له صواب رأيه بالانسحاب، وفي هذا اليوم أيضاً فقد رومل الاتصال بفون توما قائد الفيلق الأفريقي، وسرى اعتقاد بأنه قتل، لكنه في الواقع وقع في الأسر.

في 5 تشرين ثاني حاول رومل إقامة خط دفاعي في فوكة كتمهيد لانسحابه نحو ليبيا.

في 6 تشرين ثاني هطلت أمطار اعاقت التقدم البريطاني فاستغتلها قوات المحور في الانسحاب.

في 7 تشرين ثاني حاولت قوات المحور التوقف في مرسى مطروح. وفي نفس اليوم وصلت رسالة من هتلر تحذر رومل من احتمال قيام الحلفاء بإنزال ما بين طبرق و بنغازي.

في 8 تشرين ثاني وصلت الأخبار رومل أن تلك المخاوف لا أساس لها، لكنه علم أن الحلفاء قاموا بالانزال في المغرب و الجزائر (عملية الشعلة)، ولذلك قرر رومل أن أفضل ما يفعله في الوقت الحالي هو الإنسحاب إلى العقيلة.

المطاردة التي بدأها الجيش الثامن بعد معركة العلمين لقوات المحور من العلمين انتهت في مدينة مدنين في تونس بعد أن قطعت القوات المتحاربة حوالي 2300 كم.

كانت حملة تونس هي آخر المعارك الحاسمة في افريقيا، وهي التي أنهت وجود قوات المحور فيها.

أسباب هزيمة رومل في العلمين وشمال افريقيا

تتمثل أبرز أسباب خسارة الألمان للمعركة بما يلي:

1- تضاؤل التموين عبر المتوسط لقوات المحور إلى خمس الحاجات الاعتيادية بسبب إغراق ثلاثة أرباع سفن التموين من قبل القوة الجوية الملكية البريطانية خصوصاً المحروقات.

2- ازدياد القوة الجوية البريطانية بالطائرات كماً ونوعاً.

3- تضاؤل قوة المحور الجوية (بقيادة كيسلرنغ) على مسرح شمال افريقيا لحاجة هتلر لها على مسرح روسيا.

4- عدم إحتلال جزيرة مالطا من قبل المحور، والتي كانت تشكل قاعدة الحلفاء لضرب قوافل البوآخر المحورية.

5- طول خطوط التموين لقوات المحور من مرفأ طبرق حتى العلمين والبالغة 330 ميلاً أو 660 ميلاً من بنغازي، بينما خطوط تموين

الحلفاء لا تبعد عن العلمين أكثر من 55 ميلاً عن الإسكندرية و 200 ميل عن السويس.

6- عدم تزويد رومل بما يحتاج إليه من الدبابات الجديدة أو الجنود الأكفاء لاستبدال الأعداد التي أنهكت.

7- تدخل هتلر المباشر في العمليات وعدم السماح بالإنسحاب في الوقت المناسب، وعدم وفائه بوعوده لرومل من إحتلال مالطة وتلبية حاجاته الضرورية.

وكانت النتيجة أن تلاشى الأمل في الاستيلاء على دلتا النيل وقناة السويس وضاع حلم هتلر في حركة الكماشة عبر القفقاس، بأن يأتي جيش ألماني من أوكرانيا عبر القفقاس، ويأتي جيش آخر شمالاً عبر الصحراء الغربية وقناة السويس، وذلك بهدف الاستيلاء على حقول نفط الشرق الأوسط، ثم الهجوم على الجناح الجنوبي المكشوف للاتحاد السوفياتي.

وقد اعتبر فوللر أن «مصر وقناة السويس كانتا تمثلان الهدف المثالي لقوات ألمانيا المسلحة في ذلك الوقت. ولو أن ألمانيا ألقت بكامل ثقل آلتها الحربية في الشرق الأوسط، بدلاً من بعثرة قواتها الجوية في أجواء انكلترا، لألحقت ضربة قاتلة بمجموع الامبراطورية البريطانية».

وقال المارشال كايتل مستشار هتلر: «كانت العلمين من أثمن الفرص التي أضعناها»، وأستطيع أن أقول إننا في تلك المرحلة من الحرب كنا أقرب إلى الظفر من أي زمان اخر. لم يبق علينا يومذاك إلا بذل جهد قليل لكي نفتح الإسكندرية، ونكر على قناة السويس أو فلسطين...»

كان خطأ هتلر الكبير أنه:

- حارب على جبهتين بعيدين عن بعضهما في نفس الوقت.
- أخلّ بمبدأ نسبية الأهداف والوسائل في كل مسرح.

- افتقد مبدأ حرية العمل.
- لم يحضّر جيشه لهذه الحرب بالطريقة المناسبة لأهدافه.
- لم يترك حرية العمل لقادة جيشه على مسارح العمليات
- لم يعقد تحالفات مفيدة لتحييد أخصامه.

نهاية رومل: ثعلب الصحراءومارشال هتلر المدلل، التفاصيل يرويها ابن رومل مانفريد : بعد ان حصلت على إجازة من خدمتي في سلاح المدفعيه ذهبت إلى منزلنا في هيلنغر في السابعة صباحا في يوم 1944/10/14م ... والدي رومل كان جالسا يتناول طعام الافطار فدعاني للجلوس معه ثم طلب مني التنزه معه في حديقتنا ، حينها قال لي : ((في الساعة الثانية عشرة ظهرا سيأتي جنرالان للتحدث معي بشأن مستقبلي ، أما أن أحاكم أو ا أرسل إلى الجبهة الشرقية .))

امسك بذراعي دون ان يلتفت إلى سؤالي و استمر كأنه يحدث نفسه : ((بالطبع سأختار الجبهه الشرقية ، فلن عدونا هناك - روسيا الشيوعية - الذي لو نجح في اجتياح أوروبا و لو بصورة مؤقته فستكون نهاية كل امر يستحق العيش من اجله .

انهى والدي حديثه و توجه إلى غرفته ليرتدي زيه العسكري المفضل كقائد للواء ((افريقيا)) و انتهى من ذلك قبل وصول الجنرالين بربع ساعة ، ثم اتجه إلى مكتبه في الطابق الأرضي و جلس على مقعده المفضل .

و في تمام الثانية عشرة ظهرا دخل الجنرالان إلى منزلنا ، لكنهما كانا يظهران الاحترام و التراتب العسكري مع والدي فطلبا منه التحدث اليه بانفراد فغادرت المكتب و اتجهت إلى غرفتي في الطابق الأول بعدها بدقائق سمعت خطوات والدي بإتجاه غرفة والدتي ، فتبعته إلى هناك .

كان وجه والدي شاحبا و هو واقف في منتصف الغرفة وحيت رآني قال لي بصوت حازم : ((لنخرج معا))

و ما ان دخلنا غرفتي حتى قال لي بهدوء : ((لقد ابلغت والدتك بأنني سأموت بعد ربع ساعة)) .

الصدمة اسقطتني أرضا ، الا انه نظر الي برباطة جأش وقال لي بصوت واثق: ((اعلم ان موتي على ايد المانية امر صعب ، لكن المنزل محاصر بالقوات الخاصة وان ابدينا أي مقأومه فسيقتلوننا جميعا لقد انتهى الامر فقد وجه هتلر اتهاما من القيادة لي بأنني خائن ، لكن بفضل سجلي العسكري وما حققته من انتصارات للرايخ الثالث سمح لي هتلر ان اموت بواسطة تجرعي للسم ، وان قبلت هذه النهاية فلن ينتقم من عائلتي و افراد طاقمي العسكري و ستكون جنازتي عسكرية))

الشرط القاسي

كنت مذهولا لما يقوله و اكثر لرباطة جأشه فسألته : و هل تصدق هذه الوعود ؟

فأجاب : نعم ليس لانهم صادقون ، بل لأن مصلحتهم الا يعرف الناس امر محأولة اغتيال هتلر ، خاصة ان معنوياتهم متدنية بسبب تقدم الحلفاء في الجبهه الشرقية و قصفهم المستمر للمدن الالمانية ، لكن لديهم شرطا ؟

سألته بلهفة : ما هو ؟

فقال : ان أبوح لك وحدك بهذه التفاصيل وان اعدتها لو صرحت بها لأحد فسيلغى هذا الاتفاق ، اعرف انك ستقول لي نحن جنود و نستطيع ان نقأوم و ندافع عن انفسنا ، لكن لا فائدة ، فمن الافضل ان اموت في سبيل نجاة عائلتي ، علي الذهاب الان فقد انتهت مهلة العشر دقائق التي منحني اياها الجنرالان لأخبارك بالامر .

الربع ساعة الاخيرة

يكمل مانفريد تفاصيل ربع الساعة الاخيرة من حياة ((ثعلب الصحراء)) قائلا : " ثم طلب والدي ان آتي بمعطفه الجلدي المفضل ليبدو بهيئة المارشال الالماني ، ساعدته في ارتدائه و قبل ان ينزل إلى الطابق الأرضي ، التفت الي قائلا بعد ان فتح محفظة نقوده : آه ، مازال معي بعض من المال 150 ماركا ماذا سأفعل بها ؟

فقلت له : وما قيمة المال امام قيمة حياة ثعلب الصحراء ؟

ابتسم لي وكأنه يطمئنني فما كان بوسعي الا التأهب و اداء التحية العسكرية له قائلا : سيدي ! .

هذا الامر تكرر من الجنرالين لدى رؤيتهما لوالدي . وبكل ادب ووفق التقاليد العسكرية انتظرا حتى جلوسه في السيارة ثم اتجها إلى سيارتهما .

رحيل بلا عودة

تحرك الموكب مغادرا منزلنا ولم يلتفت والدي ولو مرة واحدة لالقاء النظرة الاخيرة لوداعي ، دخلت المنزل بلنتظار لحظة خبر موته و لم يتجأوز الوقت العشرين دقيقة حتى رن الهاتف ليعلن المتحدث موت القائد الفذ روملِ " ثعلب الصحراء" الذي قال عنه خصم النازية اللدود و رئيس وزراء بريطانيا _ حينذاك _ ونستون تشرشل : لو تجأوزنا مشاعرنا تجاه النازية فعلينا الاعتراف بـأن رومل عسكري محترف و جنرال فذ .

لم نعرف تفاصيل قتله الا قبل سقوط برلين بفترة قصيرة ، حينها روى لي احد الشهود و كان جنديا . تفاصيل ماحدث،قال : اسمح لي سيدي ان اخبرك بهذه التفاصيل ليكون التاريخ عادلا مع رجل احب المانيا و اخلص لها ، فلقد كنت شاهدا على مقتل المارشال رومل .

الدقائق الاخيرة

طلبت اليه الجلوس و التحدث بهدوء و استرجاع كل التفاصيل ان امكن ، نظر الي بحزن وقال : " ما ان غادرت موكب السيارات منزلك في الساعة 12,00 ظهرا حتى توقف الموكب بعد خمس دقائق في طريق ريفي جانبي ترجل الجميع من السيارات و تقدمت فرقة كاملة من رجال ((الغوستابو)) _ البوليس النازي السري _ فقد كانت لدى قائدها تعليمات بقتل كل من في منزلكم و احراقه ان ابدى المارشال رومل أي مقأومة . احاط رجال ((الغوستابو)) بسيارة والدك و امرونا جميعا بالابتعاد و الذهاب إلى الطريق الرئيسية ، ثم سمحوا لنا بالعودة ، بعد نصف ساعة ، حينها رأيت المارشال رومل مستندا برأسه على زجاج النافذه اليمنى من السياره و عيناه مغمضتان و قبعته مائلة و عصاه المارشالية ساقطة بين قدميه . هكذا مات والدك ، لقد قتلوه بالسم .

ذهلت من التفاصيل و سألته: كيف عرفتها ؟

فأجابني : لأنني كنت سائق سيارة والدك .

قام من المقعد ثم أدى لي التحية العسكرية و اخرج من داخل معطفه عصاه المارشالية الخاصة بوالدي و قال : "هذا ما استطعت ان آخذ ، فسامحني ، ثم خرج باكيا .

عين جالوت

"حقق المسلمون في معركة عين جالوت، احدالمستحيلات التي كان متعارفا عليها في ذلك الزمن -ورسالةهولاكو لقطز اكبر دليل –،الا وهي استحالة التصدي للتتار أو هزيمتهم، فانقذوا العالم الاسلامي من الدمار والفناء الذي لحق بالعديد من بلاد المسلمين وعلى راسها حاضرة الخلافة -بل الدنيا -بغداد. وهذا الانتصار رسخ فيهم الثقة بالنفس ، مما مكنهم من دحر الصليبيين واجلائهم نهائيا عن بلاد المسلمين. ولو تعلم صّدام الدرس من قطز لما سقطت بغداد."بيد علوج الامريكان".

التاريخ : 25رمضان 658هـ - 9 ايلول 1260م

الاطراف المتحاربة": المسلمون والمغول

عدد الجيش والقادة:

1-المسلمون:؟ بقيادة السلطان المظفر سيف الدين قطز

المغول: عشرين ألف جندي (تومانين بلغة المغول) بقيادة كتبغا النصراني النسطوري .

السبب:رغبة المغول بإحتلال مصر

النتيجة: إنتصار المسلمين

عددالشهداء المسلمين: ؟

عدد القتلى المغول ؟

تعد معركة عين جالوت ، من أهم المعارك الفاصلة في تاريخ العالم الإسلامي. انتصر فيها المسلمون إنتصارا ساحقا على المغول وكانت هذه هي المرة الأولى التي يهزم فيها المغول في معركة حاسمة منذ عهد جنكيز خان.

أدت المعركة لانحسار نفوذ المغول في بلاد الشام وخروجهم منها نهائيا وإيقاف المد المغولي المكتسح الذي أسقط الخلافة العباسية سنة 656 هـ / 1258م.

كما أدت المعركة لتعزيز موقع دولة المماليك كأقوى دولة إسلامية في ذاك الوقت لمدة قرنين من الزمان أي إلى أن قامت الدولة العثمانية. وقعت المعركة في منطقة تسمى عين جالوت عند مدينة بيسان ونابلس بفلسطين.

تمهيد تاريخي:

عندما شعر «جنكيز خان» بدنو أجله، قام بتقسيم دولته بين أبنائه الأربعة من زوجته الأولى كما تنص على ذلك تعاليم التتار، وكانت بلاد العالم الإسلامي من نصيب الابن الثالث «تولوي» الذي لم يلبث أن هلك سريعًا وتولى من بعده ابنه «هولاكو» الذي يعتبر أسوأ أعداء الإسلام على مر التاريخ، فلقد كان «هولاكو» شديد الكره للإسلام والمسلمين، حتى إنه لا يطيق أن يرى مسلمًا أو يسمع كلمة مسلم في قصره، ورغم أن الخان الأعظم للتتار هو «كيوك» ابن عمه، إلا أن هولاكو كان الزعيم الفعلي لكل شعوب التتار، والمحرك الحقيقي للحروب، وكانت زوجته الصليبية «ظفر خاتون» تدفعه بقوة لمحاربة المسلمين، وقد توج هذه الحروب باكتساح بغداد وإسقاط الخلافة العباسية وذلك سنة 656هـ، وارتكب أبشع مجزرة عرفها التاريخ بحق سكان بغداد، إذ قتل ما يقارب المليونين من أهلها.

لم يكن هولاكو يهدف لمجرد إسقاط الخلافة فقط، بل كان همه ونيته إفناء الأمة الإسلامية بأسرها، وقتل كل موحد على وجه الأرض، لذلك وجه جيوشه بقيادة أمهر قادة التتار وإسمه «كتبغا نوين» وذلك للاستيلاء على الشام ومصر.

المماليك:

قامت دولة المماليك في مصر من قلب الحروب والمعارك، فقد ظهرت إلى الوجود فى أعقاب معركة المنصورة التى هزم فيها مماليك السلطان الصالح نجم الدين أيوب جيوش لويس التاسع وأسروه، ومنذ قامت هذه الدولة كان قدر عليها أن تواجه الأخطار الخارجية التي تتعرض لها مصر والمنطقة العربية وتتصدى لها، فبعد سنوات قليلة من استقرار المماليك فى حكم مصر، اجتاحت جيوش المغول المنطقة قادمة من الشرق، وأسقطت في طريقها بغداد عاصمة دولة الخلافة العباسية، وحتى ذلك الحين لم تستطع قوة على الأرض أن تقف فى وجه المغول الذين انطلقوا من السهوب الآسيوية لغزو العالم المحيط بهم شرقا وجنوبا وغربا، وكان للمماليك فى السنوات الأولى من عصر دولتهم الوليدة شرف وقف تقدم المغول والانتصار عليهم فى معركة عين جالوت سنة 658 هجرية، فثبت بذلك المماليك حكمهم ودولتهم واكتسبوا لها شرعية مستندة إلى القوة العسكرية، والقدرة على حماية البلاد، لم يكن وقف الخطر المغولى على يد السلطان المظفر سيف الدين قطز وقائده ورفيق سلاحه ركن الدين بيبرس البندقدارى نهاية المطاف للأعمال الحربية الناجحة للمماليك، بل كان بدايته؛ فعندما تولى الظاهر ركن الدين بيبرس عرش السلطنة فى سنة 658 هجرية، بدأ يوجه جهوده لتصفية الإمارات الصليبية المتبقية فى الشام، ونجح بيبرس وخلفاؤه من سلاطين أسرة قلأوون، فى القضاء على كل الجيوب الصليبية التى لم ينجح الأيوبيون فى القضاء عليهم، وبذلك أنهى أبطال معركة المنصورة من المماليك وأبناؤهم الوجود الصليبى فى الشرق الذى استمر قرابة قرنين من الزمان.

أوضاع الشام قبل حملة هولاكو

كانت بلاد الشام في أثناء تلك المحنة يحكم الأيوبيون أجزاء كبيرة منها، ولم تكن العلاقات بينهم ودية على الرغم من انتسابهم إلى بيت واحد وأسرة

كريمة هي أسرة صلاح الدين الأيوبي ، وبدلا من أن توحدهم المحنة وتجمع بين قلوبهم ويقفوا صفًا واحدًا ،هرول بعضهم إلى هولاكو يعلن خضوعه له، مثلما فعل الناصر يوسف الأيوبي صاحب دمشق وحلب، وكان أقوى الأمراء الأيوبيين وأكثرهم قدرة على مواجهة هولاكو لو رغب، لكنه لم يفعل وأرسل ابنه العزيز إلى هولاكو يحمل إليه الهدايا، ويعلن خضوعه له، ويطلب منه أن يساعده على الاستيلاء على مصر وتخليصها من حكم دولة المماليك التي انتزعت الملك من بيته.

لكن هولاكو رأى في عدم قدوم الناصر إليه بنفسه استهانة به، فكتب إليه رسالة غاضبة يأمره بالإسراع إليه وتقديم آيات الولاء والخضوع دون قيد أو شرط، فانزعج الناصر، وأدرك أن مسعاه قد خاب، واستعد إستعداد الخائف لمواجهة المغول، وبعث بأسرته إلى مصر.

حملة هولاكو

خرج هولاكو في رمضان (657هـ= 1295م) من عاصمة دولته مراغة في أذربيحان، متجهًا إلى الشام، معه حلفاؤه من أمراء جورجيا وأرمينيا، يقود طلائعه قائده "كتبغا"، متجهين إلى الشام، وكانت ميافارقين بديار بكر أول ما ابتدات به الحملة الغازية، فصمدت المدينة للحصار مدة طويلة دون أن يفلح المغول في اقتحامها، غير أن طول الحصار ونفاد المؤن وانتشار الأوبئة وهلاك معظم السكان دفع إلى استسلام المدينة.

وفي أثناء الحصار كانت جيوش المغول تستولي على المدن المجأورة، فسقطت ماردين، وحران، والرها وسروج والبيرة، ثم واصل الجيش زحفه إلى حلب وحاصرها حصارًا شديدًا، حتى استسلمت في (9 من صفر 658هـ- 25 من كانون ثاني 1260م)، وأباح هولاكو المدينة لجنوده سبعة أيام فعاثوا فيها فسادًا، ونشروا الخراب في كل أرجائها، ولم تكد تصل هذه الأنباء المفجعة إلى

دمشق حتى آثر أهلها السلامة بعد أن فر حاكمها الناصر يوسف الأيوبي، وسارعوا إلى تسليم المدينة، وشاءت الأقدار أن يغادر هولاكو الشام إلى بلاده تاركًا مهمة إكمال الغزو لقائده "ك تبغا" فدخل دمشق في (15 من ربيع الأول 658هـ/ 1 من آذار 1260م).

اتجه المغول بعدها لمدينة حلب فدخلوها بعد حصارها وعاثوا فيها فسادا خلال 7 أيام ثم توجهوا نحو دمشق (في آذار 1260 م/658هـ) -وفي هذا الوقت- وصل بالبريد خبر موت الخاقان الأعظم للمغول منكو خان في قراقورم واستدعي أولاد وأحفاد جنكيز خان إلى مجلس الشورى المغولي (الكوريل تاي Kuriltai) لانتخاب الخان الأعظم الجديد للإمبراطورية؛ فرجع هولاكو (الذي هو أخو منكو خان) وأحد المؤهّلين للعرش بمعظم جيشه إلى فارس، ليتابع أمور العاصمة المغولية، و ترك في بلاد الشام جيشاً من المغول عدده يزيد على عشرين ألف جندي (تومانين بلغة المغول) بقيادة أحد أبرز ضباطه وإسمه كتبغا نوين النسطوري وهو قائد عسكري محنك من قبيلة النايمان التركية. دخل كتبغا بجيشه دمشق في 1 آذار 1260 م/15 ربيع الأول 658 هـ بعد أن أعط ى الأمان لأهلها و لكنه خربها وكان حاكمها الناصر يوسف الأيوبي .انطلق المغول بعد السيطرة على دمشق جنوبا في بلاد الشام حتى استولوا على بيت المقدس وغزة و الكرك والشوبك بعد أن تحالف حاكمها المغيث عمر مع المغول.

أما الأوضاع في مصر فكانت شديدة الاضطراب منذ أن قتل «توران شاه» آخر ملوك الأيوبيين سنة 647هـ، فقد تولت بعده «شجرة الدر» لمدة ثمانين يومًا، ثم تولى عز الدين أيبك ودخل في صراع مرير مع أمراء الأيوبيين بالشام، حتى تآمرت عليه زوجته «شجرة الدر» وقتلته سنة 655هـ، ثم قتلت بعده سريعًا، وتولى حكم مصر «المنصور بن عز الدين أيبك» وكان

صغيرًا وكان الأمير «سيف الدين قطز» أكبر أمراء أبيه، هو المتصرف الحقيقي في الأمور، فلما استولى التتار على بلاد الشام وأصبحوا على حدود مصر، جمع «قطز» العلماء ومنهم «العز بن عبد السلام» و«ابن العديم» وإستشارهم في كيفية التصدي للتتار، ودار كلام طويل و«المنصور» حاضر، لا يتكلم بشيء وبان عجزه، مما دفع «قطز» لأن يخلع المنصور ويتولى هو ملك مصر.

كان الوضع النفسي للمسلمين سيئا للغاية وكان الخوف من التتار مستشريا في جميع طبقات المجتمع الإسلامي وقد أدرك قطز ذلك وعمل على رفع الروح المعنوية لدى المسلمين. واستمال قطز منافسيه السياسيين في الشام وحاول ضمهم إلى صفوفه وكان ممن انضم معه بيبرس البندقداري الذي كان له دور كبير في قتال التتار فيما بعد.

وكان هولاكو قبل مغادرته بلاد الشام قد أرسل رسلا لقطز يحملون كتابا كان مما فيه:

«مِن ملك الملوك شرقا وغرباً، الخان الأعظم، بإسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء.. يعلم الملك المظفر قطز وسائر أمراء دولته أنا نحن جند الله في أرضه، خلقنا من سخطه وسلّطنا على من حل به غضبه، فلكم بجميع البلاد معتَبَر، وعن عزمنا مزدجر، فاتعظوا بغيركم، وأسلموا إلينا أمركم قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا ويعود عليكم الخطأ.. وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد وطهرنا الأرض من الفساد وقتلنا معظم العباد، فعليكم بالهرب وعلينا الطلب. فأي أرض تأويكم؟ وأي طريق تنجيكم؟ وأي بلاد تحميكم؟ فما لكم من سيوفنا خلاص، ولا من مهابتنا مناص، فخيولنا سوابق، وسهامنا خوارق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال، فالحصون لدينا لا تمنع، والعساكر لقتالنا لا تنفع، ودعاؤكم علينا لا يُسمع.. فمن طلب حربنا ندم، ومن

قصد أماننا سلم، فإن أنتم لشرطنا ولأمرنا أطعتم، فلكم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن خالفتم هلكتم. فلا تهلكوا نفوسكم بأيديكم، فقد حذر من أنذر.. فلا تطيلوا الخطاب، وأسرعوا برد الجواب قبل أن تضرب الحرب نارها، وترمي نحوكم شرارها، فلا تجدون منا جاهاً ولا عزاً ولا كافياً ولا حرزاً، وتدهون منا بأعظم داهية، وتصبح بلادكم منكم خالية، فقد أنصفناكم إذ راسلناكم، وأيقظناكم إذ حذّرناكم، فما بقي لنا مقصد سواكم»

وأمام هذا الخطر الداهم عقد السلطان قطز مجلسًا من كبار الأمراء، واستقر الرأي على مقابلة وعيد المغول بالإستعداد للحرب، وعزز ذلك بقتل رسل المغول؛ ردًا على تهديد هولاكو وكان هذا التصرف إعلانًا للحرب وإصرارًا على الجهاد، وفي الوقت نفسه بدأ قطز يعمل على حشد الجيوش وجمع الأموال اللازمة للإنفاق على الإستعدادات والتجهيزات العسكرية، وقبل أن يفرض ضرائب جديدة على الأهالي جمع ما عنده وعند أمرائه من الحلي والجواهر، واستعان بها في تجهيز الجيش، استجابة لفتوى الشيخ "العز بن عبد السلام " أقوى علماء عصره.

وكان العز بن عبد السلام قد أمر أمراء ووجهاء الدولة أن يتقدموا بنفائس أملاكهم لدعم مسيرة الجيش الإسلامي فطلب قطز الأمراء وكلمهم في الجهاد فأبوا عليه وامتنعوا من الرحيل، ولما وجد منهم هذا التخاذل ألقى كلمته المأثورة «يا أمراء المسلمين، لكم زمان تأكلون أموال بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون، وأنا متوجه، فمن اختار الجهاد يصحبني، ومن لم يختر ذلك يرجع إلى بيته، فإن الله مطلع عليه، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين».

.وأخذ في الإعداد بسرعة لمواجهة الغزو التتاري، وقد اجتمع عنده من خرج من الشام بعد استيلاء التتار عليه، وبعد المشاورة قرر قطز الخروج بالجيوش المسلمة للقاء التتار خارج الديار المصرية، وانضم الكثير من

المجاهدين المتطوعين للجيوش المسلمة، ورغم الكفاءة القتالية العالية للقائد التتاري «كتبغا نوين» إلا إن نفسه قد امتلأت بالغرور والعجب من كثرة إنتصاراته المتتالية على المسلمين، وكان ذلك في صالح المسلمين، إذ أصر «كتبغا نوين» على ملاقاة «قطز» وجيوشه، على الرغم من نصيحة قادة جيشه بعدم استعجال الصدام، وطلب إمدادات من «هولاكو» الذي قد عاد لعاصمته بعد فتح «حلب»، ولكن «كتبغا نوين» أصر على القتال.

موقف الصليبيين

حأول المغول عبر كتبغا الن صراني التحالف مع مملكة بيت المقدس الصليبية ولكن بابا الفاتيكان منع وحرم التحالف مع المغول . ثم أتت حادثة قتل ابن أخي كتبغا بواسطة الفرسان الصليبيين بصيدا فاكتسح صيدا عقابا على ذلك. أما الصليبيون في عكا فقد اتجه قطز إلى مسالمتهم ومهادنتهم، واستأذنهم بعبور جيشه الأراضي التي يحتلونها وطلب منهم الوقوف على الحيادمن الحرب ما بين المماليك والمغول. وأقسم لهم انه متى تبعه فارس منهم أو رجل يريد أذى عسكر المسلمين إلا رجع وقاتلهم قبل أن يلقى التتر إلا إن الصليبيين ايقنوا بأن المسألة هي مسألة وقت ثم يكتسحهم المغول ويدمرونهم كما دمروا غيرهم، فلذلك غضوا الطرف عن عبور المماليك أراضيهم ولم يتصدوا لهم. وقد بر أولئك الصليبيين بوعدهم فلم يغدروا بالمعسكر الإسلامي من الخلف.

في 15 شعبان 658هـ/آب 1260 م خرج قطز يسبقه بيبرس البندقداري ليكشف أخبار المغول. وواجهت سرية بيبرس طلائع جنود المغول في منطقة قرب غزة، كان قائد المغول في غزة هو بايدر أخو كتبغا الذي أرسل له كتابا يعلمه فيه بتحرك المسلمين، وأخذ بيبرس في منأوشة وقتال المغول حتى انتصر عليهم. واتجه بعدها قطز إلى غزة ومنها عن طريق الساحل إلى شمال فلسطين.

مجريات المعركة:

كان اللقاء الحاسم عند عين جالوت، قرب مدينة بيسان،. في فلسطين وقام سيف الدين قطز بتقسيم جيشه لمقدمة بقيادة بيبرس وبقية الجيش يختبئ بين التلال وفي الوديان المجأورة كقوات دعم أو لتنفيذ هجوم مضاد .

وفي يوم كيوم بدر وفي ساعة كساعة الظفر العظيم، في يوم الجمعة 25 رمضان سنة 658هـ، كان الصدام الهائل بين التتار والمسلمين، وكانت البداية لسقوط أسطورة التتار الذين لا يهزمون، وقد كسر التتار ميسرة الجيش الإسلامي في أول القتال، فما كان من سيف الدين قطز إلا إنه قد صاح بأعلى صوته «وا إسلاماه» وخلع خوذته معلنًا عن نفسه وانطلق كالسهم مخترقا صفوف التتار، حاملاً لواء المسلمين، وقُتل جواده في هذا الاختراق، فظل يقاتل على رجليه حتى جاءوه بفرس.

قامت مقدمة الجيش بقيادة بيبرس بهجوم سريع ثم إنسحبت متظاهرة بانهزام مزيف هدفه سحب خيالة المغول إلى الكمين، في حين كان قطز قد حشد جيشه إستعدادا لهجوم مضاد كاسح، ومعه قوات الخيالة الفرسان الكامنين حول الوادي.

وانطلت الحيلة على كتبغا فحمل بكل قواه على مقدمة جيش المسلمين واخترقه وبدأت المقدمة في التراجع إلى داخل الكمين، وفي تلك الأثناء خرج قطز وبقية مشاة وفرسان الجيش وعملوا على تطويق ومحاصرة قوات كتبغا ولم يمض كثيرا من الوقت حتى هزم الجيش المغولي و نصح بعض القادة كتبغا بالفرار فأبى الهوان و الذل و قتل بعض أصحابه و جرت بينه و بين رجل يدعى العرينان مبارزة و لم يمض وقت طويل من المبارزة فسقط كتبغا صريعا مجندلا على الأرض وكان إنتصار كبير للعرينان.

و أظهر المماليك شجاعة نادرة، وردوا أعداءهم خائبين، ويقال أن العسكر الإسلامي اضطرب في أول الأمر، فألقى الأمير قطز خوذته عن رأسه

إلى الأرض وصاح أمام الجيش قائلاً: وا إسلاماه. وا إسلاماه. . يا الله انصر عبدك قطز على التتار، وحمل بنفسه عليهم، وانتهت المعركة بانتصار حاسم للإسلام والمسلمين،

وحين أحرز النصر ترجّل قطزعن فرسه ومرّغ وجهه بالتراب تواضعاً، وسجد لله شكراً.

. وسجل التاريخ في هذه المعركة تمكن فرسان الخيالة الثقيلة للمماليك المسلمين من هزيمة نظرائهم المغول بشكل واضح في القتال القريب، وذلك لم يُشهد لأحد غيرهم من قبل. نقطة آخرى ظهرت لأول مرة بتلك المعركة وهي المدفعية وإن كانت بالشكل البدائي إلا إنها استخدمت بالمعركة من جانب الجيش المملوكي لتخويف خيل المغول واربك الخيالة مما تسبب بخلخلة التنظيم العسكري المغولي بالمعركة.

ويعتبر المؤرخون هزيمة المغول في هذه المعركة - بداية النهاية للأمبراطورية المغولية.

ما بعد المعركة

كانت معركة عين جالوت واحدة من أكثر المعارك حسمًا في التاريخ، أنقذت العالم الإسلامي من خطر داهم لم يواجه بمثله من قبل، وأنقذت حضارته من الضياع والانهيار، وحمت العالم الأوروبي أيضًا من شر لم يكن لأحد من ملوك أوروبا وقتئذ أن يدفعه.

وقد صرح الكثير من الكتاب الغربي يِن المعاصرين أنه لولا انتصار المسلمين على التتار في عين جالوت ، لكان هناك شك في أن تبقى الحضارة الأسلامية وتراثها العريق أو تنهض الحضارة الأوروبية الحديثة.

وكان هذا النصر إيذانًا بخلاص الشام من أيدي المغول؛ إذ أسرع ولاة المغول في الشام بالهرب، فدخل قطز دمشق على رأس جيوشه الظافرة في (27

من رمضان 658 هـ)، وبدأ في إعادة الأمن إلى نصابه في جميع المدن الشامية، وترتيب أحوالها، وتعيين ولاة لها، وأثبتت هذه المعركة أن الأمن المصري يبدأ من بلاد الشام عامة، وفي فلسطين خاصة، وهو أمر أثبتته التجارب التاريخية التي مرت على المنطقة طوال تاريخها، وكانت النتيجة النهائية لهذه المعركة هي توحيد مصر وبلاد الشام تحت حكم سلطان المماليك على مدى ما يزيد عن نحو مائتين وسبعين سنة.

اهمية المعركة:

يعد المؤرخون هذه المعركة ونتائجها بداية النهاية للإمبراطورية المغولية إذ لم يهزموا في معركة قط قبلها.

فالمي

" ربما كان النصر الذي تحقق للفرنسيين في معركة "فالمي" بذرة الانطلاق التي انبتت الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية التي نعيشها اليوم بخيرها –ان كان فيها خير- وشرها، فلو هزم الفرنسيون في تلك المعركة لما اعتنق الامريكان -الذين قاموا بثورة مماثلة-افكارهم عن الثورة من اجل الحرية والمسأواة...الخ. فالناس لا تقلد المهزوم وانما تولع –كما قال ابن خلدون- بتقليد الغالب. وها هو العالم كله يدفع اليوم ثمن ذلك الانتصار الذي ربما لولا حصوله لما اضطررنا لرؤية وجه بوش البغيض-وامثاله على الشاشات- بكرة واصيلا".!!!

التاريخ : 20 أيلول 1792 م

الاطراف المتحاربة": الثورة الفرنسية وبروسيا

عدد الجيش والقادة:

1- جيش الثورة الفرنسية بقيادة كلرمان

بروسيا: 80,000 بقيادة الدوق (برنزويك)

السبب:رغبة بروسيا في القضاء على الثورة الفرنسية.

النتيجة: انتصر فيها جيش الثورة الفرنسية بقيادة (كلرمان) على الجيش البروسي، بقيادة الدوق (برنزويك)

تمهيد

تعد الثورة الفرنسية التي قامت في 14\تموز عام 1789م من وجهة نظر الكثير من المؤرحين نقطة تحول مهمة في التاريخ الأوروبي ، لابل في تاريخ العالم . وقد أعطت هذه الثورة مفاهيم جديدة ، ووضعت في حيز التنفيذ مبادئ عامة كانت قبل قيامها مجرد نظريات.

اهم اسباب الثورة:

على صعيد الأحوال الاجتماعية والسياسية كانت فرنسا تعيش حالة من الاستقرار النسبي في ظل حكم لويس الرابع عشر الذي اهتم بالفنون والآداب ونال حب الشعب واحترامه، ولكن بعد وفاته، وانتقال العرش إلى رجال أقل منه شأنًا، بدأ العبء ينزلق تدريجيًا عن كاهل الملك ووزرائه إلى كاهل الطبقة المتوسطة (البرجوازية) التي كانت قد بدأت تبرز للوجود، وبخاصة في عهد لويس السادس عشر الذي اتسم بضعف الشخصية، والذي قامت في عهده الثورة وكان أفراد هذه الطبقة المتوسطة في معظمهم متعلمين وميسوري الحال، ومن ثم بدءوا يشعرون بعدم الرضا عن المكانة الدنيا التي يحتلونها بالقياس إلى طبقة النبلاء، وأصحاب المقام الرفيع في الكنيسة. فكان تذمرهم وتمردهم على هذه الأوضاع من العوامل التي أشعلت فتيل الثورة بالتحالف مع العامة أو من يسمونهم بالطبقة الثالثة التي كانت ترزح في أوضاع سيئة في ظل النظام الإقطاعي السائد آنذاك.

أما عن الأحوال الاقتصادية فقد بلغت غاية السوء للدرجة التي لم تستطع فيها الحكومة أن توفر للشعب الغذاء الكافي، وكان ذلك نتيجة الحروب الطويلة، والبذخ على المستويين العام والخاص، وضعف الملوك وعجز الوزراء عن التمسك بالسياسات الموحدة، كل هذا أدى إلى حالة من الفوضى الاقتصادية في البلاد، ولم يستطع أحد علاجها حتى تفاقمت الديون على فرنسا.

ومع استلام لويس السادس عشرالحكم اعتقد الشعب أن الازمة المالية انتهت ، لكن طيبته وضعف ارادته وضعف الشخصية حرمته من استغلال فرص الاصلاح إضافة إلى زوجته ماري انطوانيت التي كانت وبالاً عليه ، ,- وهي صاحبة المقولة المشهورة "إذا لم يكن هناك خبزاً للفقراء .. دعهم يأكلون بسكويتا" - ويؤكد البعض أنها قالت "...دعهم يأكلون بريوش (خبز فرنسي

فاخر)" وإن كان هناك من ينفي عنها حكاية إظهارها الاستخفاف بالفقراء علانية. فعجز عن تصريف شؤون فرنسأوعن حل مشكلة الامتيازات .

فقد اسند لويس السادس عشر إلى رجل مصلح خبير ونزيه هو أنر يكو الذي اقترح تطبيق نظام ضريبي عادل واسناد الوظائف إلى موظفين أمناء ، والعمل على الأنتفاع من أموال الكنيسة ، وقد تابع تطبيق برنامجه الاصلاحي بالغائه لنظام السخرة ، وأعطى الحرية للصناع والتجار.

هذه المحأولات للاصلاح إثارت طبقة النبلاء ورجال الدين ضده ،. لأنها مست مصالحهم وإنتهى باقالته من منصبه .

ثم تولى وزارة المالية المصرفي السويسري الأصل نيكرالذي إستمرت وزارته خمس سنوات ، وقد حاز نيكر حب الجمهور الفرنسي لحسن أساليبه في جمع الضرائب وفحص الحسابات ، ونشر تقريراً مفصلاً عن الأوضاع المالية في عام 1781 م. الذي عد من قبل ماري أنطوانيت وأصدقائها أول كشف عن اسرار الخزينة الملكية .

وعلى الرغم من أن التقرير لقي ترحيب كبير من رجال الاعمال إلا أنه أدى إلى عزله من منصبه من قبل الملك بإلحاح من ماري أنطوانيت. وبعزل ه سيطرت المشكلة الماليه و العجز في الميزانيه على المشكلات الداخليه في فرنسا.

ثم أسندت وزارة المالية بعد نيكر إلى مصلح مالي آخر كان يعد من اذكى وأجرأ من تولاها في تلك الفترة وهو شارل دوكاللون الذ حأول إيجاد نوع من العدالة في جمع الضرائب ، ففوض الضرائب على طبقة النبلاء ، ودعاهم للتنازل عن امتيازاتهم لسد العجز في الميزانية ، إلا أن النبلاء رفضو دفع أي ضريبة ، أو التنازل عن امتيازاهم في دفع الضرائب ، واقترحو على الملك

دعوة مجلس طبقات الأمة وضغطوا عليه بإقالة كالون من منصبه ، وقد رضخ الملك لطلبهم واقيل كالون في العام نفسة.

عين الملك الكاردينال دو بريين كوزير جديد للمالية بعد كالون وقام هذا بدوره واقترح اللجوء إلى السلطة الملكية لفرض الضرائب على الطبقات صاحبة الامتيازات ، ولما قوبل اقتراحه بالرفض قام بتقديم استقالته عام 1788فعمت الاضطرابات المدن الفرنسية وتمت المطالبة بعقد مجلس طبقات الأمة ، وعندما أدرك الملك خطورة الوضع وافق على دعوة مجلس طبقات الأمة .

مجلس طبقات الأمة :

بعد استقالة الكاردينال لوميني دو بريين عين لويس السادس عشر من جديد جاك نيكر رئيساً للوزراء في أب 1788م فقام بعدة خطوات مالية اعادت الثقة ، بعد أن حصل على الاموال اللازمة لسد العجز بالميزانية وبدأ يعد العدة لانعقاد مجلس طبقات الأمة ، الذي وافق الملك على دعوته للانعقاد وحدد يوم 5 ايّار 1789 لانعقاده في فرساي .

وقد أقر برلمان باريس دعوة المجلس للانعقاد ولكن بالطريقة نفسها التي كانت متبعة في عام 1614 . وهذا يدل على سيطرة العقلية المحافظة في البرلمان.

وقد تألف المجلس من ثلاث هيئات منتخبة ، هي:1

١. طبقة النبلاء.
٢. طبقة رجال الدين .
٣. الطبقة الثالثة (العامة).

ولكل من هذه الطبقات صوت واحد ، ويجتمع ممثلو كل طبقة على انفراد في قاعة منفصلة ، ونظراً لتطابق مصالح النبلاء مع مصالح رجال الدين ، فان

التصويت يأتي في صالحهما ضد طبقة العامة ، على الرغم من أن طبقة العامة ه ي الاكثر عدداً. وكانت أعمال مجلس طبقات الأمة إستشارية لا تشريعية ، وهي بشكل عام غير ملزمة.

وفي 5 ايّار 1789 افتتح الملك لويس في قصر فرساي المجلس بحضور ممثلي النبلاء ورجال الدين والطبقة الثالثة والح في كلمة الافتتاح على التآلف والمحبة والوفاق ، ومن ثم تلا وزير العدل البيان الملكي الذي تميز ببعض التناقض المتعمد من قبل الملك الذي عبر فيه عن رغبته بالاصلاح. وقد لوحظ وجود اختلاف كبير بين الملك وبين الطبقة الثالثة حول معالجة الأزمة المالية ومسألة الدستور الذي لم يشر اليه بيان الملك . اضافة للخلاف حول كيفية أخذ الأصوات وهل تعد كل طبقة صوتاً واحداً أم تؤخذ الأصوات بالأغلبية ، وتمسك كل فريق بموقفه وانضم إلى الطبقة الثالثة نبلاء ورجال دين متنورين قرروا تحويل المجلس إلى جمعية وطنية.

الجمعية الوطنية الفرنسية :

رفض ممثلوا الطبقة الثالثة فصل التصويت ، وعقد وا العزم على ألا يرضخوا للطبقتين الآخريين ، ففي 13 حزيران وبعد ما يقارب الشهر من البحث عن اتفاق مع ممثلي الطبقات الآخرى ، انضم بعض ممثلي رجال الدين إلى ممثلي الطبقة الثالثة ، وقد أدى هذا إلى تسارع الاحداث . ففي 17 حزيران 1789 أخذ نواب الطبقة الثالثة فكرة سييس أحد نواب تلك الطبقة بأن يطلقو على أنفسهم إسم ((الجمعية الوطنية)) باعتبارهم الممثلين الحقيقيين للأمة .

واتخذو قراراً بالسماح المؤقت بتحصيل الضرائب(وقد عد هذا القرار بأنه الثورة نفسها) وفقا لما كتبته إحدى زعيماتها مدام دو ستيل ، و في الواقع فان هذا القرار معناه حلول النظام الثوري الجديد محل النظام التقليدي القديم .

في 20 حزيران وبعد اغلاق مركز اجتماعهم ، اجتمعوا في ملعب التنس بنصيحة مونييه أحد وجوه الثورة . وهناك أقسمو بالاجماع ما عدا نائب واحد ألا يتفرقوا حتى يعطوا للمملكة دستوراً يقوم على دعائم ثابتة وقوية .

في 23 حزيران دعا الملك مجلس طبقات الأمة إلى عقد جلسة ملكية في القاعة العامة . و ألقى خطابا ألغى فيه القرار الذي اتخذ يوم 17 حزيران وعرض على المجلس خطة من الاصلاحات ، ظهر فيها تراجع الملك عن رغبات الشعب .

وقد غادر الملك بعد القاء الخطاب ، ووصل موفد الملك دور بريزي ليطلب منهم اخلاء القاعة ، فانبرى له ميرابو أحد وجوه الثورة قائلاً "لن نترك مقاعدنا إلا بقوة الحراب" ، وقد أصدرو قراراً أعلنوا فيه بأنهم غير خاضعين لسلطة القانون من حيث الاتهام والسجن بحكم تمثيلهم للأمة .

وهكذا نرى بأنه بين 17 و 27 حزيران 1789 فقد الملك لويس الكثير من هيبته لتردده وتراجعه ، واستقدم على عجل قوات المرتزقة من السويسريين والالمان التي عسكرت خارج مدينة فرساي . وأقال في 11 تموز وزير المالية المحبوب نيكر .

سقوط الباستيل :

لم تلبث أن عمت مدينة باريس موجة من الفوضى والبحث عن السلاح ونهب المخازن ، واستطاع الغوغاء السيطرة على (دار البلدية في باريس واتخذوها مقراً لحركتهم) ، ونظموا الحرس الأهلي تحت قيادة دولا فاييت .

وتحت تأثير انتشار الشائعات هاجم المتظاهرون مخازن الأسلحة في دار الآنفاليد ودار الصناعة ، وبعض مخازن الأسلحة في مدينة باريس في 14 تموز 1789م . وبعد الإستيلاء على ما فيها من أسلحة اتجهوا إلى مهاجمة سجن

الباستيل وبعد مقاومة عنيفة استسلم حاكم الباستيل دو لوني و قتل هو وعدد كبير من قواته المدافعة عن الحصن وأطلق الشعب سراح السجناء .

أمام هذه الأحداث وخوفاً من أن يفقد الملك زمام المبادرة ، وافق لويس على إبعاد الجيش عن باريس وأبعد بعض وزرائه ، وأعاد نيكر لوزارة المال ، وقبل العلم المثلث الألوان . وذهب بنفسه إلى باريس في 17 تموز .

هذه الزيارة قصد منها إظهار الملك بانه يسيطر على الوضع ، وبالرغم من الهتاف والترحاب الذي قوبل به في باريس على موقفه المعتدل من الأحداث الا ان ذلك لم يكن كافياً لامتصاص نقمة الجماهير على الأوضاع السيئة في فرنسا .

قرارات (4 أب) 1789:

وجهت الجمعية الوطنية في الوقت نفسه جهودها لوضع دستور فرنسا ، والبحث عن الوسائل الكفيلة بوقف تيار الفوضى وامتصاص نقمة الشارع .

وعليه فان ما حصل في ليلة 4 أب في الجمعية الوطنية دشن مجتمعاً فرنسياً جديداً ، اظهر انهيار النظام القديم و جعل الشعب هو صاحب السيادة ومصدر كل سلطة .

إعلان حقوق الانسان :

أعلنت الجمعية الوطنية الفرنسية وثيقة حقوق الانسان في 26 آب 1789 وقد أكد الإعلان حرية الأفراد ومسأواتهم في الحقوق وبأن هدف كل تنظيم سياسي يجب أن يكون المحافظة على حقوق الانسان الطبيعية وهي:

١. حق الحرية والأمن والملكية ومقأومة الظلم وبأن الأمة مصدر السلطات .
٢. القانون تعبير عن الإرادة العامة .
٣. أن حرية الأراء والأفكار هي من أغلى حقوق الانسان.

حوادث ( ) تشرين أول :

رفض الملك التوقيع على مقررات 4 و 26 آب لأنها تجرده من أكثر سلطاته .وهذا الرفض جعل الوضع في باريس يتأزم بخاصة بعد استدعاء الملك لفرقة المرتزقة الاجانب .

وصادف ذلك اختفاء الخبز من باريس بسبب جشع التجار وخوفهم من أعمال السلب والنهب ، وهذا أدى إلى مظاهرات نسائية صاخبة للمطالبة بالخبز ، واستغلت هذه المظاهرات لإجبار الملك على العودة إلى باريس .

فخرجت من باريس مظاهرة ضخمة من النساء وشارك الرجال فيها واتجهت إلى فرساي للمطالبة بعودة الملك إلى باريس اعتقاداً من الشعب بان عودة الملك تعني عودة القمح بالتالي الخبز إلى الأسواق !

وأمام قصر فرساي تجمهر ألوف النسوة والرجال وكادوا يدخلون القصر لولا تدخل الحرس الوطني ولافييت شخصياً الذي طلب شخصياً من الملك وبإسم بلدية باريس العودة إلى باريس .

وفي 6 من الشهر نفسه وصل الملك تحت حراسة مشددة لباريس وحل مع أسرته في قصر التويلري وقد لحقت به الجمعية الوطنية فيما بعد .

وهذا الانتقال معناه وضع الملك تحت مراقبة وضغط الشعب المباشر .

هجرة أعداء الثورة :

بعد الحوادث التي شهدتها فرنسا في صيف 1789 من سقوط الباستيل وحرق الكثير من قصور ومزارع النبلاء ، والاعتداء على بعض رجال الدين الموالين للقصر ، ومع صدور قرارات 4 آب 1789 بالغاء الامتيازات القديمة للنبلاء والكنيسة أدرك رجال الدين والأشراف استحالة التفاهم مع الجمعية الوطنية وأدركوا خطورة بقائهم في فرنسا .فأخذوا يغادرونها جماعات وأفرادا وعلى رأسهم شقيق الملك كونت دارتو (الملك شارل العاشر المقبل) ، وعدد

كبير من النبلاء أمثال كوندي وبولينياك . وقد قصد المهاجرون الحدود البلجيكية وضفاف الراين والحدود الايطالية جاعلين كوبلنر مقراً للعناصر النشطة المعادية للثورة والتي كان يهمها جمع السلاح ، وتحريض الاجانب للوقوف ضد فرنسا الثورة .

هروب الملك في حزيران [illegible]م :

لقد أغضبت قرارات الجمعية الوطنية الملك الذي لم يأخذ بنصيحة الكونت ميرابو ويغادر باريس إلى إحدى المقاطعات الفرنسية ويطلب من الجمعية الوطنية وضع دستور جديد .. وهذا كان من الاسباب الرئيسية التي دفعت الملك لأن ينفذ مشروع زوجته ماري أنطوانيت في 21 حزيران 1791 بالهرب نحو الحدود بإتجاه مدينة شالون الفرنسية ومدينة مس الفرنسية ، إلا أن مصير هذه المحاولة إنتهى بالفشل بعد أن كشف أمر الملك في مدينة فارين بالقرب من الحدود الشمالية الشرقية ، فاعتقل وأعيد مع أسرته إلى مدينة باريس ، وقد أثار نبأ هرب الملك الآنزعاج في باريس لاسيما أنه ترك خطاباً أعلن فيه عدم موافقته على الاجراءات التي اتخذتها الجمعية الوطنية ، وساد اعتقاد بأن الملك كان ينوي أن يستعين بأعداء بلاده على رعاياه . ومن هنا اقترح بعضهم الغاء الملكية واقامة الجمهورية.

لكن الجمعية الوطنية وبعد الحصول على الغالبية قررت إعادة الملك إلى باريس وإيقافه عن مباشرة أعماله ريثما يتم اعلان الدستور ، فان أقره الملك لويس السادس عشر فإنه يظل ملكاً على البلاد وإن رفضه فقد عرشه وتقوم الجمعية باختيار من يخلفه . من هذه اللحظة قضي على الملكية بالهلاك . إذ ظهر الملك كالخصم العلني للدستور. وكمهاجر في قرارة نفسه وكنصير للكهان الذين لم يقسموا اليمين بطاعة الدستور . وكمحرض للحرب الأهلية وكحليف للدول الأجنبية المعادية للثورة . فأوقف عن العمل عشرة أسابيع . وقامت

حكومة جمهورية في كل شيء عدا الإسم . عملت على تلطيف المخأوف التي سأورت النفوس بانحلال فرنسا فيما إذا ألغيت الملكية .

دستور عام□□□□م :

إستمرت عملية مراجعة الدستور وسط نواقيس الخطر هذه جميعاً دون توقف ، حتى انتهت الجمعية الوطنية من مهمة صياغة الدستور التي كرست نفسها من اجلها في أيام الثورة الأولى وهي إعطاء فرنسا دستوراً ديموقراطياً يضمن الحريات العامة ويوزع السلطات توزيعاً عادلاً.

وقد أقرت الجمعية هذا الدستور في 3 أيلول 1791 والنص النهائي له رفع إلى الملك لويس السادس عشر ، الذي درسه دراسة مركزة خلال ثمانية أيام وقد أقره في الرابع عشر من أيلول ، ويمكن تلخيص ما جاء بالدستور الجديد بما يلي:السيادة مصدرها الاساسي الامة التي ت مارسهابواسطة جمعية تشريعية وحيدة من جهة ، ومن جهة آخرى من قبل الملك الذي لم يعد ذو حق مقدس.

وأكد الدستور مبدأ فصل السلطات ، أي فصل السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية .

إعلان بلنتز :

بعد ايقاف الملك لويس السادس عشر وزوجته في فارين ، اجتمع كل من الامبراطور ليوبوليد الثاني وملك بروسيا غليوم الثاني في بلنتز في شهر آب 1791 وأصدروا بياناً بأنهم عزموا الأمر على التحرك لصالح الملك ، وبعد هذا البيان مباشرة أرسل المهاجرون من النبلاء ورجال الدين أنصار النظام القديم المتمركزون في مدينة كلوبلنتس منشوراً توعدوا فيه زعماء الثورة الفرنسية بالعقاب الصارم .

أدت هذه البيانات إلى هياج الرأي العام الفرنسي ضد هذه الدول وعد ذلك تدخلاً في شؤون فرنسا الداخلية ،وانقسم رجال الثورة بين مؤيد للحرب كالجيروندين والمحافظين بزعامة لافاييت والمؤيدين للدستور الذين كانو يرون أن النصر العسكري سيجمع صفوف الشعب الفرنسي في ولائه للدستور . ومعأرض للحرب وهم زعماء اليعاقبة وحجتهم في ذلك بأن الحرب الأوروبية ستلحق الدمار بفرنسا وتعيد النظام الملكي القديم . وهذا ما تراه ماري انطوانيت في الحرب . إذ ترى فيها الفرصة لإعادة الملكية المطلقة إذا ما هزمت فرنسا وكان يشاطر الملكة هذا الرأي حاشيتها، كانت أول خطوة في طريق الحرب الانذار الذي وجهته فرنسا الثورة بقيادة الجيروندين إلى أمير تريف بأن يطرد من أرضه قوات المهاجرين المسلحة التي كانت تحتشد في كلوبلنتس وكان طلباً كاعلان الحرب.

في 20 نيسان 1792 تمكن وزير الخارجية الجنرال ديمورييه من استصدار إعلان الحرب من الجمعية التشريعية على النمسا بخاصة بعد ان هيأت النمسا وبروسيا جيشاً قوامه 80,000 جندي لغزوا فرنسا وأسندت قيادة هذا الجيش إلى دوق برونزويك البروسي.

وقد كشفت المعارك الأولى عدم مقدرة الجيش الفرنسي على متابعة القتال ضد جيش برونزوريك رغم تحمس الفرنسيين وشعورهم بأنهم يقاتلون من أجل قضية الحرية والمسأواة . وقد مني الفرنسيون بسلسلة من الهزائم العسكرية وتقدم برونزويك نحو العاصمة الفرنسية باريس.

وهذا ما أدى إلى هياج الرأي العام الفرنسي وقيام مظاهرة ضخمة في الذكرى الثانية لملعب التنس .هاجم المتظاهرون القصر الذي تقيم فيه الاسرة المالكة قصر التويلري ، لكن الملك والملكة لم يصابا بأذى .

وكان الملك لويس قد أعطى المتظاهرين حجةلمهاجمة قصره عندما أقدم إثر ورود أخبار الهزائم من الجبهة على إقالة حكومة الجيرونديين كونها سبب اندلاع الحرب وعين بدلاً عنها حكومة يمينية كما أظهر تمرده اكثر من مرة على الجمعية التشريعية ، بل ذهب إلى أكثر من ذلك برفضه التصديق على أمر عالٍ لأنشاء معسكر حربي قرب باريس.

واشيع انه كان يتصل سراً بالغزاة خفية كما كان يعتقد . وجاء البرهان على التحالف بين الملكية الفرنسية والقوات الحليفة على منجزات الثورة بالبيان الذي أصدره في 25 تموز 1792 دوق برونزويك إلى الشعب الفرنسي وأعلن فيه عزمه على وضع حد للفوضى، واعادة السلطة الشرعية إلى الملك لويس. وأنذر الشعب الفرنسي بالعواقب الوخيمة إذا ما أصيب أحد افراد الاسرة المالكة بأي أذى، وهذه الأحداث المتتالية أدت إلى التعجيل بسقوط الملكية .

انتفاضة [illegible] آب ومذابح [illegible] م :

كرد على انذار الجنرال البروسي برونزويك طالب زعيم اليعاقبة روبسبير بخلع الملك لويس لاتهامه بالتواطؤ مع الحلفاء ، وذلك منذ يوم 29 تموز 1792 .

لكن الجمعية التشريعية لم تستجب لضغط المتطرفين ، وفي ليلة 9 / 10 من آب قامت الأنتفاضة ضد الملكية الدستورية في مدينة باريس بتشكيل كومون باريس واتخذ مقر له في بلدية باريس برئاسة مارا وتم تعيين قائد جديد للحرس الوطني وهو سانتير بعد اغتيال قائده الملكي الدستوري ماندا من قبل أنصار مارا وبدعم من دانتون .

سقوط القصر التويلري :

بعد أن سيطر المتمردون على بلدية باريس وأحلوا مكانها كومون باريس ، فان مجموعات ثورية مشكلة من عمال ضواحي مدينة باريس واتحاديين

مرسيلين وبريتانيين تحركوا بإتجاه قصر الملك التويلري وأحاطو به ، وبناء على نصيحة رويدر النائب العام لمنطقة باريس الميال للجيروندبين فان الملك وأسرته تمكنا من اللجوء إلى الجمعية التشريعية ، وبقيا هناك ينتظرون نتيجة المعركة بين الحرس الملكي من السويسريين المدافعين عن القصر وبين المتمردين أنصار كومون باريس الذين انتصروا على الحرس في نهاية الأمر حيث قتل ما يقارب الألف ثلثهم من المهاجمين وأبيح القصر الملكي للسلب والنهب .

امام إنتصار حركة التمرد وتحت ضغط لكومون باريس والجموع الهائجة من أنصارهم اضطرت الجمعية التشريعية على الموافقة على تعليق سلطات الملك وايقافه عن ممارسة صلاحياته ، ووضعه تحت الاقامة الجبرية حتى يبت في أمره ، وفي إنتظار ذلك ، فان لجنة مؤقته مؤلفة من ستة وزراء كلفت بالسلطة التنفيذية وأعضائه هم دانتون لوزارة العدل ، رولان للداخلية ، سيرفان للحربية ، كلافيير للمالية ، لو برانتوندو للخارجية ، ومونج للبحرية .

معركة فالمي :

بعد سقوط مدينة فردان في أيدي البروسيين وصلت معنويات الفرنسيين إلى أدنى حد لها ، لكنهم تابعوا تجهيز جيشين لملاقاة الغزاة البروسيين والنمسأويين : جيش الشمال الذي وضع تحت أمرة الجنرال ديمورييه الذي حل محل لافاييت . وكان تمركز هذا الجيش في مدينة سيدان يعأونه قائد جيش آخر متمركز في مدينة ميس وهو الجنرال كليرمان . وقد إلتقى الجيشان أمام مدينة سانت مينو أي في مؤخرة جيش برونزويك ، وعلى الرغم من خوف الجنرال برونزويك على خطوط اتصالاته الخلفية ، فانه لم يأخذ المبادرة ويبدأ المعركة . لكن ملكه البروسي فريدريك غليوم الذي كان مستعجلاً لانهاء الحرب من أجل التفرغ لقضية تقسيم بولندة أمره بالتحرك لعمل سريع ، وبعد محأولة

مفأوضات بين برونزويك وديمورييه ، فان برونزويك أخذ القرار ببدء المعركة التي حصلت يوم 20 أيلول 1792 على هضبة فالمي حيث برز فيها الجنرال الفرنسي كليرمان الذي تقدم قواته وهو يصيح بأعلى صوته (تحيا الأمة).

وقد تراجع برونزويك تحت غزارة المدفعية الفرنسية التي حطمت الهجمات البروسية المتتالية . ويمكن القول إن إنتصار الفرنسيين في فالمي عسكرياً كان أيضاً إنتصاراً معنوياً ، حيث استطاعوا منع البروسيين وحلفائهم من اعادة النظام الملكي القديم لفرنسا .

نهاية لويس وماري:

لويس السادس عشر مات مرفوع الهامة:

تقول رواية جلاده التي كتبت لتصحيح ما روي عن انهيار أعصاب الملك عندما واجه الجماهير الثائرة والمقصلة في كانون الثاني عام 1793.

ووصف سانسون بالتفصيل سلوك لويس التي أعدمت زوجته النمسوية ماري نطوانيت بعده بتسعة أشهر، والتي اشتهرت بقولها قبل الثورة ان على الفلاحين الجائعين ان يأكلوا الكعك عندما ينفد ما لديهم من خبز.

وبعد اختفائها عن الأعين لما يقرب من 200 عام في أرشيف أحد أفراد أسرة سانسون، تردد رواية سانسون نفس كلمات هنري ايدوجوورث القس البريطاني الذي عاش في فرنسا ورافق لويس في العربة التي قادته للمقصلة.

ويحكي سانسون الذي أشرف على اعدام اكثر من 2900 شخص بين 1778 وتقاعده في نيسان 1793 كيف كان لويس عند اعدامه يرفض في البداية خلع معطفه لأسباب تتعلق باللياقة، لكنه خلعه بنفسه بعد ذلك.

كما انه لم يرغب في توثيق يديه في البداية لكنه انصاع بعد ذلك وكتب سانسون في صحيفة ترموميتر دو جور الثورية: "إحقاقا للحق قأوم كل هذا بهدوء وثبات اذهلنا جميعاً". وايضاً: "ما زلت مقتنعاً بأنه جاء بكل هذا الثبات

من المبادئ الدينية التي لم يظهر أن أي شخص آخر متأثر ومقتنع بها بعمق مثله".

وتتناقض روايته مع رواية اخرى شاعت في ذاك الوقت تقول ان الملك أجبر على اعتلاء المقصلة تحت تهديد السلاح وهو يصرخ "لقد ضعت. لقد ضعت".

ويقول سانسون انه في اللحظات التي سبقت الاعدام التفت لويس إلى الجماهير وقال "ايها الناس انني بريء".

ثم تحول إلى جلاديه وهو يقول "ايها السادة انني بريء من كل الاتهامات التي وجهت الي. أتمنى ان يرسخ دمي سعادة الفرنسيين".

ووقع سانسون الخطاب المؤرخ "باريس 20 شباط 1793 العام الأول من الجمهورية الفرنسية" بهذه الكلمات "يمكنكم ان تتأكدوا ايها المواطنون ان هذه هي الحقيقة في أعظم أيامها".

اما ماري أنطوانيت التي كانت وراء اغلب سياسات واعمال لويس الفاشلة ومنها اقناعه بالفرار من باريس في 20 يونيو 1791م ، وثبوت جريمة الخيانة العظمى لمحاولتها ا لحصول على المساعدة من الخارج ضد شعبها ، حينما بدأت الحرب مع النمسا وبروسيا في عام 1792م، مما أدى إلى اتهامها بافشاء أسرارًا عسكرية إلى الأعداء. كل ذلك أدى إلى اعدام زوجها بقطع الرأس في 21 يناير 1793 في ساحة الكونكورد ثم اعدامها في 17 أكتوبر من ذات السنة بنفس الطريقة وكان عمرها 38 سنة وقد تميزت بالشجاعة والنبل والعنفوان أثناء المحاكمة وعند لحظة الإعدام!

القادسية

"اذا كانت معركة نهأوند 21 هجري قد وجهت الضربة الاخيرة للامبرطورية الفارسية وأجهزت عليها،فان الفضل في ذلك يعود إلى معركة القادسية التي وجهت لهم الضربة الاقوى في تاريخهم ودوختهم ،وجعلت دولتهم العجوز بانتظار طلقة الرحمة التي وجهها لهم المسلمون في"فتح الفتوح" نهأوند".وهي واحدة من أعظم معارك الإسلام، إن لم تكن أعظمها فيما بعد الحقبة النبوية، ولا نجد لها وصفًا أصدق ولا أدق من مقولة الصحابي الجليل «جابر بن عبد الله»: «والله الذي لا إله إلا هو ما اطلعنا على أحد من أهل القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة».

التاريخ : الخميس 13 شعبان – 15 هـ / / 636م

الأطراف المتحاربة": المسلمون والفرس

1-المسلمون : 30,000 بقيادة سعد بن أبي وقاص

2-الفرس: 60,000 وسبعون فيلاً. بقيادة رستم فرّخزاد

السبب:

عددالقتلى من الفرس: 50,000؟

عدد القتلى من المسلمين: 6000

نتيجة المعركة : انتهت بانتصار المسلمين ومقتل رستم

اهمية المعركة:شكل الانتصار في القادسية بداية النهاية في القضاء على الدولة الفارسية.

تمهيد تاريخي"

لما وقعت معركة الجسر وقتل فيها كثير من المسلمين بلغوا الأربعة آلاف منهم القائد أبو عبيد ، استطاع المثنى بن حارثة -وهو اشهر ابطال فتوحات العراق على الاطلاق، وأول قائد ينأوش الفرس حتى قبل ان يسلم- استطاع أن

يعيد ترتيب جيشه وينظم صفوفه ويقود المسلمين لانتصارات باهرة على الفرس في البويب والانبار وبغداد واستعاد قرى السواد مرة آخرى ، وعلى الطرف الآخر كانت الصراعات الداخلية على أشدها بين الفرس خاصة القائدين رستم والفيرزان ، فاجتمع العقلاء من حكماء الفرس برئاسة بوران بنت كسرى وكانت على الفرس وقتها لعدم وجود رجل من نسل كسرى ظاهر– و ما افلح قوم ولوا امرهم امرأة- اجتمعوا فقال مجلس الحكماء لرستم والفيرزان 'لم يبرح بكما الاختلاف حتى أوهنتما أهل فارس وأطمعتما فيهم عدوهم والله لتجتمعان أو لنبدأن بكما قبل أن يشمت بنا شامت' فاتفق رستم والفيرزان على ما بينهما من كراهية و شحناء وذلك للوقوف ضد المسلمين وكان أول ما فعلا أن بحثا عن رجل من ولد كسرى لينصبوه عليهم لأنه لا يصلح لقيادتهم امرأة رغم أن بوران كانت حادة الذكاء وعاقلة جداً فوجدوا غلاماً إسمه يزدجر من نسل كسرى قد هرب أيام مذبحة شهرازاد لذكور كسرى عند أخواله فأحضروه ونصبوه ملكاً عليهم وأطاعوه وتفانوا في خدمته ولأول مرة منذ فترة طويلة تجتمع كلمة الفرس ، وبدأ الفرس في إثارة الاضطرابات وتشجيع من دخل في ذمة المسلمين بنقضها وبالفعل استجاب أهل السواد والمناطق المفتوحة وخلعوا طاعة المسلمين ونقضوا عهدهم خاصة بعد أن تواترت الأخبار بقدوم جيش جرار بقيادة رستم نفسه للقضاء على المسلمين، وعندها خرج المثنى من تلك الأراضي التي اشتعلت تحت أقدامهم ونزل على حدود العراق وأرسل للفاروق عمر يخبره بصورة الأمر .

النفير العام :

عندما وصلت الأخبار للخليفة عمر قال مقولته الشهيرة ' والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب' .

ولم يدع رئيساً ولا ذا رأي وذا شرف وبسطة ولا خطيباً ولا شاعراً إلا رماهم به فاجتمع عنده الأبطال والشجعان ولأول مرة يعلن الخليفة النفير العام أو التجنيد الإجباري للمسلمين في قبائل ربيعة ومضر وعزم عمر على أن يقود الجيوش بنفسه ولكن كبار الصحابة أثنوه عن ذلك وأشاروا عليه بتعيين رجل مكانه في القيادة.

المسير إلى العراق:

استدعى عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص سعد بن أبي وقاص الصحابي المستجاب الدعوة وخال رسول الله والأسد عادياً وكان على صدقات هوازن فولاه الجيش وأمره بالسير ومعه أربعة آلاف ثم أمده بألفي يماني وألفي نجديّ وكان مع المثنى ثمانية آلاف وتتابعت الإمدادات حتى صار مع سعد سته و ثلاثون ألفاً.

كان منهم تسعة وتسعون بدرياً وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كان له صحبة فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك وثلاثمائة ممن شهد الفتح وسبعمائة من أبناء الصحابة فنظم الجيش وجعل على الميمنة عبد الله بن المعتم وعلى الميسرة شرحبيل بن السمط الكندي وجعل خليفته إذا استشهد خالد بن عرفطة وجعل عاصم بن عمرو التميمي وسواد بن مالك على الطلائع وسلمان بن ربيعة الباهلي على المجردة وعلى الرجالة حمال بن مالك الأسدي وعلى الركبان عبد الله بن ذي السهمي وجعل داعيتهم سلمان الفارسي والكاتب زياد بن أبيه وعلى القضاء بينهم عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي.

ً وتحرك الجيش المسلم حتى وصل إلى معسكر المسلمين على حدود العراق فوجدوا أن البطل العظيم المثنى بن حارثة قد مات متأثراً بجراح قديمة من معركة الجسر وقد أوصى المسلمين قبل موته أن يقاتلوا الفرس على الحدود قريباً من أرض العرب فإذا كان النصر أخذهم المسلمون ومن ورائهم وإن

كانت الآخرى سهل على المسلمين التراجع إلى بلادهم ، فاستحسن سعد هذه النصيحة وترحم على المثنى وعمل بها.

اقام سعد بن ابي وقاص ،رضي الله عنه في القادسية شهراً، ثم بعث عيوناً إلى أهل الحيرة فرجعوا إليه بالخبر بأن ملك الفرس قد ولّى رستم حربه وأمَّره بالعسكرة فكتب بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر رضي الله عنه :

" لا يكربنَّك ما يأتيك عنه ولا ما يأتونك به فاستعن بالله وتوكل علية وابعث إليه رجالا من أهل المنظرة والرأي والجَلَد يدعونه فإن الله جاعلٌ دعاءَهم توهيناً لهم وفلجاً عليهم واكتب الي في كل يوم "

وفد الخليفة عمر رضي الله عنه إلى كسرى

فجمع سعدٌ نفراً من أهل الرأي والمنظرة والجلد منهم النعمان بن مقرن و الأشعث بن قيس و عاصم بن عمرو و عمرو بن معد يكرب و المغيرة بن شعبة ،و المغيرة بن زرارة .... رضي الله عنهم

ثم بعثهم دعاة إلى كسرى ملك الفرس

" فاستأذنوا على كسرى فأذن لهم، وخرج أهل البلد ينظرون إلى أشكالهم وأرديتهم على عواتقهم وسياطهم بأيديهم، والنعال في أرجلهم، وخيولهم الضعيفة، وخبطها الأرض بأرجلها، وجعلوا يتعجبون منها غاية العجب، كيف مثل هؤلاء يقهرون جيوشهم مع كثرة عَدَدِها وعُدَدها. "البداية والنهاية لابن كثير

فلما دخلوا عليه أمر الترجمان بينه وبينهم فقال : سلهم ما جاء بكم ؟

وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا ؟ أمن أجل أنّا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا

فقال النعمان بن مقرن رضي الله عنه :

" إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولاً يدلنا على الخير ويأمرنا به ويعرفنا الشر وينهانا عنه ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة ..... فعرفنا جميعا

فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق ، ثم أمر أن نبدأ من يلينا من الأمم فندعوهم إلى الانصاف فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دينٌ حسّن الحسن وقبّح القبيح كله ، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخَرَ شرٍ منه الجِزاء 1 فإن أبيتم فالمناجزة 2 فإن أجبتم إلى ديننا خلّفنا فيكم كتاب الله على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وإن اتقيتمونا بالجِزاء قبلنا ومنعناكم ، وإلا قاتلناكم ... "

قال يزدجرد : إني لا أعلم في الأرض أمّة كانت أشقى ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات بين منكم ، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفوننا غاراتكم لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم فإن كان غرور لحقكم فلا يغرنكم منا وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملَّكنا عليكم ملكا يرفق بكم ....

فرد عليه المغيرة بن زرارةرضي الله عنه :

" ... إنك قد وصفتنا صفة لم تكن عالماً بها .فأما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالا منا وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات فنرى ذلك طعامنا وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم ، ديننا أن يقتل بعضنا بعضا ويغير بعضنا على بعض ، فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك ، فبعث الله إلينا رجلا معروفا نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده فأرضه خير أرضنا وحسبه خير حسبنا ...

فقذف الله في قلوبنا التصديق بما جاء به واتباعه فصار فيما بيننا وبين رب العالمين فما قال لنا فهو قول الله وما أمرنا فهو امر الله فقال لنا : إن ربكم يقول :" إني انا الله وحدي لا شريك لي كنت إذا لم يكن شيء وكل شيء هالك إلا وجهي وأنا خلقت كل شيء وإلي يصير كل شيء وإن رحمتي أدركتكم

فبعثت لكم هذا الرجل ليدلكم على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي ولأحلكم دار السلام " ، فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق وقال : " من تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ما عليكم ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم ومن أبى فقاتلوه ، فأنا الحكم بينكم فمن قتل منكم أدخلته جنتي ومن بقي منكم أعقبته النصر على من نأوأه " ... ، فاختر إن شئت الجزية عن يدٍ وأنت صاغر ، وإن شئت فالسيف ، أو تسلم فتنجي نفسك . "

" فاستشاط ملك الفرس ، وهو في أبهته وبين أعظم قواده وعلى أرضه أن يقال له هذا الكلام من بدوي مرقع الثياب. فقال: أتستقبلني بمثل هذا ؟ ثم قال: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، لا شيء لكم عندي، ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أني مرسل إليه رستم حتى يدفيه ويدفيكم معه في خندق القادسية، وينكل به وبكم... "

ثم قال يزدجرد : ائتوني بوقرٍ من تراب ، واحملوه على أشرف هؤلاء : ثم قال : من أشرفكم فسكت القوم ، ثم قال عاصم – وافتات ليأخذ التراب : أنا أشرفهم ، أنا سيد هؤلاء فحملنيه ، فقال : أكذ لك هو قالوا : نعم ، فحمله على عنقه فخرج من الايوان والدار حتى أتى راحلته فحمله عليها ، ثم انجذب في السير حتى دخل وصحبه على سعد واخبروه الخبر فقال سعد :

" أبشروا فقد أعطانا الله أقاليد ملكهم "

وأخذ المسلمون يزدادون في كل يوم قوه ويزداد عدوهم في كل يوم وهنا.

واشتد ما صنع المسلمون وصنع الملك على جلساء الملك وراح رستم من ساباط يسأله عما كان من أمره وأمرهم وكيف رآهم فقال الملك : ما كنت أرى أن في العرب مثل رجال رأيتهم دخلوا علي وما أنتم بأعقل منهم ولا بأحسن جوابا منهم وأخبره بكلام متكلمهم.

وقال : لقد صدقني القوم ، لقد وُعِدَ القوم أمراً ليدركنّه أو ليموتنّ عليه ، على أني قد وجدت أفضلهم أحمقهم فقد ذكروا الجزية فأعطيته تراباً فحمله على رأسه وخرج به ولو شاء اتقى بغيره وأنا لا أعلم .

فقال رستم : أيها الملك إنه لأعقلهم لأنه أراد أن يفتدي القوم بنفسه فتطير بذلك وأبصرها دون أصحابه ...

بين المعسكرين المسلم والفارسي :

نزل سعد والمسلمون القادسية في شهر صفر 15 هـ ومكث شهراً لا يأتيه أحد من الفرس وبدأ ت مؤن المسلمين في النفاذ ،فبحثو ا عن المؤن عند أهل السواد والمناطق المفتوحة ولكنهم قد غدروا بالمسلمين وخلعوا طاعتهم وتآمروا على المسلمين وقطعوا عنهم المؤن والطعام وأخذوا قطعان الماشية وخبأوها في غابة من الغابات الكثيفة فأرسل سعد عاصم بن عمرو ليحصل لهم على المؤن فدخل عاصم غابة واستاق قطعان من الماشية و الثيران بيوم الأباقر، وفي مرة آخرى غنم المسلمون كمية عظيمة من السمك من الصيادين فغنموها وسمى هذا اليوم بيوم الحيتان ، وعندها ضج أهل المناطق الذين آثروا حلف الفرس وخلعوا طاعة المسلمين وذهبوا لرستم يشتكون له مما نالهم من المسلمين .

كان القائد رستم رجلاً حكيماً عاقلاً ذا تجربة وحنكة يرى من خلال الصدامات السابقة مع المسلمين أنهم سينتصرون على الفرس لذلك كره لقاءهم وحاول إعفاء نفسه من قيادة الجيوش وأن يجعل القائد جالينوس مكانه ولكن يزدجرد أصر على ذهابه وخيره إما يذهب هو أو يخرج يزدجرد بنفسه لقيادة الجيوش .

رؤيا رستم :

أثناء هذا كله كان رستم يرى كل يوم رؤيا تتكرر عليه كلما رآها بكى وازداد غماً وهماً حيث يرى أن ملكاً نزل من السماء فأخذ سلاح الفرس ثم

ختمه ثم دفعه للرسول (ﷺ) ثم دفعه الرسول لعمر ، وكلما رأى رستم هذه الرؤيا تأكد عنده هزيمة الفرس فصار يتباطأ وينكل عن اللقاء .

قبل المعركة:

كان " رستم " هو قائد الفرس في هذه المعركة بأمر من ملكهم " يزدجرد " ، وقد حاول " رستم " التنصل من هذه المهمة ، غير أنه اضطر للقيام بها تحت إلحاح ملكهم " يزدجرد " ، وكانت معنويات الفرس منحطة تمامًا ، نظرًا للإنتصارات الباهرة التي سجلها المسلمون في معاركهم السابقة ، وكان من الحيل الرائعة التي قام بها " سعد بن أبي وقاص " ـ رضي الله عنه ـ إرساله المجموعات الاستكشافية من جنوده ، وبعثه السريا لتأتيه بالأخبار ، وتزوده بالطعام ، حتى عرفت أيام قبل " القادسية " بإسماء ما كان فيها من طعام ، كيوم " الأباقر " ويوم " الحيتان " ، وكان في هذا استنزاف للقوات الفارسية .

ولما إقترب الجيشان بدأت المراسلة ، فطلب " رستم " من " سعد " ـ رضي الله عنه ـ أن يبعث إليه رجلاً من رجاله ، فاختار له " سعد " ـ رضي الله عنه ـ أسدًا من أسوده ، وهو " ربعي بن عامر " ـ رضي الله عنه ـ ، وقبل قدوم " ربعي " ـ رضي الله عنه ـ لجأ " رستم " إلى طريقة الابهار ، فزين له مجالسه بالنمارق ، وأظهر اللآلئ والياقوت والأحجار الكريمة ، بيد أنهم فوجئوا برجل قصير القامة ، عليه ثياب صفيقة ، وأسلحة متواضعة ، وفرس صغير ، ولم يزل " ربعي " ـ رضي الله عنه ـ راكبًا فرسه حتى داست على الديباج والحرير ، ثم نزل عنها وربطها في قطع من الحرير مزقها ، وأقبل على " رستم " فقالوا له : " ضع سلاحك " ، فقال : " إني لم آتيكم ، وإنما دعوتموني ، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت " ، فقال " رستم " : " ائذنوا له " ، فأقبل ـ رضي الله عنه ـ يتوكأ على رمحه فوق النمارق ، فخرق أكثرها ، فقال له " رستم " : " ما الذي جاء بكم " ؟ ، فقال ، ويا نِعْمَ ما قال : " إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه

لندعوهم إليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نفضي إلى موعود الله " ، فقال " رستم " وما موعود الله " ؟ ، قال : " الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقى " ، قال " رستم " : " قد سمعت مقالتك ، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا " ؟ ، قال : " نعم كم أحب إليكم ؟ يومًا أو يومين ؟ " ، قال : " لا بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا " ، فقال : " ما سن لنا رسول الله ـ (ﷺ) ـ أن نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث ، فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل " ، قال " رستم " : " أسيدهم أنت " ؟ ، قال : " لا ، ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم " ، فاجتمع " رستم " برؤساء قومه فقال : " هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل " ؟ ، فقالوا : " معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك إلى هذا الكلب! ، أما ترى من ثيابه " ؟ ، فقال : " ويلكم لا تنظروا إلى الثياب ، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة ، إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل ، ويصونون الأحساب " .

هذا موقف " ربعي بن عامر " ـ رضي الله عنه ـ مع " رستم " ، فهل رأيت قوة وبيان ، وسرعة بديهة ، ووضوح حجة ، ورباطة جأش ، وثبات موقف كهذا ؟

إنه حدد غاية المسلم ، وهي " اخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد " ، وحدد مصير المسلم ، وهو " موعود الله بجنة الله " ، وإن كل هذه الإغرءات من الحرير والذهب والنمارق والأرائك لم تهز شعرة منه ، ولم تستطع أن تشغله عمًّا أعده الله له في موعوده ، حيث له فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر .

- " رستم " و " المغيرة بن شعبة " ـ رضي الله عنه ـ :

لما رأى " رستم " ما رأى من " ربعي بن عامر " ـ رضي الله عنه ـ أرسل إلى " سعد " ـ رضي الله عنه ـ يطلب رجلاً آخر ليرى هل هؤلاء القوم كلهم على وتيرة واحدة أم لا ؟ ، فأرسل له " سعد " ـ رضي الله عنه ـ " المغيرة بن شعبة " ـ رضي الله عنه ـ ، لكن " رستم " غير من لهجته ، فأظهر حدته وأبدى غضبه وثورته ، فقال أول ما قال لـ " المغيرة " : " إنما مثلكم في دخول أرضنا مثل الذباب رأى العسل فقال من يوصلني إليه وله درهمان ؟ ، فلما سقط عليه غرق فيه ، فجعل يطلب الخلاص ، فلم يجده ، فجعل يقول من يخلصني وله أربعة دراهم ؟ ، ومثلكم كمثل ثعلب ضعيف دخل جحرًا في كرم ، فلما رآه صاحب الكرم ضعيفـًا رحمه فتركه ، فلما سمن أفسد شيئـًا كثيرًا ، فجاء بجيشه ، واستعان عليه بغلمانه ، فذهب ليخرجه فلم يستطع لسمنه ، فضربه حتى قتله ، فهكذا تخرجون من بلادنا ، وقد أعلم أن الذي حملكم على هذا معشر العرب الجَهدُ الذي قد أصابكم فارجعوا عنَّا عامكم هذا ، فإنَّكم قد شغلتمونا عن عِمارة بلادنا ، وعن عدوّنا ، ونحن نُوفِر لكم ركائبكم قمحـًا وتمرًا،ونأمر لكم بكُسوة، فارجعوا عنَّا عافاكم الله ! " .

فقال " المغيرة بن شعبة " ـ رضي الله عنه ـ : " لا تذكُر لنا جهدًا إلاَّ وقد كنَّا في مثله أو أشدَّ منه ؛ أفضلُنا في أنفسنا عيشـًا الذي يقتل ابن عمه ، ويأخذ ماله فيأكله ، نأكل الميتة والدم والعظام ، فلم نزل كذلك حتَّى بعث الله فينا نبيـًا ـ (ﷺ) ـ وأنزل عليه الكتاب ، فدعانا إلى الله وإلى ما بعثه به ، فصدّقه منا مصدّق ، وكذّبه منَّا آخر ، فقاتل مَن صدّقه من كذبه ، حتى دخلنا في دينه ؛ من بين مُوقن به ، وبين مقهور ، حتى استبان لنا أنه صادق ، وأنه رسول من عند الله ، فأمرنا أن نقاتل من خالفنا ، وأخبرنا أن من قُتل منَّا على دينه فله الجنَّة ، ومن عاش ملك وظهر على من خالفه،فنحن ندعوك إلى أن تؤمن بالله ورسوله ، وتدخل في ديننا،فإن فعلت كانت لك بلادك ، لا يدخل عليك فيها إلا من

أحببت،وعليك الزكاة والخُمس،وإن أبيت ذلك فالجزية،وإن أبيت ذلك قاتلناك حتى يحكم الله بيننا وبينك " .

ايام المعركة:

اليوم الأول: يوم ارماث13 شعبان

عبر الفرس النهر في الصباح ونظموا جيشهم، ونظم سعد جيشه وحثهم على السمع والطاعة لنائبه خالد بن عرفطة لأن سعداً أصابته دمامل في فخذيه فكان ينام على وجهه وفي صدره وسادة، ويقود المعركة من فوق قصره، وصلى المسلمون الظهر وكبر سعد التكبيرة الأولى فاستعدوا، وكبر الثانية فلبسوا عدتهم، وكبر الثالثة فنشط الفرسان.

كانت صفوف المسلمين على أهبة الإستعداد في إنتظار التكبيرة الرابعة ولكن حدثت مفاجأة لم تكن في الحسبان حيث هجم الفرس بكل قواتهم قبل التكبيرة الرابعة وركزوا هجومهم الكاسح على قبيلة بجيلة حيث كانت تمثل ربع الجيش وعددهم ثمانية آلاف مقاتل فهجم الفرس عليهم باثني ن وخمسين ألفاً وتسعة أفيال وكان السر وراء ذلك أن رجلاً من ثقيف خان المسلمين حين ارتد عن الإسلام والتحق بالفرس ودلهم على مكمن ال ضعف في جيش المسلمين . وكادت هذه الهجمة أن تفني قبيلة بجيلة بأسرها فأصدر سعد أوامره لقبيلة أسد وقائدها طليحة الأسيدي أن يدفع الهجمة الفارسية عن قبيلة بجيلة وأتبع أسداً بقبيلة بني تميم وقائدها عاصم بن عمرو فكانت لهذه المساندات أكبر الأثر في رد عدوان الفرس.

كان لسلاح الفيلة أكبر الأثر في الجيوش المسلمة ذلك لأن خيل المسلمين لم تكن رأت من قبل فيلة فكانت تفزع منها وتفر هاربة عند رؤيتها وهذا أثر بشدة على سير القتال وعندها أصدر القائد سعد الذي كان يراقب المعركة من على سطح قصره أمراً بقطع حبال الفيلة حتى تتكسر التوابيت المقامة فوق ظهور الفيلة وانتدب لتلك المهمة عاصم بن عمرو التميمي مع كتيبة خاصة ونجحوا في مهمتهم وصارت الفيلة بلا سائسين فخرج سلاح الفيلة من ميدان

القتال ، ولقد كان هذا اليوم تقريباً في صالح الفرس وتحملت قبيلة أسد عبء هذا اليوم وقتل منهم خمسمائة شهيد .

اليوم الثاني : يوم أغواث

الجمعة 14 شعبان يوم الخدع الحربية .

كان الفاروق عمر قد أصدر أوامره لجند المسلمين بالشام أن يتحرك منهم مجموعة لمساندة المسلمين في القادسية فتحرك هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ابن أخي سعد في ستة آلاف مقاتل بسرعة للقادسية وكان في مقدمة الإمدادات البطل الشهير القعقاع بن عمرو الذي أسرع في السير قبل الجيش فوصل مع كتيبته لأرض المعركة صباح يوم أغواث وكانت كتيبته ألف مقاتل فلجأ القعقاع لخدعة حربية بارعة فقسمهم لعشرة فصائل وأمرهم أن يخرجوا فصيلة تلو الآخرى على أن يثيروا أكبر قد من التراب والغبار أثناء دخولهم لأرض المعركة حتى يظن كلا من المسلمين والفرس أن إمدادات هائلة قد جاءت للمسلمين ، وبالفعل كلما دخلت فصيلة كبرت وكبر المسلمون ولم يمنع طول السفر ووعثاؤه القائد القعقاع بن عمرو أن ينزل لأرض المعركة فور وصوله ويطلب المبارزة فأحجم أبطال الفرس عن مبارزته لفرط شجاعته لذلك اضطر أن يخرج قائد الفرس الكبير 'بهمن جاذويه' لمبارزته فما أن رآه القعقاع حتى انقض عليه كالأسد الكاسر وذبحه كالنعجة وكانت هذه بداية رائعة للمسلمين في هذا اليوم الذي دارت فيه الرحى على الفرس خاصة في ظل اختفاء سلاح الفيلة الذي غاب لإصلاح التوابيت المكسرة في يوم أرماث وكان النصرة للمسلمين فيه وقتل معظم قادة الفرس وكان بطل هذا اليوم هو القعقاع بن عمرو الذي استطاع أن يقتل وحده ثلاثين رجلاً كراً وفراً غير من قتلهم مبارزة .

وكان هذا اليوم لصالح المسلمين بفضل الخدع الحربية التي قام بها القعقاع وغيره واستطاع القعقاع أن يبعد سلاح الخيل الفارسي من ميدان القتال

بالباس الجمال خرقا وبراقع فصار لها منظراً مرعبا لخيل الفرس اجعلها تنفرونفو هاربة ليركب المسلمون أكتاف الفرس

وكان هذا اليوم أيضاً هو يوم البطولات النادرة ومنها بطولة أبي محجن الثقفي الذي كان في محبس سعد لتذمره على تعيين خالد بن عرفطة ولما رأى القتال على أشده توسل لزوجة سعد أن تفك قيوده ليلتحق بالقتال وبالفعل التحق بأرض المعركة ولعب بالسيف والرمح حتى ظن الناس أنه من ملائكة السماء وفعل الأفاعيل الهائلة بالفرس ولما عرف سعد حقيقة أمره أطلق سراحه ، وبات المسلمون بخير ليلة والفرس بشرها .

اليوم الثالث : يوم عمواس السبت 15 شعبان :

في ليلة يوم أغواث شعر القعقاع بت اخر المدد القادم من الشام فقرر القعقاع الذي تحول بالفعل للقائد الميداني للمعركة القيام بخدعة جديدة حيث قام بتسريب كتيبته السابقة في ظلام الليل إلى خارج أرض المعركة وأن يعيدوا الكرة كما فعلو ا في اليوم السابق وذلك عند شروق الشمس بحيث يظن المسلمون أن هناك إمدادات جديدة قد وصلت ليزدادوا حماسة وقوة ويفت ذلك في عضد الفرس وبالفعل تم للقعقاع ما أراد ومع آخر فصيلة داخلة تصادف وصول هاشم بن عتبة بالإمدادات الشامية فكبر هاشم وكبر المسلمون معه فازدادوا حمية وثباتاً .

في هذا اليوم الثالث نزل سلاح المدرعات 'الفيلة' حلبة الصراع بعد إصلاح التوابيت ولكن مع حراسة قوية من جانب الفرس وبدأ الوضع يتغير لصالح الفرس وعندما رأى سعد معاناة المسلمين من الفيلة سأل بعض الفرس الذين أسلموا وصاروا في جيش المسلمين عن نقاط ضعف الفيلة فقالوا له 'المشافر والعيون' فكلف سعد كل من القعقاع وأخيه عاصم بقتل الفيل القائد وهو فيل سابور الأبيض وكلف حمال بن مالك والربيل بن عمرو بقتل الفيل القائد

الآخر وهو الفيل الأجرب وبالفعل استطاع هؤلاء الأبطال خرق عيون الفيلين ففرا هاربين من أرض المعركة فتبعتهما باقي الفيلة وعندها احتدم القتال بين الفرس والمسلمين وحدث التحام كامل بين الجيشين حتى قام طليحة الأسيدي باختراق صفوف الفرس حتى صار خلفهم وكبر ثلاث تكبيرات هائلة أرعبت الفرس وأدهشت المسلمين وكانت هذه التكبيرات الثلاث سبباً لتوقف القتال حتى الليل .

ليلة الهدير ونهاية المعركة:

في هذه الليلة اشتعل القتال حتى قبل إذن سعد ببدئه وتصافح الناس بالسيوف وحمس الوطيس جداً ولم يسمع سوى صوت السيوف وتقاتل الناس قتالاً لم يسمع بمثله في التاريخ واستمر القتال طوال الليل ولما طلعت الشمس من اليوم التالي 16 شعبان وهو يوم القادسية بدأت بشائر النصر تنزل على المسلمين وبدأ الفرس في التراجع تحت ضغط هجمات المسلمين المتتالية وتصدع قلب الجيش الفارسي وأثناء ذلك استطاع الفارس المسلم 'هلال بن علقمة' أن يقتل القائد العام للفرس رستم وحز رأسه وقام على سريره ورفع رأسه ونأدى بأعلى صوته 'قتلت رستم ورب الكعبة' وهنا انهارت قوات الفرس وأمعن المسلمون فيهم القتل حتى قتل منهم ثلاثون ألفاً كانوا قيدوا أنفسهم بالسلاسل حتى لا يفروا من أرض المعركة .

وأمر القائد سعد قائد المقدمة زهرة بن الحوية أن يطارد المنهزمين من فلول الفرس فعبر زهرة ومن معه حاجزاً مائياً صنعه الفرس لعرقلة مطاردة المسلمين لهم ثم هجم على المنهزمين وقتلهم جميعاً وعلى رأسهم القائد الثاني للفرس الجالينوس وتمت الهزيمة الكاملة للفرس .

وأرسل سعد ببشارة النصر للخليفة عمر وكان الجزيرة العربية بأسرها ومعها الروم والعالم كله في وقتها تترقب نتيجة هذه المعركة الحاسمة ، وبلغت

خسائر الفرس في هذه المعركة حوالي خمسين ألفاً وكل القادة الكبار قتلوا أمثال رستم والجالنيوس وبهمن جاذيه وشهريار ، أما خسائر المسلمين فبلغت ستة آلاف وكان يوم القادسية من أعظم أيام الإسلام التي كتب الله عز وجل فيها النصر للمسلمين وكان نقطة فاصلة في تاريخ الصراع بين المسلمين والمجوس انهارت بعدها إمبراطورية الفرس .

فتح القسطنطينية

"شكل سقوط القسطنطينية في أيدي العثمانيين في عام 1453م نقطة انعطاف مهمة في التاريخ الحديث، لأنه ألغى فعلا وقولاً ما كان يعرف بالإمبراطورية البيزنطية التي شملت سيطرتها في يوم من الأيام جميع الأراضي ما بين انجلترا والهلال الخصيب، وإستمرت في الوجود ما يقارب الفاً وخمسمائة عام، وتبع ذلك السقوط ظهور إمبراطورية جديدة هي الإمبراطورية العثمانية، حيث اتخذ العثمانيون من القسطنطينية التي فتحوها، عاصمة لدولتهم، وانطلقوا منها ليبسطوا سيطرتهم على البلقان ومعظم بلاد أوروبا الشرقية. ويعد سقوط القسطنطينية أيضاً حداً فاصلاً ما بين عصرين ،العصر الوسيط وعصر النهضة الذي مهد الطريق للعصر الحديث".

التاريخ: = 5 نيسان 1453م) /(12 من رمضان 805هـ

الاطراف المتحاربة": العثمانيون والبيزنطيون

عدد الجيوش والقادة:

1. **المسلمون :** 250000بقيادةالإمبراطور السلطان محمد الفاتح
2. **البيزنطيون :** 40000 بقيادة الإمبراطور قسطنطين القائد جون جستنيان،

السبب:

عددالقتلى من البيزنطيين ؟

عدد القتلى من المسلمين: ؟

تمهيد تاريخي:.

تعتبر القسطنطينية من أهم المدن العالمية، وقد أسست في عام 330م على يد الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الأول، وقد كان لها موقع عالمي فريد حتى قيل عنها: " لو كانت الدنيا مملكة واحدة لكانت القسطنطينية أصلح المدن لتكون

عاصمة لها. كما كانت أغنى مدينة في العالم على مدار ثمانمائة عام، لكونها مركزًا تجاريًا هامًا يربط بين آسيا وأوروبا، وعندما سقطت روما في القرن 4م تحولت القسطنطينية إلى عاصمة للإمبراطورية الرومانية. وعندما دخل المسلمون في جهاد مع الدولة البيزنطية كان لهذه المدينة مكانتها الخاصة من ذلك الصراع، وقد بشر الرسول (ﷺ) أصحابه بفتحها في عدة مواقف، من ذلك: ما حدث أثناء معركة الخندق . ولهذا فقد تنافس خلفاء المسلمين وقادتهم على محاولة فتحها عبر العصور طمعاً في أن يتحقق فيهم حديث الرسول (ﷺ): "لتفتحن القسطنطينية على يد رجل، فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش".حديث ضعيف/الباني وارناؤوط.

لذلك رنت اليها العيون منذ زمن الخلفاء الراشدين ، وامتدت اليها الايدي منذ زمن معأوية في أولى الحملات الإسلامية عليها سنة 44هـ ولم تنجح هذه الحملة، وقد تكررت حملات آخرى في عهده لاقت بنفس النتيجة.

كما قامت الدولة الأموية بمحاولة آخرى لفتح القسطنطينية أيام سليمان بن عبد الملك سنة 98هـ بقيادة اخيه مسلمة وكانت اقوى حملة حتى ذلك الوقت .

وإستمرت المحاولا ت لفتح القسطنطينية حيث شهد العصر العباسي الأول حملات جهادية مكثفة ضد الدولة البيزنطية، ولكنها لم تتمكن من الوصول إلى القسطنطينية نفسها وتهديدها مع أنها هزتها وأثرت على الأحداث داخلها، وبخاصة تلك الحملة التي تمت في أيام هارون الرشيدسنة 190هـ ضد نكفور "كلب الروم".

وقد قامت فيما بعد عدة دويلات إسلامية في آسيا الصغرى كان من أهمها دولة السلاجقة، التي امتدت سلطتها إلى آسيا الصغرى. كما أن زعيمها ألب أرسلان 455- 465هـ / 1063-1072م استطاع أن يهزم امبراطور الروم ديمونوس في موقعة ملاذ كرد عام 464هـ/1070م ثم أسره وضربه وسجنه

وبعد مدة أطلق سراحه بعد أن تعهد بدفع جزية سنوية للسلطان السلجوقي، وهذا يمثل خضوع جزء كبير من امبراطورية الروم للدولة الإسلامية السلجوقية وبعد ضعف دولة السلاجقة الكبرى ظهرت عدة دول سلجوقية كان منها دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى والتي استطاعت مد سلطتها إلى سواحل بحر إيجة غربا وإضعاف الامبراطورية الرومانية.

وفي مطلع القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي خلف العثمانيون سلاجقة الروم وتجددت المحاولات الإسلامية لفتح القسطنطينية وكانت البداية حين جرت محاولة لفتحها في أيام السلطان بايزيد " الصاعقة " الذي تمكنت قواته من محاصرتها بقوة سنة 796هـ - 1393م[11]، وأخذ السلطان يفاوض الإمبراطور البيزنطي لتسليم المدينة سلماً إلى المسلمين، ولكن هذا أخذ رأوغ وماطل وحاول طلب المساعدات الأوربية لصد الهجوم الاسلامي عن القسطنطينية، حتى وصلت جيوش المغول يقودها تيمورلنك إلى داخل الأراضي العثمانية وأخذت تعيث فسادا، فاضطر السلطان بايزيد لسحب قواته وفك الحصار عن القسطنطينية لمواجهة المغول بنفسه ومعه بقية القوات العثمانية، حيث دارت بين الطرفين معركة أنقرة الشهيرة، والتي أسر فيها بايزيد الصاعقة ثم مات بعد ذلك في الأسر سنة 1402م وكان نتيجة ذلك ان تفككت الدولة العثمانية مؤقتا، وتوقف التفكير في فتح القسطنطينية إلى حين.

وما أن استقرت الأحوال في الدولة حتى عادت روح الجهاد من جديد ، ففي أيام السلطان مراد الثاني الذي تولى الحكم في الفترة824هـ-863هـ/ 1421-1451م جرت عدة محاولات لفتح القسطنطينية وتمكنت جيوش العثمانيين في أيامه من محاصرتها أكثرة من مرة ، وكان الإمبراطور البيزنطي في أثناء تلك المحاولات يعمل على إيقاع الفتنة في صفوف العثمانيين بدعم الخارجين على السلطان. وبهذه الطريقة نجح في إشغاله عن هدفه الذي حرص عليه ، فلم

يتمكن العثمانيون من تحقيق ما كانوا يطمحون إليه إلا في زمن ابنه محمد الفاتح الذي كان في الحادية والعشرين من عمره.

اي ان المسلمين إنتظروا أكثر من ثمانية قرون حتى تحققت البشارة النبوية بفتح القسطنطينية، وكان حلمًا رأود القادة والفاتحين لم تخب جذوته مر الأيام وكر السنين.

عوامل ساهمت في نجاح الفاتح في الفتح

يقول الدكتور الصلابي"ل قد تأثر محمد الفاتح بالعلماء الربانيين منذ طفولته ومن أخصهم العالم الرباني "أحمد بن إسماعيل الكوراني" المشهود له بالفضيلة التامة، وكان استاذ الفاتح في عهدوالده السلطان "مراد الثاني" ".

وفي ذلك الوقت كان محمد الثاني -الفاتح- ، أميرا في بلدة "مغنيسيا" وقد أرسل إليه والده عددا من المعلمين ولم يمتثل أمرهم ، ولم يقرأ شيئا ، حتى أنه لم يختم القرآن الكريم ، فطلب السلطان المذكور ، رجلا له مهابة وحدّة ، فذكروا له المولى "الكوراني" ،فجعله معلما لولده وأعطاه قضيبا يضربه به إذا خالف أمره . فذهب إليه، فدخل عليه والقضيب بيده، فقال: أرسلني والدك للتعليم ،والضرب إذا خالفت أمري، فضحك السلطان محمد خان من ذلك الكلام، فضربه الكوراني في ذلك المجلس ضربا شديداً، حتى خاف ه السلطان محمد خان، وختم القرآن في مدة يسيرة. . ."

هذه التربية الإسلامية الصادقة، وهؤلاء المربون الأفاضل، و بالأخص هذا العالم الفاضل، ممن يمزق الأمر السلطاني إذا وجد به مخالفة للشرع أو لا ينحني للسلطان، ويخاطبه بإسم، ويصافحه ولا يقبل يده، بل السلطان يقبل يده. من الطبيعي أن يتخرج من بين جنباتها أناس عظماء كمحمد الفاتح، وأن يكون مسلماً مؤمناً ملتزماً بحدود الشريعة، مقيد ا بالأوامر والنواهي معظماً لها

ومدافعاً عن إجراءات تطبيقها على نفسه أولاً ثم على رعيته، تقياً صالحاً يطلب الدعاء من العلماء العاملين الصالحين

وبرز دور الشيخ آق شمس الدين في تكوين شخصية محمد الفاتح وبث فيه منذ صغره أمرين هما:

1. مضاعفة حركة الجهاد العثمانية.
2. الإيحاء دوماً لمحمد منذ صغره بأنه الأمير المقصود بالحديث: (لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش لذلك كان الفاتح يطمع أن ينطبق عليه حديث رسول الله (ﷺ) المذكور).].

بدء العمليات العسكرية:

وكان السلطان بايزيد الأول قد أنشأ على ضفة البوسفور الآسيوية في أثناء حصاره للقسطنطينية حصنا تجاه أسوارها عُرف بإسم قلعة الا ناضول، وكانت تقوم على أضيق نقطة من مضيق البوسفور، وعزم محمد الفاتح أن يبني قلعة على الجانب الأوروبي من البوسفور في مواجهة الأسوار القسطنطينية، وقد جلب لها مواد البناء وآلاف العمال، واشترك هو بنفسه مع رجال دولته في أعمال البناء، وهو ما ألهب القلوب وأشعل الحمية في النفوس، وبدأ البناء في الارتفاع شامخ الرأس في الوقت الذي كان فيه الإمبراطور قسطنطين لا يملك وقف هذا البناء، واكتفى بالنظر حزينًا وهو يرى الخطر الداهم يحدق به دون أن يملك لدفعه شيئا. ولم تمض ثلاثة شهور حتى تم بناء القلعة على هيئة مثلث سميك الجدران، في كل زاوية منها برج ضخم مغطى بالرصاص، وأمر السلطان بأن ينصب على الشاطئ مجانيق ومدافع ضخمة، وأن تصوب أفواهها إلى الشاطئ، لكي تمنع السفن الرومية والأوروبية من المرور في بوغاز البوسفور، وقد عرفت هذه القلعة بإسم "روملي حصار"، أي قلعة الروم.

توسل الإمبراطور قسطنطين إلى محمد الفاتح بالعدول عن إتمام القلعة التي تشكل خطرًا عليه، لكنه أبي ومضى في بنائه ا، وبدأ البيزنطيون يحأولون هدم القلعة والإغارة على عمال البناء، وتطورت الأحداث في منأوشات، ثم لم يلبث أن أعلن السلطان العثماني الحرب رسميا على الدولة البيزنطية، فما كان من الإمبراطور الرومي إلا أن أغلق أبواب مدينته الحصينة، واعتقل جميع العثمانيين الموجودين داخل المدينة، وبعث إلى السلطان محمد رسالة يخبره أنه سيدافع عن المدينة لآخر قطرة من دمه. وأخذ الفريقان يتأهب كل منهما للقاء المرتقب.

في أثناء ذلك بدأ الإمبراطور قسطنطين في تحصين المدينة وإصلاح أسوارها المتهدمة وإعداد وسائل الدفاع الممكنة، وتجميع المؤن والغلال، وبدأت ترد إلى المدينة بعض النجدات مما خفف من روح الفزع التي سيطرت على الأفئدة، وتسربت بعض السفن تحمل المؤن والغذاء، ونجح القائد الجنوبي "جون جستنيان" مع 700 مقاتل محملين بالمؤن والذخائر في الوصول إلى المدينة المحاصرة؛ فاستقبله الإمبراطور قسطنطين استقبالا حسنًا وعينه قائدًا عامًا لقواته، فنظم الجيش وأحسن توزيعهم ودرب الرهبان الذي يجهلون فن الحرب تمامًا، وقرر الإمبراطور وضع سلسلة لإغلاق القرن الذهبي أمام السفن القادمة، تبدأ من طرف المدينة الشمالي وتنتهي عند حي غلطة.

إستعدادات محمد الفاتح

كانت فكرة الفتح مسيطرة على عقل السلطان وكان يعتبرها قضيته المصيرية ومحور حياته وغايته من الدنيا ،فلا يتحدث إلا عنها ولا يأذن لأحد من جلسائه بالحديث في غيرها، ولا يعيش الا لها وهو مستعد لبذل حياته في سبيل تحقيقها.. وساقت له الأقدار مهندسا مجريا يدعى "أوربان"، عرض عليه أن يصنع له مدفعا ضخما يقذف قذائف هائلة تكفي لثلم أسوار القسطنطينية؛

فرحب به السلطان وأمر بتزويده بكل ما يحتاجه من معدات، ولم تمض ثلاثة أشهر حتى تمكن أوربان من صنع مدفعه العظيم الذي لم يُر مثله قط، فقد كان يزن 700 طن، ويرمي بقذائف زنة الواحدة منها 12 ألف رطل، ويحتاج جره إلى 100 ثور يساعدها مائة من الرجال، وعند تجربته سقطت قذيفته على بعد ميل، وسمع دويه على بعد 13 ميلا، وقد قطع هذا المدفع الذي سُمي بالمدفع السلطاني الطريق من أدرنة إلى موضعه أمام أسوار القسطنطينية في شهرين.

بدء الحصار

وصل السلطان العثماني في جيشه الضخم أمام الأسوار الغربية للقسطنطينية المتصلة بقارة أوروبا يوم الجمعة الموافق (12 من رمضان 805هـ= 5 من نيسان 1453م) ونصب سرادقه ومركز قيادته أمام باب القديس "رومانويس"، ونصبت المدافع القوية البعيدة المدى، ثم اتجه السلطان إلى القبلة وصلى ركعتين وصلى الجيش كله، وبدأ الحصار الفعلي وتوزيع القوات، فوضع الفرق الا ناضولية وهي أكثر الفرق عددًا عن يمينه إلى ناحية بحر مرمرة، ووضع الفرق الأوروبية عن يساره حتى القرن الذهبي، ووضع الحرس السلطاني الذي يضم نخبة الجنود إلانكشارية وعددهم نحو 15 ألفًا في الوسط. وتحرك الأسطول العثماني الذي يضم 350 سفينة في مدينة "جاليبولي" قاعدة العثمانيين البحرية في ذلك الوقت، وعبر بحر مرمرة إلى البوسفور وألقى مراسيه هناك، وهكذا طوقت القسطنطينية من البر والبحر بقوات كثيفة تبلغ 265 ألف مقاتل، لم يسبق أن طُوقت بمثلها عدة وعتادًا، وبدأ الحصار الفعلي في السبت الموافق (13 من رمضان 805هـ = 6 من نيسان 1453م)، وطلب السلطان من الإمبراطور "قسطنطين" أن يسلم المدينة إليه وتعهد باحترام سكانها وتأمينهم على أرواحهم ومعتقداتهم وممتلكاتهم، ولكن

الإمبراطور رفض؛ معتمدًا على حصون المدينة المنيعة ومساعدة الدول النصرانية له.

وضع القسطنطينية

تحتل القسطنطينية موقعا منيعا، حباه الله بأبدع ما تحبى به المدن العظيمة، تحدها من الشرق مياه البوسفور، ويحدها من الغرب والجنوب بحر مرمرة، ويمتد على طول كل منها سور واحد. أما الجانب الغربي فهو الذي يتصل بالقارة الأوروبية ويحميه سوران طولهما أربعة أميال يمتدان من شاطئ بحر مرمرة إلى شاطئ القرن الذهبي، ويبلغ ارتفاع السور الداخلي منهما نحو أربعين قدمًا ومدعما بأبراج يبلغ ارتفاعها ستين قدما، وتبلغ المسافة بين كل برج وآخر نحو مائة وثمانين قدما. أما السور الخارجي فيبلغ ارتفاعه خمسة وعشرين قدما، ومحصن أيضا بأبراج شبيهة بأبراج السور الأول، وبين السورين فضاء يبلغ عرضه ما بين خمسين وستين قدما، وكانت مياه القرن الذهبي الذي يحمي ضلع المدينة الشمالي الشرقي يغلق بسلسلة حديدية هائلة يمتد طرفاها عند مدخله بين سور غلطة وسور القسطنطينية، ويذكر المؤرخون العثمانيون أن عدد المدافعين عن المدينة المحاصرة بلغ أربعين ألف مقاتل.

اشتداد المناوشات:

بعد ما أحسن السلطان ترتيب وضع قواته أمام أسوار القسطنطينية بدأت المدافع العثمانية تطلق قذائفها الهائلة على السور ليل نهار لا تكاد تنقطع، وكان دوي اصطدام القذائف بالأسوار يملأ قلوب أهل المدينة فزعا ورعبا، وكان كلما انهدم جزء من الأسوار بادر المدافعون عن المدينة إلى إصلاحه على الفور، وإستمر الحال على هذا الوضع.. هجوم جامح من قبل العثمانيين، ودفاع مستميت يبديه المدافعون، وعلى رأسهم جون جستنيان، والإمبراطور البيزنطي. وفي الوقت الذي كانت تشتد فيه هجمات العثمانيين من ناحية البر

حاولت بعض السفن العثمانية تحطيم السلسلة على مدخل ميناء القرن الذهبي واقتحامه، ولكن السفن البيزنطية والإيطالية المكلفة بالحراسة والتي تقف خلف السلسلة نجحت في رد هجمات السفن العثمانية، وصبت عليها قذائفها وأجبرتها على الفرار. وكانت المدينة المحاصرة تتلقى بعض الإمدادات الخارجية من بلاد المورة وصقلية، وكان الأسطول العثماني مرابطا في مياه البوسفور الجنوبية منذ (22 من رمضان 805هـ = 15 من نيسان 1453م)، ووقفت قطعة على هيئة هلال لتحول دون وصول أي مدد ولم يكد يمضي 5 أيام على الحصار البحري حتى ظهرت 5 سفن غربية، أربع منها بعث بها البابا في روما لمساعدة المدينة المحاصرة، وحاول الأسطول العثماني أن يحول بينها وبين الوصول إلى الميناء واشتبك معها في معركة هائلة، لكن السفن تصدت ببراعة للسفن العثمانية وأمطرتها بوابل من السهام والقذائف النارية، فضلا عن براعة رجالها وخبرتهم التي تفوق العثمانيين في قتال البحر، الأمر الذي مكنها من أن تشق طريقها وسط السفن العثمانية التي حاولت إغراقها لكن دون جدوى ونجحت في اجتياز السلسلة إلى الداخل.

فكرة عبقرية

كان لنجاح السفن في المرور أثره في نفوس أهالي المدينة المحاصرة؛ فانتعشت آمالهم وغمرتهم موجة من الفرح بما أحرزوه من نصر، وقويت عزائمهم على الثبات والصمود، وفي الوقت نفسه أخذ السلطان محمد الثاني يفكِّر في وسيلة لدخول القرن الذهبي نفسه وحصار القسطنطينية من أضعف جوانبها وتشتيت قوى المدينة المدافعة. فلاحت للسلطان فكرة بارعة وهي نقل السفن من مرساها في بشكطاش إلى القرن الذهبي، وذلك بجرها على الطريق البري الواقع بين الميناءين مبتعداً عن حي غلطة خوفاً على سفنه من

الجنوبيين، وقد كانت المسافة بين الميناء نحو ثلاثة أميال، ولم تكن أرضاً مبسوطة سهلة ولكنها كانت وهاداً وتلالاً غير ممهدة.

جمع محمد الفاتح أركان حربه وعرض عليهم فكرته، وحدد لهم مكان معركته القادمة.

بدأ تنفيذ الخطة، وأمر السلطان محمد الثاني فمهدت الأرض وسويت في ساعات قليلة وأتى بألواح من الخشب دهنت بالزيت والشحم، ثم وضعت على الطريق الممهد بطريقة يسهل بها انزلاق السفن وجرها .

وجرت السفن من البوسفور إلى البر حيث سحبت على تلك الأخشاب المدهونة بالزيت مسافة ثلاثة أميال ، حتى وصلت إلى نقطة آمنة فأنزلت في القرن الذهبي، وكان عددها أكثر من سبعين سفينة حين غفلة من العدو، بطريقة لم يُسبَق إليها السلطان الفاتح قبل ذلك ، وقد كان يشرف بنفسه على العملية التي جرت في الليل بعيداً عن أنظار العدو ومراقبته.

كان هذا العمل عظيماً بالنسبة للعصر الذي حدث ت فيه بل معجزة من المعجزات ، تجلى فيه ا سرعة التفكير وسرعة التنفيذ، مما يدل على عقلية العثمانيين الممتازة، ومهارتهم الفائقة وهمتهم العظيمة.

وقد تم كل ذلك في ليلة واحدة واستيقظ أهل المدينة البائسة صباح يوم 22 نيسان على تكبيرات العثمانيين المدوية، وهتافاتهم المتصاعدة، وأناشيدهم الإيمانية العالية.في القرن الذهبي، وفوجئوا بالسفن العثمانية وهي تسيطر على ذلك المعبر المائي، ولم يعد هناك حاجز مائي بين المدافعين عن القسطنطينية وبين الجنود العثمانيين. ولقد عبر أحد المؤرخين البيزنطيين عن عجبهم من هذا العمل فقال: "ما رأينا ولا سمعنا من قبل بمثل هذا الشيء الخارق، محمد الفاتح يحول الأرض إلى بحار وتعبر سفنه فوق قمم الجبال بدلاً من الأمواج، لقد فاق محمد الثاني بهذا العمل الإسكندر الأكبر".

ظهر اليأس على أهل القسطنطينية وكثرت الشائعات والتنبؤات بينهم، ومنها شائعة تقول: تسقط القسطنطينية عندما ترى سفنا تمخر اليابسة" . وكان اهل المدينة قد رأوا نذيرًا آخر، اذ ان معتقداتهم تؤكد أن مدينة القسطنطينية لن تسقط طالما بقي القمر في السماء، ولكن ليلة الرابع والعشرين من ايّار من ذلك العام شهدت خسوفًا كاملاً للقمر وحل الظلام الدامس مدة ثلاث ساعات.

وكان لوجود السفن الاسلامية في القرن الذهبي دور كبير في إضعاف الروح المعنوية لدى المدافعين الذين اضطروا لسحب قوات كبيرة من المدافعين عن الأسوار الآخرى لكي يتولوا الدفاع عن الأسوار الواقعة على القرن الذهبي لكونها أضعف الأسوار ، اذكانت في السابق محمية بالمياه، مما أوقع الخلل في الدفاع عن الأسوار الآخرى.

وقد حاول الإمبراطور البيزنطي تنظيم أكثر من عملية لتدمير الأسطول العثماني في القرن الذهبي إلا أن محاولاته المستميته باءت بالفشل لان العثمانيين كانوا لها بالمرصاد .

وإستمر العثمانيون في دك نقاط دفاع المدينة وأسوارها بالمدافع، وحاولوا تسلّق أسوارها.

وفي الوقت نفسه انشغل المدافعون عن المدينة في بناء وترميم مايتهدم من أسوار المدينة ورد المحاولات المكثفة لتسلق الأسوار مع إستمرار الحصار عليهم مما زاد في إرهاقهم واشغل ليلهم مع نهارهم وأصابهم اليأس.

كما وضع العثمانيون مدافع خاصة على الهضاب المجاورة للبسفور والقرن الذهبي، مهمتها تدمير السفن البيزنطية والمتعاونة معها في القرن الذهبي والبسفور والمياه المجاورة مما عرقل حركة سفن الأعداء وأصابها بالشلل .

اجتماع بين الملك قسطنطين ومعاونيه:

عقد الملك قسطنطين ومعاونوه ومستشاروه ورجال النصرانية في المدينة اجتماعاً، فأشاروا عليه بالخروج بنفسه من المدينة والتوجه لطلب النجدات من الشعوب المسيحية، والدول الأوروبية ، فيضطر محمد الفاتح لرفع الحصار عن مدينتهم، ولكنه رفض هذا الرأي وأصر على أن يقاوم إلى آخر لحظة ولا يترك شعبه في المدينة حتى يكون مصيره ومصيرهم واحداً، وأنه يعتبر هذا واجبه المقدس وأمرهم أن لا ينصحوه بالخروج أبداً . وأكتفى بإرسال وفود تمثله إلى مختلف أنحاء أوروبا لطلب المساعدة ،ورجعت تلك الوفود تجر ا أذيال الخيبة وكانت الأجهزة الأستخباراتية للدولة العثمانية قد اخترقت القسطنطينية وما حولها بحيث أصبحت القيادة العثمانية على علم تام بما يدور حولها. وكان السلطان العثماني يفاجئ خصمه في كل مرة بخطة جديدة لعله يحمله على الاستسلام أو طلب الصلح، لكنه كان يأبى، ولم يعد أمام السلطان سوى معاودة القتال بكل ما يملك من قوة.

حفر الآنفاق لدخول المدينة:

ثم لجأ العثمانيون إلى طريقة عجيبة في محاولة دخول المدينة حيث عملوا على حفر أنفاق تحت الأرض من مناطق مختلفة إلى داخل المدينة وسمع سكانها ضربات شديدة تحت الأرض أخذت تقترب من داخل المدينة بالتدريج، فأسرع الامبراطور بنفسه إلى ناحية الصوت وأدركوا أن العثمانيين يقومون بحفر أنفاق تحت الأرض، للوصول إلى داخل المدينة، فقرر المدافعون الإعداد لمواجهتها بحفر أنفاق مماثلة مقابل أنفاق المهاجمين لمواجهتهم دون أن يعلموا، حتى إذا وصل العثمانيون إلى الانفاق التي أعدت لهم ظنوا أنهم وصلوا إلى سراديب سرية تؤدي إلى داخل المدينة ففرحوا بهذا، ولكن الفرحة لم تطل إذ فاجأهم الروم، فصبوا عليهم النفط المحترق والمواد الملتهبة ، فأختنق كثير منهم واحترق قسم آخر وعاد الناجون منهم أدراجهم من حيث أتوا.

لكن هذا الفشل لم يفت في عضد العثمانيين ، فعأودوا حفر إنفاق آخرى ، وفي مواضع مختلفة، من المنطقة الممتدة بين أكرى فبو وشاطئ القرن الذهبي وكانت مكاناً ملائماً للقيام بمثل هذا العمل، وظلوا على ذلك حتى أوآخر أيام الحصار وقد أصاب أهل القسطنطينية من جراء ذلك خوف عظيم وفزع لايوصف حتى صاروا يتوهمون أن أصوات أقدامهم وهم يمشون هي أصوات خفية لحفر يقوم به العثمانيون، وكثيراً ما كان يخيل لهم إن الأرض ستنشق ويخرج منها الجند العثمانيون ويملئون المدينة ، فكانوا يتلفتون يمنة ويسرة، ويشيرون هنا وهناك في فزع ويقولون : هذا تركي ، ...،هذا تركي ويجرون هرباً من أشباح يحسبونها انها تطارهم ، وكثيراً ماكان يحدث أن تتناقل العامة الشائعة فتصبح كأنها حقيقة واقعة رأها احدهم بعيني رأسه وهكذا داخل سكان القسطنطينية فزع شديد أذهب وعيهم، حتى لكأنهم سكارى وماهم بسكارى ، فريق يجري، وفريق يتأمل السماء، ومجموعة تتفحص الأرض، والبعض ينظر في وجوه البعض الآخر في عصبية زائدة وتجهم شديد.

ولم يكن عمل العثمايين هذا سهلاً ، فان هذه الانفاق التي حفروها قد أودت بحياة كثير منهم، فماتوا اختناقا واحتراقا ، كما وقع الكثير منهم في بعض هذه المحأولات في أسر الروم، فقطعت رؤوسهم وقذف بها إلى معسكر العثمانيين.

مفاجأة عسكرية عثمانية:

ولما لم تؤدي الانفاق الغرض منها لجأ العثمانيون إلى أسلوب جديد في محأولة الاقتحام وذلك بأن صنعوا قلعة خشبية ضخمة شامخة متحركة تتكون من ثلاثة أدوار، وبارتفاع أعلى من الأسوار، وقد كسيت بالدروع والجلود المبللة بالماء لتمنع عنها النيران، وأعدت تلك القلعة بالرجال في كل دور من أدوارها ، وكان الذين في الدور العلوي من الرماة يقذفون بالنبال كل من يطل

برأسه من فوق الأسوار، وقد وقع الرعب في قلوب المدافعين عن المدينة حينما زحف العثمانيون بهذه القلعة وإقتربوا بها من الأسوار عند باب رومانوس، فاتجه الإمبراطور بنفسه ومعه قواده ليتابع صد تلك القلعة ودفعها عن الأسوار، وقد تمكن العثمانيون من لصقها بالأسوار ودار بين من فيها وبين النصارى عند الأسوار قتال شديد واستطاع بعض المسلمين ممن في القلعة تسلق الأسوار ونجحوا في ذلك، وقد ظن قسطنطين أن الهزيمة حلت به، إلا أن المدافعين كثفوا من قذف القلعة بالنيران حتى أثرت فيها وتمكنت منها النيران فاحترقت، ووقعت على الأبراج البيزنطية المجاورة لها فقتلت من فيها من المدافعين، وامتلأ الخندق المجاور لها بالحجارة والتراب.

ولم ييأس العثمانيون من المحاولة بل قال الفاتح وكان يشرف بنفسه على مأوقع: غداً نصنع أربعاً آخرى.

زاد الحصار وقوي واشتد حتى أرهق من بداخل المدينة من البيزنطيين، فعقد زعماء المدينة اجتماعاً 24 ايّار داخل قصر الإمبراطور وبحضوره شخصياً، وقد لاح في الأفق بوادر يأس المجتمعين من إنقاذ المدينة حيث اقترح بعضهم على الإمبراطور الخروج بنفسه قبل سقوط المدينة لكي يحاول جمع المساعدات والنجدات لإنقاذها أو استعادتها بعد السقوط، ولكن الإمبراطور رفض ذلك مرة آخرى وأصر على البقاء داخل المدينة والإستمرار في قيادة شعبه وخرج لتفقد الأسوار والتحصينات.

وأخذت الاشاعات تهيمن على المدينة وتضعف من مقاومة المدافعين عنها، وكان من أقواها عليهم ماحدث في يوم 16 جمادى الأولى الموافق 25 ايّار، حيث حمل أهل المدينة تمثالاً للسيدة مريم العذراء بزعمهم، وأخذوا يتجولون به في ضواحي المدينة، يدعونه ويتضرعون إلى العذراء أن تنصرهم على أعدائهم، وفجأة سقط التمثال من أيديهم وتحطم، فرأوا في ذلك شؤم ونذير

بالخطر، وتأثر سكان المدينة وخصوصاً المدافعين عنها، وحدث في اليوم التالي 26 ايّار هطول أمطار غزيرة مصحوبة ببعض الصواعق، ونزلت إحدى الصواعق على كنيسة آيا صوفيا، فتش اعم البطريق ، وذهب إلى الإمبراطور وأخبره أن الله تخلى عنهم وأن المدينة ستسقط في يد المجاهدين العثمانيين، فتأثر الإمبراطور حتى أغمى عليه.

وفي المقابل وقعت حادثة مهمة كان لها أثرها في رفع الروح المعنوية للمجاهدين المسلمين، اذ عثر مجاهدان من المسلمين على قبر الصحابي الجليل "أبي أيوب الآنصاري" رضي الله عنه إلى جانب أسوار المدينة، وكان قد قدم لفتحها منذ قرون لكنه استشهد وعد ذلك مبشرًا بالنصر الإسلامي هذه المرة.

الساعات الاخيرة قبل سقوط المدينة

وفي فجر يوم الثلاثاء (20 من جمادى الأولى 857هـ= 29 من ايّار 1453م)، كان السلطان العثماني قد أعد أهبته الأخيرة، ووزَّع قواته وحشد زهاء 100 ألف مقاتل أمام الباب الذهبي، وحشد في الميسرة 50 ألفًا، ورابط السلطان في القلب مع الجند إ لانكشارية، واحتشدت في الميناء 70 سفينة وبدأ الهجوم برًا وبحرًا، واشتد لهيب المعركة وقذائف المدافع يشق دويها عنان السماء ويثير الفزع في النفوس، وتكبيرات الجند ترج المكان فيُسمع صداها من أميال بعيدة، والمدافعون عن المدينة يبذلون كل ما يملكون دفاعا عن المدينة، وما هي إلا ساعة حتى امتلأ الخندق الكبير الذي يقع أمام السور الخارجي بآلاف القتلى. وفي أثناء هذا الهجوم المحموم جرح "جستنيان" في ذراعه وفخذه، وسالت دماؤه بغزارة فانسحب للعلاج رغم توسلات الإمبراطور له بالبقاء لشجاعته ومهارته الفائقة في الدفاع عن المدينة، وضاعف العثمانيون جهدهم وإندفعوا بسلالمهم نحو الأسوار غير مبالين بالموت الذي يحصدهم حصدا، حتى نجح جماعة من إلانكشارية في تسلق السور، وتبعهم المقاتلون

وسهام العدو تنفذ إليهم، ولكن ذلك كان دون جدوى، فقد استطاع العثمانيون أن يتدفقوا نحو المدينة، ونجح الأسطول العثماني في رفع السلاسل الحديدية التي وُضعت في مدخل الخليج، وتدفق المهاجمون إلى المدينة التي سادها الذعر، وفر المدافعون عنها من كل ناحية.

وما هي إلا ساعات ثلاث من بدء الهجوم حتى كانت المدينة العتيدة تحت أقدام الفاتحين.

محمد الفاتح في المدينة:

واصل العثمانيون هجومهم في ناحية آخرى من المدينة حتى تمكنوا من اقتحام الأسوار والاستيلاء على بعض الأبراج والقضاء على المدافعين في باب أدرنة ورفعت الاعلام العثمانية عليها، وتدفق الجنود العثمانيون نحو المدينة من تلك المنطقة، ولما رأى قسطنطين الأعلام العثمانية ترفرف على الأبراج الشمالية للمدينة، أيقن بعدم جدوى الدفاع وخلع ملابسه حتى لايعرف ، ونزل عن حصانه وقاتل حتى قتل في ساحة المعركة.

وكان لانتشار خبر موته دور كبير في زيادة حماس المجاهدين العثمانيين وسقوط عزائم النصارى المدافعين وتمكنت الجيوش العثمانية من دخول المدينة من مناطق مختلفة وفر المدافعون بعد هلاك قيادتهم، وهكذا تمكن المسلمون من الاستيلاء على المدينة وكان الفاتح رحمه الله مع جنده في تلك اللحظات يشاركهم فرحة النصر، ولذة الفوز بالغلبة على الأعداء من فوق صهوة جواده وكان قواده يهنئونه وهو يقول : الحمد لله ليرحم الله الشهداء ويمنح المجاهدين الشرف والمجد .

كانت هناك بعض جيوب المقأومةداخل المدينة التي تسببت في استشهاد عدد من المجاهدين ، وقد هرب أغلب أهل المدينة إلى الكنائس ولم تأت ظهيرة ذلك اليوم الثلاثاء 20 جمادي الأولى 857هـ الموافق 29 من ايّار 1453م، إلا

والسلطان الفاتح في وسط المدينة يحف به جنده وقواده وهم يرددون : ما شاء الله ، فالتفت إليهم وقال : لقد أصبحتم فاتحي القسطنطينية الذي أخبر عنهم رسول الله (ﷺ) وهنأهم بالنصر ونهاهم عن القتل، وأمرهم بالرفق بالناس والإحسان إليهم .

ثم ترجل عن فرسه وسجد لله على الأرض شكراً وتواضعاً لله تعالى.

معاملة محمد الفاتح للنصارى المغلوبين:

توجه محمد الفاتح إلى كنيسة آيا صوفيا وقد اجتمع فيها خلق كبير من الناس ومعهم القسس والرهبان الذين كانوا يتلون عليهم صلواتهم وأدعيتهم، وعندما اقترب من أبوابها خاف النصارى داخلها خوفاً عظيماً، وقام أحد الرهبان بفتح الأبواب له فطلب من الراهب تهدئة الناس وطمأنتهم والعودة إلى بيوتهم بأمان، فلطمأن الناس .

وكان بعض الرهبان مختبئين في سراديب الكنيسة فلما رأوا تسامح الفاتح وعفوه خرجوا وأعلنوا إسلامهم، وقد أمر الفاتح بعد ذلك بتحويل الكنيسة إلى مسجد وأن تجهز لاقامةالجمعة القادمة، وقد أخذ العمال يعدون لهذا الأمر ، فأزالوا الصلبان والتماثيل وطمسوا الصور بطبقة من الجير وعملوا منبراً للخطيب، وقد جاز تحويلها إلى مسجد لأن البلد فتحت عنوة وهذا حكمها في الشريعة الاسلامية.

وقد اعطى السلطان للنصارى حرية إقامة الشعائر الدينية واختيار رؤسائهم الدينين الذين لهم حق الحكم في القضايا المدنية، كما أعطى هذا الحق لرجال الكنيسة في الأقاليم الآخرى ولكنه في الوقت نفسه فرض الجزية على الجميع.

إن الحقيقة التاريخية الناصعة تقول أن السلطان محمد الفاتح عامل أهل القسطنطينية معاملة رحيمة وأمر جنوده بحسن معاملة الأسرى والرفق بهم،

وافتدى عدداً كبيراً من الأسرى من ماله الخاص وخاصة أمراء اليونان، ورجال الدين ، واجتمع مع الاساقفة وهدأ من روعهم ، وطمأنهم إلى المحافظة على عقائدهم وشرائعهم وبيوت عبادتهم، وأمرهم بتنصيب بطريرك جديد فانتخبوا أجناديوس بطريرك ا ، وتوجه هذا بعد انتخابه في موكب حافل من الاساقفة إلى مقر السلطان، فاستقبله السلطان محمد الفاتح بحفأوة بالغة وأكرمه أيما تكريم، وتنأول معه الطعام وتحدث معه في موضوعات شتى، دينية وسياسية واجتماعية وخرج البطريرك من لقاء السلطان، وقد تغيرت فكرته تماماً على السلاطين العثمانيين وعن الأتراك، بل والمسلمين عامة، وشعر انه أمام سلطان مثقف صاحب رسالة وعقيدة دينية راسخة وانسانية رفيعة، ورجولة مكتملة ، ولم يكن الروم أنفسهم أقل تأثراً ودهشة من بطري كهم، فقد كانوا يتصورون أن القتل العام لابد لاحقهم، فلم تمض أيام حتى كان الناس يستأنفون حياتهم المدنية العادية في اطمئنان وسلام.

نتائج هذا الفتح

لم يكن فتح القسطنطينية أمراً سهلاً كما يحلو لبعض المؤرخين أن يصوروه بسبب ضعف الدولة البيزنطية، والانشقاق الكنسي في الشرق والغرب، بل الحق يقال: إن الجنود الإسلاميين بذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل ذلك، وقاموا بالتضحية والفداء حتى تم لهم النصر المبين، كما أن السلطان محمداً أعدّ كل ما يمكن من الوسائل العسكرية الناجحة، ولم يشك لحظة في ثقته بنصر الله عز وجل حتى تم له ذلك، وصدق المؤرخ الفرنسي الشهير (كارادي فو Carra De Vaux) في قوله بهذا الصدد: "إن هذا الفتح لم يتيسر لمحمد الفاتح اتفاقا، ولا تيسر بمجرد ضعف الدولة البيزنطية، بل كان هذا السلطان يدبر التدابير الازمة ويستخدم له ما كان في عصره من العلم.

وكان من آثار هذا الفتح أن اتحد كلا القسمين الجنوبي والشمالي، الآسيوي والأوروبي للدولة الإسلامية العثمانية، وتحولت العاصمة من أدرنة إلى القسطنطينية التي سميت بإسماء عدة: إسلام بول (أي مدينة الإسلام)، ودار السعادة، وإسمها الرسمي الآستانة، وفي العهد الكمالي قرر إسمها رسمياً إستنبول ولا تزال.

وأصبحت القسطنطينية بعد ذلك قاعدة للأعمال العسكرية في الشرق والغرب، وامتد النفوذ الإسلامي إلى شواطئ البحر الأسود الشمالي وكييف (حالياً في روسيا) وإلى المجر واليونان وسواحل البحر الأدرياتيكي الشرقية، وإلى شرقي البحر الأبيض المتوسط.

فتح مكة

"اذا كانت معركة بدر الكبرى بمثابة الاعلان عن ولادة دولة جديدة في جزيرة العرب، فان فتح مكةكان اعلانا عن وجود دولة تتهيأ لاخذ موقعها اللائق بين مصاف الدول الكبرى في ذلك الزمان ، وتستعد لمقارعة تلك الدول الكبرى".

التاريخ : الجمعة/ الموافق عشرين من رمضان من السنة الثامنة للهجرة .

الاطراف المتحاربة": المسلمون و قريش الكافرة

عدد المقاتلين والقادة:

1. **المسلمون :** 10000بقيادة الرسول (ﷺ)
2. **المشركون:** قريش وبنو بكر، كل قبيلة منهما لها قائدها الخاص.

عددالقتلى من قريش: بضعة اشخاص

عدد القتلى من المسلمين: لااحد

نتيجة المعركة : انتهت بانتصار المسلمين

اهمية المعركة:شكل الانتصار بداية النهاية لكيان قريش الوثني .والخطوة الأولى في ترسيخ كيان الدولة الاسلاميةالوليدة.

السبب: نقض قريش لعهدها مع الرسول . والتفاصيل في التمهيد.

تمهيد

بعد صلح الحديبية انضمت قبيلة بكر لقريش ، وانضمت قبيلة خزاعة لحلف المسلمين .

وكان بين بني بكرٍ وقبيلة خزاعة ثارات في الجاهلية ودماء ، وذات يومٍ -بعد اقل من عامين من صلح الحديبية -تعرضت قبيلة خزاعة لعدوانٍ من قبيلة بكر الموالية لقريش ، وقتلوا منهم نحو عشرين رجلاً . ودخلت خزاعة الحرم للنجاة بنفسها ، ولكن بني بكرٍ لاحقوهم وقتلوا منهم في الحرم . فجاء عمرو بن

سالم الخزاعي إلى الرسول (ﷺ) يخبره بعدوان قبيلة بكرٍ عليهم ، وأنشد الرسول (ﷺ) شعراً منه :

يا رب إني ناشد محمداً حلف أبينا وأبيه الأتلدا

إن قريشٌ أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا

فانصر رسول الله نصراً أعتدا وادع و عباد الله يأتوا مدداً

فقال له رسول الله عليه وسلم : " نصرت يا عمرو بن سالم ، والله لأمنعنكم مما أمنع نفسي منه ". ودعا الله قائلاً " اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها ". ثم ان قريشا بعد أن قامت بهذه الجريمة، وساعدت بني بكر على قتل رجال خزاعة داخل الحرم، ندمت و ادركت أنها ارتكبت خطأ كبيرا سوف تدفع ثمنه غاليا- إن لم تجد حلا سريعا ومعقولا-،لأنها تعلم علم اليقين أن الرسول لا يمكن أن يخذل حلفاءه ولا من يستجير به.

فُعقدت قريش مجلسا استشاريا كبيرا ، جلس فيه أبو سفيان مع قادة مكة كعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، و سهيل بن عمرو، غيرهم ، من زعمائها، وبدءوا يفكرون فيما سيفعلونه للخروج من هذا المازق .

وبناء على هذا الاجتماع أخذت قريش قرارا من أصعب القرارات في تاريخها ، وهو الذهاب إلى المدينة المنورة للاستسماح من الرسول ﷺ للتغاضى عن هذا الخطأ وتمديد الهدنة. وكان الرسول قد اخبر المسلمين بان ابا سفيان سوف يأتي المدينة معتذرا يطلب تمديد الصلح.وأنه سيعود إلى مكة خائبا . وقد كان ذلك.

اسباب التسمية

فتح مكة و يسمى أيضاً بفتح الفتوح والفتح الأعظم لانه كان اعظم فتح في تاريخ الاسلام حتى ذلك الوقت إذ اصبحت دولة الاسلام هي الأقوى والأعز في جزيرة العرب .

الإستعداد

وأخذ رسول الله عليه وسلم يجهز الجيش للخروج إلى مكة فحضرت جموعٌ كبيرة من القبائل . و أمر بِكَتْم الأمر عن قريش حتى يباغتها في عقر دارها .ولكن حدث شيءٌ لم يكن متوقعاً من صحابي . وهو أن الصحابي حاطب بن أبي بلتعة كتب كتاباً بعث به إلى قريشٍ مع امرأة ، يخبرهم بما عزم عليه رسول الله عليه وسلم ، وأمرها أن تخفي الخطاب في ضفائر شعرها حتى لا يراها أحدٌ . فإذا الوحي ينزل على الوسول الله عليه وسلم بما صنع حاطب ، فبعث الرسول ﷺ علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ليلحقا بالمرأة . وتم القبض عليها قبل أن تبلغ مكة ، وعثرا على الرسالة في ضفائر شعرها .

فلما عاتب النبي ﷺ حاطباً اعتذر أنه لم يفعل ذلك ارتداداً عن دينه ، ولكنه خاف إن فشل رسول الله عليه وسلم على أهله الذين يعيشون في مكة .

فقال عمر : " يا رسول الله ، دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال الوسول الله عليه وسلم:" إنه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدراً فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " .وكان حاطب ممن حارب مع رسول الله عليه وسلم في معركة بدر . فعفا عنه . وهذه القصة مما أجمع أهل العلم على صحتها وهي متواترة عندهم ، معروفة عند علماء التفسير وعلماء الحديث وعلماء المغازي والسير والتواريخ وعلماء الفقه وغير هؤلاء . ا.هـ

مغادرة الجيش المدينة

وفي رمضان من السنة 8 للهجرة غادر الجيش الإسلامي المدينة إلى مكة، في عشرة آلاف من الصحابة بقيادة رسول الله بعد أن استخلف على المدينة أبو ذر الغفاري .

ووصل جيش المسلمين إلى موضع مرّ الظهران على مسافة أربعة فراسخ من مكة، فعسكر المسلمون هناك. وأمر النبي ﷺ أن يوقد كل مسلم في جيشه ناراً، حتى ترى قريش ضخم الجيش دون أن تعرف هويته فيؤثر ذلك في معنوياتها فتستسلم للمسلمين دون قتال، وبذلك يحقق النبي ﷺ هدفه السلمي في فتح مكة بدون إراقة دماء.

ورأت قريش تلك النيران تملأ الأفق البعيد، فأسرع أبو سفيان وبديل بن ورقاء وحكيم بن حزام بالخروج باتجاه النيران، ليعرفوا مصدرها ونيات أصحابها، فلما اقتربوا من موضع معسكر المسلمين قال بديل: هذه والله خزاعة حمشتها [جمعتها] الحربُ. فلم يقتنع أبو سفيان بهذا الجواب، فقال: خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.

وكان العباس عم النبي ﷺ قد خرج من معسكر المسلمين راكباً بغلة النبي ﷺ ليخبر قريشاً بالجيش العظيم الذي جاء لقتالها والذي لا قبل لها به، حتى يؤثر في معنوياتها ويضطرها على التسليم دون قتال، فيحقن بذلك دماءها ويؤمن لها صلحاً شريفاً ويخلصها من معركة خاسرة معروفة النتائج سلفاً، فسمع وهو في طريقه محاورة أبي سفيان وبديل بن ورقة، فعرف العباس صوت أبي سفيان، فناداه وأخبره بوصول جيش المسلمين ونصحه بأن يلجأ إلى الرسول ﷺ حتى ينظر في أمره قبل أن يدخل الجيش فاتحاً صباح غد، فيحيق به وبقومه ما يستحقونه من عقاب.

وأردف العباس أبا سفيان على بغلة النبي ﷺ وتوجّها نحو معسكر المسلمين، فلما وصلا إلى المعسكر ودخلاه أخذا يمران بنيران الجيش في

طريقهما إلى خيمة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما مرّا بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه عرف أبا سفيان وأدرك أن العباس يريد أن يجيره، فأسرع عمر إلى خيمة النبي ﷺ يسأله أن يأذن له بضرب عنق أبي سفيان، ولكن النبي ﷺ أمر عمه أن يستصحب أبا سفيان إلى خيمته، ثم يحضره إليه صباح غد، فلما كان الصباح وجيء بأبي سفيان إلى النبي ﷺ أسلمَ ليحقن دمه، فقال العباس: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر، فاجعل له شيئاً. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن.

وأراد النبي ﷺ أن يستوثق من سير الأمور كما يحب بعيداً عن وقوع الحرب، فأوصى العباس باحتجاز أبي سفيان في مضيق الوادي حتى يستعرض الجيش الزاحف كله، فلا تبقى في نفسه أية فكرة للمقاومة.

قال العباس: خرجتُ بأبي سفيان حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله، ومرت القبائل على راياتها، كلما مرت قبيلة قال: يا عباس، من هؤلاء؟ فأقول: سليم. فيقول: مالي ولسليم! ثم تمر به القبيلة فيقول: يا عباس، من هؤلاء؟ فأقول: مزينة. فيقول: ومالي ولمزينة! حتى نفدت القبائل، ما تمر به قبيلة إلا سألني عنها، فإذا أخبرته قال: مالي ولبني فلان! حتى مرّ الرسولُ ﷺ في كتيبته الخضراء، وفيها المهاجرون والأنصار لا يرى منها إلا الحدق من الحديد، فقال: سبحان الله، يا عباس! من هؤلاء؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار. قال: ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة! والله يا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً. قال العباس: يا أبا سفيان، إنها النبوة. قال: نعم إذن. عند ذلك قال العباس لأبي سفيان: النجاء إلى قومك، فأسرع أبو سفيان إلى مكة.

دخل أبو سفيان مكة مبهوراً مذعوراً، وهو يحس أن من ورائه إعصاراً إذا انطلق اجتاح قريشاً وقضى عليها. ورأى أهل ملكة قوات المسلمين تقترب منهم، ولم يكونوا حتى ذلك الوقت قد قرروا قراراً حاسماً بشأن القتال ولا اتخذوا تدابير القتال الضرورية، فاجتمعوا إلى ساداتهم ينتظرون الرأي الأخير، فإذا بصوت أبي سفيان ينطلق مجلجلاً جازماً: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان كان آمناً.

وسمعت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان التي كانت تشايع المتطرفين من مشركي قريش ما قاله زوجها، فوثبت إليه وأخذت بشاربه وصاحت: اقتلوا هذا الحميت الدسم الأحمس [أي هذا الزق المنتفخ]، قبّح من طليعة قوم.

ولم يكترث أبو سفيان بسباب امرأته، فعأود تحذيره: ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

وقالت قريش: قاتلك الله، وما تغني عنا دارك؟ قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن.

وأصحبت مكة المكرمة تنتظر دخول المسلمين: اختفى الرجال وراء الأبواب الموصدة، واجتمع بعضهم في المسجد الحرام، وبقى المتطرفون مصرون على القتال.

خطة الفتح:

كانت مجمل خطة الفتح تتلخص: الميسرة بقيادة الزبير بن العوام، واجبها دخول مكة من شماليها.

والميمنة بقيادة خالد بن الوليد، واجبها دخول مكة من جنوبها، وقوات الأنصار بقيادة سعد بن عبادة، واجبها دخول مكة من غربيها، وقوات المهاجرين بقيادة أبي عبيدة بن الجراح واجبها دخول مكة من شماليها الغربي

من اتجاه جبل هند. ومثابة اجتماع قوات المسلمين بعد إنجاز الفتح في منطقة جبل هند. وكان اجتماع قوات المسلمين بعد إنجاز الفتح في منطقة جبل هند.

وكانت أوامر النبي ﷺ لقادته تنص: بألا يقاتلوا إلا إذا اضطروا اضطراراً على القتال، لغرض أن يتمّ الفتح سلمياً وبدون قتال.

الفتح:

قبل شروع أرتال المسلمين بدخول مكة ، سمع قسم من المسلمين سعد بن عبادة يقول: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة.. لذلك رأى النبي ﷺ - حين بلغه ما قال سعد-، أن يأخذ الراية ويدفعها إلى ابنه قيس عد، إذ كان قيس أهدأ أعصاباً من أبيه وأكثر سيطرة على نفسه، لكي يحول عليه الصلاة والسلام دون اندفاع سعد لإثارة الحرب وسفك الدماء دون مسوغ.

ودخلت قوات المسلمين مكة فلم تلق مقأومة، إلا جيش خالد بن الوليد، فقد تجمع متطرفو قريش مع بعض حلفائهم من بني بكر في منطقة الخندفة، فلما وصلها رتل خالد أمطروه بوابل من نبالهم، ولكن خالداً لم يلبث أن فرّقهم بعد أن قتل رجلان من رجاله ضلا طريقهما وانفصلا عنه، ولم يلبث صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل حين رأوا الدائرة تدور عليهم أن تركوا مواضعهم في الخندمة وفروا مع قواتهم، واستسلمت المدينة المقدسة للمسلمين، وفتحت أبوابها لهم، وعاد المستضعفون الذين أخرجوا منها بغير حق إلى ديارهم وأموالهم.

في مكة المكرمة:

عسكر النبي ﷺ والمسلمون في منطقة جبل هند، بعد أن سيطر المسلمون على جميع مداخل مكة، فلما استراح وتجمعت أرتال الجيش، نهض والمهاجرون والأنصار بين يديه وخلفه وحوله، حتى دخل المسجد الحرام، فأقبل إلى الحجر الأسود فاستلمه، ثم طاف بالبيت العتيق وحول البيت، وكان

في الكعبة ستون وثلاثمائة صنم، فطعنها بالقوس وهو يقول: "جاء الحق وزهق الباطلُ إن الباطل كان زهوقا""جاء الحق وما يُبدِئُ الباطل وما يعيد:".

ثم دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة ودخلها، فرأى الصور تملؤها، ومن بينها صورتان لإبراهيم وإسماعيل يستقسمان بالأزلام، فمحا ما في الكعبة من صور، ثم صلى ودار في البيت يكبر، ولما انتهى تطهير البيت من الأصنام والصور، وقف على باب الكعبة، وقريش تنظر ماذا يصنع، فقال: »لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. إلا كل مأثرة أو مال فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج. يا معشر قريش، إن الله قد أذهبَ عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء: الناس من آدم، وآدم من تراب .يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند اللهِ أتقاكم إن الله عليم خبير.

يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟« قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: »فإني أقول كما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء.

طهر المسلمون البيت من الأصنام، وأتم النبي ﷺ بذلك في أول يوم من أيام فتح مكة ما دعا إليه منذ عشرين سنة: أتم تحطيم الأصنام والقضاء على الوثنية في البيت الحرام بمشهد من قريش، ترى أصنامها التي كانت تعبد ويعبد آباؤها، وهي لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً.

وأقام النبي ﷺ خمسة عشر يوماً، نظّم خلالها شؤون مكة، وفقّه أهلها في الدين، وأرسل بعض السرايا للدعوة إلى الإسلام وتحطيم الأصنام، من غير سفك للدماء.

الخطبة

وفي اليوم الثاني قام رسول الله ، وألقى خطبته المشهورة ، و منها : (إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة ،لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي ، ولم تحلل لي قط إلا ساعة من الدهر ، لا ينفر صيدها ، ولا يعضد شوكها ، ولا يختلى خلاها ، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد) رواه البخاري .

العفو و البيعة

بايع الناس رسول الله ، فجاءه الناس الصغار والكبار ، والرجال والنساء ، فبايعه الرجال أولا على الإيمان ، وشهادة أن لا إله إلا الله . و لما فرغ من بيعة الرجال ، أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا ، و عمر بن الخطاب قاعد أسفل منه ، فبايعهن عنه ، وبايعهن على أن لا يشركن بالله شيئاً ، ولا يسرقن ، ولا يزنين ، ولا يقتلن أولادهن ، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ، ولا يعصينه في معروف .

فوائد فتح مكة:

١. انتزاع تلك البقعة المباركة من براثن الشرك، وضمها لحمى التوحيد ، فقد دخل النبي ﷺ مكة فكان من أول مافعل أن كسَّر الأصنام المنصوبة حول الكعبة المشرفة،وهو يردد قوله تعالى : « وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا»« الاسراء : ٨١» وقوله:« قل جاء الحق ومايبدىء الباطل ومايعيد» « سبأ: ٤٩ »،وصعد بلال على سطح الكعبة وصدح بالاذان، فكانت كلماته تتردد في أرجاء مكة معلنة انتهاء عهد الخرافة والشرك، وبدأ عصر النور والتوحيد.

٢. رفع سيف الكفر المسلط عل ى رقاب المستضعفين من أهل مكة- سواءممن أسلم ، أو ممن كان يرغب في الإسلام- الذين أرهبهم

سيف قريش ،وسلب حقهم في اختيار الدين الحق، فجاء ذاك الفتح ليرفع السيف عن رقابهم وليدخلوا في دين الله دون خوف أو وجل.

٣. تحطيم وإزالة رهبة قريش من قلوب قبائل العرب، التي كانت تؤخر إسلامها لترى مايؤول إليه حال قريش من نصر أو هزيمة ، فقد روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة: « أن العرب كانت تَلَوَّمُ - تنتظر - بإسلامها الفتح ، يقولون انظروا فإن ظهر عليهم فهو نبي صادق ، فلما جاءتنا وقعة الفتح بادر كل قوم بإسلامهم».

٤. زيادة إيمان المؤمنين بتحقق وعد ربهم، دخول البيت والطواف به،بعد أن منعهم منه المشركون ،فقال سبحانه :« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لاتخافون » « الفتح :من الآية ٢٧».

٥. اكتساب المسلمين شرف حماية البيت وخدمته، مما جعل لهم المكانة عندالعرب نظير ما كان لقريش من قبل، بل وأعظم .

٦. تضعضع مركز الكفر والشرك في جزيرة العرب، وتحول رؤوس الكفر إلى القتال على جبهات ليس لها منزلة ولا مكانة عند العرب كثقيف وهوازن، وماهي إلا جولة أو جولتان حتى خضعت جزيرة العرب للحكم الإسلامي، وأصبحت الجزيرة مركزاً لنشر الدين الجديد وانطلقت الجيوش المسلمة الفاتحة لتدك عروش كسرى وقيصر، ولتخضع أكبر امبراطويات الشر لحكم الدين الإسلامي.

ومن أهم الدلالات التي أفصح عنها فتح مكة موقف رسول الله ﷺ من أهلها الذين ناصبوه العداء منذ أن بدأ بتبليغ دعوته، فبعد أن أكرمه الله عز وجل بدخول مكة توجه إلى أهلها ليقول لهم: -

ماترون أني فاعل بكم ؟ - قالوا : أخ كريم ، وابن أخ كريم . قال : -
« اذهبوا فأنتم الطلقاء» رواه البيهقي.

ملاذكرد

"تكمن اهمية معركةفي جانبها الايجابي بالنسبة للمسلمين،في انها كانت خطوة هامة من الخطوات التي قادت المسلمين بعد بضعة عقود إلى فتح القسطنطينة. اما في جانبها السلبي فانها كانت سببا في تاجيج نار الحملات الصليبية على بلاد المسلمين بعد بضعة عقود... وكان اخر هذه الحملات الحملة الصليبة التاسعة على بغداد بقيادة بوش والغرب الصليبي بتعأون مع نواطير حارات سايكس بيكو".

التاريخ : (463هـ/1071م)

الاطراف المتحاربة": المسلمون السلاجقة والبيزنطيين"

عدد الجيش والقادة:

1-**المسلمون:** من12000 -40000 بقيادة ألب أرسلان

2-**البيزنطيون**:من 80 - 200 ألف جندي بقيادة الإمبراطور البيزنطي رومانوس

السبب: رغبة رومانوس في القضاء على السلاجقة

عددالقتلى من الفرنجة: "انقشع غبار المعركة عن جثث الروم تملأ ساحة القتال".

عدد القتلى من المسلمين: ؟

تمهيد تاريخي:

كان البويهيون يقفون موقفًا سلبيّا من أعداء الإسلام بعد استيلائهم على الخلافة العباسية ببغداد؛ مما شجع ملك الروم سنة 462هـ/ 1070م على غزو الشام، فقد خرج ملك الروم في ثلاث مائة ألف مقاتل، ونزل على "مَنْبح" وأحرق القرى بينها وبين أرض الروم، وقتل رجالهم، وسَبَى نساءهم وأولادهم.

وفزع المسلمون في حلب فزعًا عظيمًا، ولم يكد العام ينتهي حتى عأود ملك الروم هجماته بجيش كثير العدد والعدة يريد القضاء على الإسلام والمسلمين، حتى وصل إلى "ملاذكرد" من أرمينيا .

دولة السلاجقة : الدولة السلجوقية هي إحدى الدول السُّنِّية القوية التي قامت في إيران والعراق وسوريا وآسيا الصغرى. وتُنسب هذه الدولة إلى سلجوق زعيم عشائر الغُزّ التركمانية، التي هاجرت واستقرت في بُخارى.

استولى أحد أحفاد سلجوق وهو (طُغْرُلبك) على إقليم خراسان سنة 429هـ/ 1037م. ولما ضعف البويهيون في بغداد وكان قد اشتد ظلمهم للخلفاء، استنجد الخليفة العباسي القائم بأمر الله بالسلطان السلجوقي طغرلبك لإنقاذه من البويهيين؛ فانتهز السلطان هذه الفرصة، وسار بجيوشه إلى بغداد، ودخلها في عام 447هـ/ 1055م، واعترف الخليفة به سلطانًا على جميع المناطق التي تحت يده، وأمر بأن يُذكر اسمه في الخطبة.

ويُعَدُّ طغرل بك من كبار رجال التاريخ؛ فهو المؤسِّس الحقيقي لدولة السلاجقة، نشأت على يديه، ومدت سلطانها تحت بصره، وغدت أكبر قوة في

العالم الإسلامي، ونفخت الرُّوح في جسد الدولة العباسية الواهن؛ فدبت فيه الحياة، بعد أن أوشكت على الموت، منذ أن أعلن "البساسيري" أحد قادة الجند تبعية بغداد للدولة الفاطمية في مصر، في سابقة لم تحدث في تاريخها.

تُوُفِّي طغرل بك في سنة (455هـ = 1063م) دون أن يترك ولدًا يخلفه على سدة الحكم، فشب صراع على الحكم، حسمه ابن أخيه محمد الملقب ألب أرسلان لصالحه بمعونة وزيره النابه نظام الملك، المعروف بالذكاء وقوة النفوذ، وسعة الحيلة، وتنوع الثقافة.

وكانت سوابق ألب أرسلان تزكِّي اختياره للحكم؛ فهو قائد ماهر، وفارس شجاع، وألب أرسلان لقب يعني الأسد الشجاع: نشأ في خراسان، حيث كان والده "جغري" حاكمًا عليها، وأُسندت إليه قيادة الجيوش في سن مبكرة، فأظهر شجاعة نادرة في كل المعارك التي خاض غمارها، وبعد وفاة أبيه تولى هو إمارة خراسان خلفًا له.

تولى ألب أرسلان زمام السلطة في البلاد بعد وفاة عمه طغرلبك، وكانت قد حدثت بعض المنازعات حول تولي السلطة في البلاد، لكن ألب أرسلان استطاع أن يتغلب عليها. وكان ألب أرسلان -كعمه طغرل بك- قائداً ماهراً مقداماً، وقد اتخذ سياسة خاصة تعتمد على تثبيت أركان حكمه في البلاد الخاضعة لنفوذ السلاجقة ، قبل التطلع إلى أخضاع أقاليم جديدة، وضمها إلى دولته. كما كان متلهفاً للجهاد في سبيل الله ، ونشر دعوة الإسلام في داخل الدول المسيحية المجاورة له، كبلاد الأرمن وبلاد الروم، وكانت روح الجهاد الإسلامي هي المحركة لحركات الفتوحات التي قام بها ألب أرسلان وأكسبتها صبغة دينية، وأصبح قائد السلاجقة زعيماً للجهاد، وحريصاً على نصرة الاسلام ونشره في تلك الديار، ورفع راية الاسلام خفاقة على مناطق كثيرة من أراضي الدولة البيزنطية

وبقي سبع سنوات يتفقد أجزاء دولته المترامية الأطراف، قبل أن يقوم باي توسع خارجي.

ولم تسلم الفترة الأولى من عهده من الفتن والثورات، سواء من ولاته، أو من بعض أمراء البيت الحاكم؛ فقضى على فتنة ابن عم أبيه "شهاب الدولة قتلمش سنة (456هـ الموافق 1064م)، وكانت فتنة هائلة كادت تقضي على ألب أرسلان بعد أن استولى على "الري" عاصمة الدولة، وأعلن نفسه سلطانًا، وأحبط محاولة عمه "بيغو" للاستقلال بإقليم هراة سنة (457 = 1065م)، وبعد سنوات من العمل الجاد نجح ألب أرسلان في المحافظة على ممتلكات دولته، وتوسيع حدودها، ودانت له الأقاليم بالطاعة والولاء، وأُخمِدَت الفتنة والثورات، وتصاعد نفوذه، وقويت شكوته، حتى أصبحت دولته أكبر قوة في العالم الإسلامي في سنة (463هـ = 1070م) مما شجَّعه على التفكير في تأمين حدود دولته من غارات الروم.

فتح بلاد الروم

اطمأن ألب أرسلان إلى جبهته الداخلية المستقرة؛ فبدأ يتطلع إلى ضم المناطق النصرانية المجاورة له؛ بهدف نشر الإسلام فيها؛ فأعد جيشًا بلغ أربعين ألف جندي لهذا الغرض، وتمكن به من فتح بلاد الأرمن، وجورجيا، والأجزاء المطلة على بلاد الروم، وكان لهذه الانتصارات أثرها؛ فتحرك قيصر الروم الذي أدرك أن بلاده معرضة للهجوم من ألب أرسلان، وأن القتال معه وشيك لا محالة؛ فخرج على رأس جيش كبير لمواجهة غزو السلاجقة لممتكلاته، وذلك في سنة (463هـ = 1070)؛ لتطويق الجيش السلجوقي، واستولى على حلب، وكان حاكمها يتبع الخليفة الفاطمي في مصر.

فطن ألب أرسلان إلى محاولات القيصر؛ فبعث ابنه"ملكشاه" على رأس قوة من جيشه؛ لاسترداد حلب من الروم، وتأمين الحدود الشمالية لبلاد الشام؛

فنجح في مهمته، واستولى على حلب، وأصبحت تابعة للسلاجقة، وضم القدس أيضًا، وأجزاء من بلاد الشام.

مقدمات الصدام:

قام ألب أرسلان بحملة كبيرة ضد الأقاليم النصرانية المجاورة لحدود دولته، وقاد جيشه نحو جنوب أذربيجان واتجه غرباً لفتح بلاد الكُرج والمناطق المطلة على بلاد البيزنطيين وكان سكان الكرج يكثرون من الغارة على أذربيجان فأصبحوا مصدر قلق لسكان المنطقة، وانضم إليه وهو في مدينة مرند في أذربيجان أحد أمراء التركمان ويدعى طغتكين، وكان دائم الغارة على تلك المنطقة، عارفاً بمسالكها، واجتاز الجيش السلجوقي نهر الرس . في طريقه إلى بلاد الكُرج، وفصل ألب أرسلان أثناء زحفه، قوة عسكرية بقيادة ابنه ملكشاه ووزيره نظام الملك هاجمت حصوناً ومدناً بيزنطية منها حصن سُرماري ومدينة مريم نشين الحصينة وفتحها واستمرت فتوحاته الكبيرة في الأراضي الأرمينية، ويبدو أن ملك الكُرج هاله التوغل السلجوقي في عمق المناطق الأرمينية فهادن ألب أرسلان وصالحه على دفع الجزية، ونتيجة لهذا التوغل السلجوقي أضحى الطريق مفتوحاً أمام السلاجقة للعبور إلى الأناضول بعد أن سيطروا على قلب أرمينية، فأغاروا على المناطق الحدودية واستولوا على دروب الأمانوس في عام 459هـ، وهاجموا قيصرية حاضرة كبادوكية في العام التالي. جرى كل ذلك ولم يبذل الإمبراطور البيزنطي جهداً كبيراً لمقاومة هذه الغارات، مما شجعهم على التوغل في عمق الأناضول فوصلوا إلى نيكسار . وعمورية في عام 461هـ وإلى قونية في العام التالي، وإلى خونية القريبة من ساحل بحر إيجه في عام 463هـ.

شكل فتح السلاجقة لبلاد الكرج والقسم الأكبر من أرمينية، أزع اجا للإمبراطور الروم رومانوس ديوجينس، وأدرك أن التوسع السلجوقي لا يقف

عند هذا الحد، وأن خطره سيهدد بلاده، فعزم على تحويل أنظار السلاجقة عن بلاده بالإغارة على بلاد الشام الشمالية، فهاجم مدينة "منبج" ونهبها وقتل أهلها، غير أن ذلك لم يكن كافيًا لدفع خطر السلاجقة على بلاده، فأعد جيشًا كبيرًا لضرب السلاجقة، وتحجيم قوتها وإضعافها.

غرور القوة

جهّز الإمبراطور البيزنطي رومانوس جيشًا ضخمًا يتكون من مائتي ألف مقاتل من الروم والفرنجة والروس والبلغاريين واليونانيين والفرنسيين وغيرهم، وتحرك بهم من القسطنطينية عاصمة دولته، ممنيًا نفسه بنصر حاسم يقضي على خطر السلاجقة، فقد أطمعته قواته الغفيرة وعتاده الكثيف بأن النصر آتٍ لا ريب فيه، واتجه إلى ملاذكرد حيث يعسكر الجيش السلجوقي.

كان الجيش السلجوقي يبلغ عدده قرابة خمسة عشر ألفًا، ولم يكن لديه وقت لاستدعاء مدد من المناطق التابعة له، وقال ألب أرسلان قولته المشهورة: "أنا أحتسب عند الله نفسي، وإن سعدت بالشهادة ففي حواصل الطيور الخضر من حواصل الطيور الغبر رمسي، وإن نصرت فما أسعدني وأنا أمسي ويومي خير من أمسي"

هجم السلطان السلجوقي بمن معه على مقدمة الأعداء وكان فيها عشرون ألفًا معظمهم من الروس، فأحرز المسلمون عليهم انتصارًا عظيمًا وتمكنوا من أسر معظم قوادهم.

عرض الصلح ولكن!

أرسل السلطان ألب أرسلان وفدًا من قبله إلى إمبراطور الروم وعرض عليه المصالحة ولكنه تكبر وطغى ولم يقبل العرض، وقال: هيهات!! لا هدنة إلا ببذل الري- أي بدخول مدينة الري السلجوقية- مما أغضب السلطان السلجوقي، وقال له إمامه أبو النصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي: إنك

تقاتل عن دين وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان، وأرجو أن يكون الله قد كتب باسمك هذا الفتح فالقهم يوم الجمعة في الساعة التي يكون فيها الخطباء على المنابر، فإنهم يدعون للمجاهدين[2].

اندلاع المعركة:

أعد المسلمون العدة للمعركة الفاصلة واجتمع الجيشين يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة 463هـ فلما كان وقت الصلاة يوم الجمعة صلى السلطان بالعسكر ودعا الله تعالى وقال : نجن مع القوم تحت الناقص -يقصد قلة العدد- وأريد أن أطرح نفسي عليهم في هذه الساعة يدعى فيها لنا والمسلمين على المنابر، فإما أن أبلغ الغرض وإما أن أمضي شهيدًا إلى الجنة، فمن أحب أن يتبعني منكم فليتبعني، ومن أحب أن ينصرف فليمض مصاحبًا فما هاهنا سلطان يأمر ولا عسكر يؤمر فإنما أنا اليوم واحد منكم، وغاز معكم، فمن تبعني ووهب نفسه لله تعالى فله الجنة أو الغنيمة، ومن مضى حقت عليه النار والفضيحة، فقالوا: مهما فعلت تبعناك وأعناك عليه، فبادر ولبس البياض وتحنط استعدادًا للموت وقال: إن قتلت فهذا كفني، ثم وقع الزحف بين الطرفين، وحمل المسلمون على الأعداء، ونصر الله المسلمين عليهم، فقتلوا منهم مقتله عظيمة وأسروا منهم جموعًا كبيرة، كان على رأسهم ملك الروم نفسه.

قصة اسر رومانوس

يقال إن أحد غلمان سعد الدولة جوهر – آثين- هو الذي أسر الإمبراطور رومانوس، فأراد قتله، فقال له خادم مع الملك : لا تقتله فإنه الملك، وكان هذا الغلام قد عرضه سعد الدولة جواهر- أحد أمراء ألب أرسلان- على الوزير نظام الملك فرده استحقارًا له، فأثنى عليه جواهر، فقال نظام الملك مازحًا: عسى أن يأتينا بملك الروم أسيرًا، ومن العجيب أن هذا الغلام هو الذي أسر الإمبراطور.

أخبر ألب أرسلان بنبأ أسر الإمبراطور فأمر بإحضاره، فلما أحضر ضربه السلطان ثلاث مقارع بيده وقال له: ألم أرسل إليك في الهدنة فأبيت؟ فقال: دعني من التوبيخ وأفعل ما تريد، فقال السلطان : ما عزمت أن تفعل بي إن أسرتني؟ قال: أفعل القبيح، قال السلطان: ما تظن أنني أفعل بك؟ قال: إما أن تقتلني وإما أن تشهرني في بلاد الإسلام، والأخيرة بعيدة وهي العفو وقبول الأموال واصطناعي نائبًا عنك، قال: ما عزمت على غير هذا، ففداه السلطان بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار، وأن يرسل إليه عساكر الروم في أي وقت يطلبها، وأن يطلق كل أسير في بلاد الروم.

أما الروم فبادروا وملكوا آخر، فلما قرب أرمانوس شعر بزوال ملكه، فلبس الصوف وتصوف، وترهب ثم جمع ما وصلت يده إليه نحو ثلاثمائة ألف دينار، وبعث بها واعتذر وقيل: إنه غلب على ثغور الأرمن.

أهم الدروس المستفادة

أما أهم الدروس المستفادة من هذه الموقعة هو الإخلاص لله تعالى والاستعداد للموت في سبيله فرغم الفرق الكبير بين عدد المسلمين والبيزنطيين إلا أن المسلمين استطاعوا الانتصار على البيزنطيين وليس الأمر عدد ولا عتاد ولكن النصر من الله عز وجل .

ومن الأمور التي يجب الإشارة إليها في هذه الموقعة هو دور العلماء في تثبيت القادة والجنود وتذكيرهم بالله واليوم الآخر، فعندما يصلح حال العلماء يصلح أحوال الرعية وبالتالي يصلح حال الأمة كلها.

كما تعتبر هذه الموقعة نقطة تحول في التاريخ الإسلامي فلأول مرة يقع الإمبراطور نفسه أسير في أيدي المسلمين، وتعد هذه الموقعة أكبر نكسة في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية إذ أصبحت الأراضي البيزنطية تحت رحمة السلاجقة ولذلك يسميها بعض المؤرخين باسم الملحمة الكبرى.

نتائج معركة ملاذكرد

بعد انتصار المسلمين في هذه المعركة تغيّرت صورة الحياة والحضارة في هذه المنطقة؛ فاصطبغت بالصبغة الإسلامية بعد انحسار النفوذ البيزنطي تدريجيًا عن هذه المنطقة، ودخول سكانها في الإسلام، والتزامهم به في حياتهم وسلوكهم.

وواصل الأتراك السلاجقة، غزوهم لمناطق أخرى بعد ملاذكرد، حتى توغلوا في قلب آسيا الصغرى، ففتحوا قونية وآق، ووصلوا إلى كوتاهية، وأسسوا فرعًا لدولة السلاجقة في هذه المنطقة عرف باسم سلاجقة الروم، ظل حكامه يتناوبون الحكم أكثر من قرنين من الزمان بعد انتصار السلاجقة في ملاذكرد، وأصبحت هذه المنطقة جزءًا من بلاد المسلمين إلى يومنا هذا.

وكان من ثمار دخول هذه المنطقة في حوزة السلاجقة انتشار اللغتين العربية والفارسية، وهو ما كان له أثره في مظاهر الحضارة منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا، غير أن هزيمة الروم في موقعة ملاذكرد جعلتهم ينصرفون عن هذا الجزء من آسيا الصغرى، ثم عجزوا عن الاحتفاظ ببقية الأجزاء الأخرى أمام غزوات المسلمين الأتراك من السلاجقة والعثمانيين، وقد توالت هذه الغزوات في القرون الثلاثة التالية لموقعة ملاذكرد، وانتهت بالإطاحة بدولة الروم، والاستيلاء على القسطنطينية عاصمتها، واتخاذها عاصمة للدولة العثمانية، وتسميتها بإسلامبول أو إستانبول.

وكانت هزيمة ملاذكرد أفدح خطب نزل بالدولة الرومانية الشرقية منذ أحقاب طويلة، وكان لها أكبر الأثر في تحطيم منعتها، وتفكك أوصالها. ومهدت لقيام مملكة الروم الإسلامية في قلب آسيا الصغرى؛ لأن ألب أرسلان عيَّن، على إثر الموقعة، أميرًا من أبناء عمومته هو سليمان قطلمش حاكمًا على الأراضي الإسلامية في آسيا الصغرى. وتمكن هذا الأمير من التوسع غربًا،

وانتزع أنطاكية من الروم، وجعل قونية عاصمةً لدولته الجديدة. وساعد هذا الانتصار على القضاء على الدولة البيزنطية نفسها على أيدي الأتراك العثمانيين بعد ذلك. وكان من نتائج هذه المعركة أيضًا أن استغاثت القسطنطينية بأمم الغرب، واشتكى المهاجرون النصارى من سوء معاملة السلاجقة لهم، فراع هذا البابا جريجوري السابع، فرأى المبادرة بإعداد حملة لحماية الدولة الشرقية التي كان يعدها سدًا منيعًا لحماية أوروبا من وثبات الإسلام من جهة الشرق، فاستغاث بأمراء أوروبا، ولكنه لم يلق تجاوبًا. وكان على أوربان الثاني أن يحيي مشروعه، فتدارك خطأ سلفه بأن وجّه الدعوة إلى الأمراء والدهماء، ونجح في إثارة النصارى ضد المسلمين، وجمع منهم جيشًا كبيرًا، سار به إلى الشام. وكانت أنطاكية أول قاعدة كبيرة وقعت في أيديهم سنة 432هـ، 1040م، ثم تلاها بيت المقدس سنة 433هـ، 1041م. وقَتَل الصليبيون من أهلها عشرات الآلاف. وكانت محنة مروعة للعالم الإسلامي. وأقاموا مملكة صليبية في الشام قاعدتها القدس، دامت زهاء تسعين سنة. وتتابعت الحروب الصليبية على بلاد الشام إلى أن وصل عددها الثمانية.

مقتل الب ارسلان:

اختلفت الروايات فيمن كان وراء قتله. والراجح منها باستقراء أحداث التاريخ أن الباطنية أعداء الإسلام لما رأوا توغل السلطان ألب أرسلان في بلاد ما وراء النهر وفتوحاته الهائلة هناك خافوا على انفسهم وحصونهم، فحأولوا اغتياله، فلم يفلحوا، فأغروا بعض ولاته بالخروج عليه والعمل على إزاحته، وهذا الوالي اسمه 'يوسف الخوارزمي'، ولكن السلطان قبض عليه، وأحضره بين يديه ، وبعد أن قرره بما كان منه أمر به حتى يصلب، فقال يوسف للسلطان: 'يا مخنث! ومثلي يُقتل هكذا؟!' فاحتد من ذلك السلطان، وأراد أن يقتله بيده، فأمر بفك قيوده، وأخذ السلطان سهمًا ليرميه به، وكانت لا تخيب له رمية،

ولكن بقدر الله أخطأه بالسهم، فاندفع يوسف هذا ناحية السلطان، وأخرج خنجرًا كان مخبأً في وسطه، وضرب به السلطان ألب أرسلان في خاصرته فقتله وسط ذهول الحراس الذين سارعوا فقتلوا يوسف الخوارزمي، وعانى السلطان من جراحاته قليلاً ثم مات رحمه الله وكان ذلك في في 10 ربيع الأول 465هـ/29 نوفمبر 1072 ، وهو في الرابعة والأربعين من عمره، في وخلفه ابن ملكشاه.

لما وصلت أخبار مقتله لبغداد حزن الناس من أجله حزنًا عظيمًا، وأغلقوا الأسواق، وأقاموا العزاء، وأظهر الخليفة الجزع الشديد، وتأسف جدًا لرحيله.

نأوارين

"نافارين"

"ان معركة نأوارين يمكن ان تعتبر بداية النهاية للدولة العثمانية التي كانت حتى ذلك الوقت الدولة الأولى في العالم -رغم ما كان يعتريها من الضعف - فقد كانت حتى وقوع تلك المعركة في حالة هجوم ،وبعدها اصبحت في موقع الدفاع ، وبدات الدول الغربية تنتقصها من اطرافها، ابتداءا من الجزائر التي إحتلهاالفرنسيون وانتهاءا باقتسام الفرنسيين والإنجليز لها في اتفاقية سايكس- بيكو- التي انتهت باقامة دويلات خاضعة لنفوذها في كل العالم الذي كان اسلاميا -ثم القضاء عليها نهائيا عام 1924على يد عميل الانجلير مصطفى كمال الذي حولها إلى دويلة العوبة بيد الإنجليز الذين صنعوا منه بطلا ، ثم جرها اتباعه ومريدوه إلى الولاء الامريكي كما هو حالها اليوم".

التاريخ : 19 تشرين أول 1827م/18ربيع أول 1243هـ -

الاطراف المتحاربة": العثمانيون و المصريون والجزائريون.

ضدتحالف مكون من إنجلترا وفرنسا مع روسيا

1. **المسلمون :** بقيادة ابراهيم بن محمد علي باشا وقد ضم الأسطول المصرى العثمانى الجزائري(62) قطعة بحرية و(1962) مدفعًا
2. **الحلفاء:** بقيادة الكونتر أدميرال ادوارد قودرينكتن، وكان الأسطول الأوربى (27) قطعة بحرية و(1294) مدفعاً.

عددالقتلى من الحلفاء: 140

عدد القتلى من المسلمين: ثلاثين ألف جندي مسلم

سبب التسمية: لوقوعها فى خليج نوارين غربى اليونان،

نتيجة المعركة : انتهت بانتصار الحلفاء

اهمية المعركة:

تعد معركة نافارين واحدة من المعارك البحرية التي غيرت مجرى التاريخ وغيرت مواقع الكثير من القوى المعروفة آنذاك. اذ ترتب على الهزيمة ضعف عسكري اسلامي بحري شامل شجع شارل العاشر ملك فرنسا على فرض حصار بحري إنتهى بإحتلا ل الجزائر في 1830 اي بعد ثلاث سنوات من معركة نافارين.

تمهيد تاريخي:

الثورة اليونانيةعلى العثمانيين:

بدأت العلاقة بين الدولة العثمانية وشبه جزيرة المورة (اليونان) عندما قام السلطان محمد الفاتح بفتح تلك البلاد سنة (863هـ = 1458) في حملته (السلطانية) السابعة، حيث استطاع دخول مدينة أثينا التي يطلق عليها العثمانيون مدينة الحكماء.

وكان من سماحة محمد الفاتح أنه سمح للدوق اللاتيني فرانكو أن يأخذ كل ثروته ويذهب إلى إيطاليا، ثم دخل الفاتح مدينة باترياس وأسس لواء تركيا، وسمح لأميرين يونانيين بإدارة ثلثي المورة تحت الحماية العثمانية، وقام بهدم ما يقرب من 292 قلعة بمدفعيته من أصل 300 قلعة كانت موجودة في المورة.

ما قبل الثورة

كانت الشرارة الأولى لاندلاع الثورة اليونانية على الخلافة العثمانية في (10 جمادى الأولى 1236 هـ = 12 فبراير 1821م) وذلك عندما قام حوالي 10 آلاف مسلح بقيادة جرمانوس Germanos أسقف باتراس بحمل علم عليه صورة مريم العذراء وهو يصيح: "يا أيتها الأمة اليونانية.. هيا أفيقي واقتلي الأتراك"، وقام الثوار الذين كان يتزعمهم القسأوسة والأساقفة بحصار قلعة المدينة.

اشتعلت الثورة في جميع اليونان على إثر هذه الشرارة التي كانت معدة بعناية بالغة. وساهم في دعمها الدول الأوربية، وفي مقدمتها روسيا القيصرية باعتبارها حامية المذهب الأرثوذكسي الذي كان يعتنقه اليونانيون.وكان البطريرك الأرثوذكسي جريجوريوس المقيم في إستانبول هو المحرك الأول لهذه الثورة، ويجمع كل خيوطها في يديه.

تأثر عدد من الشباب اليوناني الذي كان خارج اليونان بشعارات الثورة الفرنسية، فأنشئوا العديد من الجمعيات في فرنسا والنمسا وغيرها من الدول الأوربية، كان أهمها: جمعية الفكرة العظمى.

قامت هذه الجمعيات اليونانية بأنشطة سرية داخل اليونان وغيرها، وأخذت تجند الكثير من اليونانيين لأفكارها، وكان من بين تلك الأهداف: إحياء الإمبراطورية البيزنطية، واسترداد إستانبول باعتبارها ملكا للأرثوذكس وإخراج الأتراك من أوربا، ودفعهم ثانية إلى قارة آسيا التي خرجوا منها.

رأت روسيا في الثورة اليونانية فرصة لتمزيق الدولة العثمانية التي تناصبها العداء، ورأى ألكسندر الأول قيصر روسيا أن مساندة اليونانيين ستخدم المصالح الروسية، حيث ستظهر الروس حماة للمذهب الأرثوذكسي في العالم، وهو ما سيقود إلى تأليب كثير من العناصر الأرثوذكسية داخل الدولة العثمانية، مما سيضعفها عن مواجهة روسيا في أي حرب مقبلة، خاصة أن الناطقين باللغة اليونانية ضمن الدولة العثمانية كانوا يتركزون في المورة وكريت وقبرص، وكان هؤلاء يشكلون ما يقرب من نصف سكان تلك المناطق، أي إنهم يتفوقون على العنصر التركي الموجود بين ظهرانيهم، مما يجعل أي ثورة ذات قوة وعنفوان ودموية في ذات الوقت.

الثورة في كل اليونان

اشتعلت الثورة في أغلب مناطق اليونان في وقت واحد؛ حتى لا تقوى الحامية العثمانية على مواجهتها، خاصة مع إمدادات السلاح التي تدفقت على الثوار.

وعندما رأى القائد العثماني في المورة هذه الاستعدادات وعنفوانها أخلى كثيرا من المدن في المروة تاركا العنصر التركي المسلم فريسة سهلة للثوار، فقتل الكثير من الأتراك المدنيين بشكل جماعي مثلما حدث في قلعة تربيوليجة في (9 المحرم 1237 هـ = 5 أكتوبر 1821م) حيث قُتل 8 آلاف مدني تركي بشكل جماعي بمن فيهم الأطفال حديثو الولادة؛ إذ كان يسكن اليونان في تلك الفترة حوالي 50 ألف تركي، كان بعضهم مستوطنا لليونان منذ ما يقرب 400 عام أي منذ الفتح العثماني الأول لها، وبذلك استطاع الثوار السيطرة على المورة في حوالي 3 أسابيع.

ومع اشتداد الثورة في المورة بدأ المتطوعون يتدفقون إليها، فدخلها 3 آلاف متطوع من بينهم ابن رئيس الولايات المتحدة جورج واشنطن، كما ساهم الكثير من كبار شعراء أوربا وأدبائها في مساندة الثوار، وأصر الثوار على فكرة إحياء الإمبراطورية البيزنطية من جديد، وأعلن الثوار تأسيس اليونان التي تضم المورة وجزر كيكلاد وجزيرة آغري بوز، وتم انتخاب رئيس للدولة في (20 من ربيع الآخر 1237هـ= 13 من يناير 1822م).

وقد دخلت مدينة ساقيز الواقعة في بحر إيجه التي كان يقطنها حوالي 80 ألف نسمة في خط الثورة على العثمانيين، لكن القائد البحري العثماني زادة علي باشا استطاع إنهاء تمردها في (19 من رجب 1237 هـ= 11 إبريل 1822م) وقتل الكثير من الثوار، وهو ما أثار مشاعر مثقفي أوربا، فنظموا الأشعار وألفوا الروايات في وحشية الأتراك.

تحديد الرأس وبتره

تعجبت الدولة العثمانية من الدموية التي مارسها الثوار ضد الأتراك رغم أن الدولة كفلت لهم حرية المذهب، وحالت دون سحق الكاثوليك للأرثوذكس في كثير من المناطق.

استطاعت المخابرات العثمانية أن تحدد الرأس المدبر وهو البطريرك الأرثوذكسي جريجوريوس المقيم في إستانبول، فأمر السلطان محمود الثاني بتفتيش مقره بدقة، وعثر على أوراق تثبت ضلوعه في الثورة وقيامه بمراسلات مع الدول الأوربية وحثها على مساندة اليونانيين، ومن ذلك الرسالة التي بعث بها إلى قيصر روسيا يبين له كيفية هدم الدولة العثمانية.

وإمعانا في صرف الأنظار عنه أصدر جريجوريوس حرمانا كنسيا لكل من يشارك في تلك الثورة، لكن هذه الحيلة لم تنطلي على العثمانيين.

وقد أمر السلطان محمود الثاني بالقبض على جريجوريوس، حيث اعترف بجميع أنشطته في الثورة، ومن ثَم صدر الحكم بإعدامه ونفذ في يوم عيد الفصح عند الأرثوذكس (20 من رجب 1236 هـ= 22 من إبريل 1821م) في بطريركية فنار وظل معلقا 3 أيام، مكتوبا في عنقه لوحة بخيانته للدولة العثمانية، وتم تعيين بطريك جديد . وأغلق الباب الذي أعدم أمامه جريجوريوس، وأصر البطريرك الجديد ألا يفتح حتى يعدم أمامه رئيس حكومة أو دولة تركي، وما زال مغلقا من يومها، وأعدم عدد من القسأوسة والأعيان الذين شاركوا في تلك الثورة.

ولم تستطع الإنشكارية العثمانية إخماد ثورة اليونان، وهو ما أثار غضب السلطان وجعله يعمل جديا على إلغائها وإنشاء جيش تركي حديث؛ ولذا قرر السلطان محمود الثاني الاستعانة بوالي مصر وجيشه للقضاء على تلك الثورة التي تهدد الوجود العثماني في أوربا.

وقد تم الاتفاق مع محمد علي على منحه ولاية اليونان مقابل القضاء على الثورة . وقد وافق محمد علي، وبذل همة كبيرة في تجهيز حملة للقضاء على الثورة، فأعد جيشا بريا قويا بقيادة ابنه إبراهيم باشا يتكون من 17 ألف مقاتل من المشاة، وحوالي 700 فارس، وأسطولا بحريا من 51 سفينة حربية و 146 سفينة نقل، "

وقد أقلع الأسطول المصري من الإسكندرية في (ذي القعدة 1239 هـ= حزيران 1824م) إلى ميناء رودس ثم إلى شواطئ الاناضول، حيث إلتقى بالأسطول التركي بقيادة خسرو باشا فتم اللقاء في ميناء بودروم.

المعركة بين البر والبحر

كان اليونانيون ماهرين في ركوب البحر وقد طوروا سفنهم الصغيرة التي كانت تستخدم في الصيد للقيام بالعمليات الحربية، وكانوا أكفأ من أسطول خسرو باشا في القتال البحري، وقد اشتبك الأسطول المصري مع هذه السفن، وتم إغراق سفينتين مصريتين، وأدرك إبراهيم باشا أن هزيمة اليونانيين لن تكون في البحر، بل لا بد أن تجري في البر؛ ولذا أخذ يُعِدّ العدة للقتال على أرض اليونان نفسها.

استقر إبراهيم في جزيرة كريت، وأخذ يتحين الفرصة التي تخلو فيها المياه من السفن اليونانية ليهاجم الأراضي اليونانية، وتحقق له ما يريد حين وقع خلاف بين البحارة اليونانيين وزعمائهم، فانتهز الفرصة فأقلع بأسطوله ونزل في جنوب اليونان في شباط 1825م) واستطاع أن يفك الحصار عن القوات التركية التي كانت في ميناء كورون.

وقامت قوات من الجيش المصري بحصار مدينة نفارين التي كانت تُعَد من أهم مواقع الثوار من البر والبحر ، وتكبد المصريون فيها خسائر فادحة، وقام إبراهيم بحصار مدينة مودن وهاجمه وهو في الطريق إليها فرقة مكونة

من 3 آلاف ونصف يوناني فاقتتلوا قتالا شديدا انتصر فيه المصريون، ثم ما لبث أن اشتبك مع 9 آلاف مقاتل يوناني انتصر عليهم أيضا، وأبدى إبراهيم شجاعة وبسالة واضحة في القتال وخبرة عظيمة بالحرب.

وكانت تلك أول معركة يخوضها الجيش المصري في القارة الأوربية، ثم استولى إبراهيم على جزيرة إسفاخترِيا الإستراتيجية في ايّار 1825م)، كما استولوا على نفارين التي كانت من أهم قواعد الثوار.

وفي أثناء القتال البري لم تكف السفن اليونانية عن إثارة المتاعب للأسطول المصري حتى إن الكثير من السفن المصرية احترقت، وأمام الضغوط التي تعرض لها اليونانيون قام هؤلاء بمهاجمة السواحل المصرية، ووصلت بعض سفنهم إلى ساحل الإسكندرية، وكانت هذه السفن تعرف بإسم الحراقات، وكانت تختلط مع سفن الأسطول ثم تشعل فيه النار، لكن هذه الحراقات لم تفلح في إحراق الأسطول المصري في الميناء.

وعندما استولى المصريون على ميناء نفارين، اعتصم الثوار وعددهم 5 آلاف بقيادة بتروبك في ميناء كلاماتا، وكان وامن المشهورين بللشجاعة، واستطاع إبراهيم الانتصار عليهم ودخول المدينة، ثم فتح مدينة تريبولتسا عاصمة المورة والتي كانت من المعاقل المنيعة وكانت تقع في منطقة جبلية وعرة، وقتل 500 ثائر، ثم فتح مدينة ميسولونجي في نيسان 1826م، وقد اتفق أهل هذه المدينة عندما أدركوا الهزيمة وكان عددهم ألفين على الدخول في مخزن للذخيرة وأن يشعلوا فيه النار ففعلوا ما تواصوا به فقتلوا جميعا، أما المصريون فقتل في هذه المدينة ألفا جندي.

استقلال إسمي ثم رسمي

استطاعت القوات المصرية أن تدخل اليأس في نفوس الثوار، حتى عام =1827م) وليس في أيدي الثوار سوى نابلي وأثينا وعدد من الجزر البسيطة،

فقام الثوار بنشاط قرصنة كبير في البحر استدعى من محمد علي تجريد حملة جديدة للقضاء على آخر معاقل الثوار.

خرج عدة آلاف من الجنود من الإسكندرية في حملة بحرية كبيرة في آب1827م بقيادة الأميرال محرم بك وكانت مكونة من 18 سفينة مصرية و 16 سفينة تركية و4 سفن تونسية، والتقت تلك العمارة البحرية بأسطول عثماني من الأستانة بقيادة الأميرال طاهر باشا وعدده 32 سفينة، وتولى إبراهيم باشا القيادة العامة لقوات البر والبحر، وأخذ يتأهب للقيام بحملة على جزيرة هيدرا أهم معاقل الثوار اليونانيين.

بعد أن نجح «إبراهيم باشا» في مهمته هدد ه الروس بالهجوم على إستانبول إذا لم تحل مشكلة اليونان وتعطى استقلالها، واتفقت إنجلترا وفرنسا مع روسيا على ذلك، وتوجهت أساطيلها المشتركة إلى سواحل اليونان، وطلبت من إبراهيم التوقف عن القتال، لكنه رفض بحجة أن الأوامر لا يأخذها إلا من الخليفة أو من أبيه لا أحد سواهما، فقامت هذه الأساطيل بعمل خدعة دنيئة وغادرة إذ دخلت ميناء «نوارين» في 18 ربيع أول 1243 دون أن ترفع أعلام الحرب، ثم قامت فجأة بصب كل نيران مدافعها على الأسطول العثماني المصري المشترك وأوقعت هزيمة مروعة على المسلمين راح ضحيتها أكثر من ثلاثين ألف جندي مصري وعثماني، بينما لم يخسر الحلفاء سوى 140 قتيلا.

وحقق الأعداء هدفهم إذ حطموا قوة محمد علي وفصلوا اليونان عن الدولة العثمانية.

وأمام هذا الوضع العسكري الصعب أمر إبراهيم باشا بإخلاء معظم مدن المورة، وتحصن في ثغري كورون ومودون، وقامت الدول الأوربية بعمليات

ضد الدولة العثمانية، فأعلنت روسيا عليها الحرب وإحتلت أدرنة، وأرسلت فرنسا جيشا إلى اليونان مكونا من 18 ألف جندي لإجلاء المصريين عنها.

فرأى محمد علي أن لا فائدة لمصر من القتال في اليونان بعد أن فقدت أسطولها وانقطعت المواصلات بين مصر وقواتها في اليونان، وأن محاولة استرجاع اليونان ليس ممكنا في ظل نزول جيش فرنسي على الأراضي اليونانية، كما أن مصر تعرضت لخطر عندما قام القائد الإنجليزي كودرنجتون بالتهديد بتخريب الإسكندرية إذا لم تسحب مصر قواتها من اليونان، فتم إخلاء الجيش المصري من اليونان في تشرين أول 1828م) بعدما خسر ما يقرب من 30 ألف رجل من أصل 42 ألفا ذهبوا إلى اليونان.

تسببت الحرب الروسية في توقيع معاهدة أدرنة في 14 ايلول 1829م) والتي وافقت فيها تركيا على الاعتراف باستقلال اليونان استقلالا داخليا، وألا يكون لتركيا عليها إلا السيادة الإسمية فقط، وهو ما مهد لاستقلال اليونان رسميا بعد ذلك.

نهاوند

" كان الانتصار في نهأوند المسمار الاخير في نعش الدولة الفارسية.فلم تقم لها قائمة بعد ذلك.فبعدها ، تلاشت المقأومة المنظَّمة كلها وتشتت القوى الفارسية في جهود فردية يقوم بها حكام المقاطعات.وأخذ يزدجرد يفر من مدينة إلى آخرى حتى قتل بمرو بإقليم خراسان سنة 31 أو 32 هـ، 651م أو 652م. واختفت بمقتله الأسرة الساسانية إلى الأبد. وبلغ المسلمون حدود نهر جيحون، ثم تجأوزوه وفتحوا ما وراءه.وقدإنتهى حكم الدولة الساسانية في إيران بعد أن دام حكمها 416 عاما".

التاريخ : سنة 21 هـ (642 م)

الاطراف المتحاربة": المسلمون والفرس

1-**المسلمون :** 30,000 بقيادة النعمان بن مقرن

2-**الفرس:** 150,000 بقيادة الفيرزان

السبب: تحالف يزدجرد مع أهل الباب والسند وحلوان لقتال المسلمين والقضاء عليهم .

عددالقتلى من الفرس: 80,000

عدد القتلى من المسلمين:

سبب التسمية: لوقوعها قرب بلدة نهأوند في فارس

نتيجة المعركة : انتهت بالنصر المؤزر للمسلمين

تمهيد تاريخي"

كانت معركة نهأوند في عام 16هـ، 637م، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه. عندما انسحب الفرس من عاصمتهم المدائن التي فتحها المسلمون في عام 16 هـ، 637م، ولجأوا إلى حلوان وأخذوا في جمع الحشود للتقدم نحو المدائن، فوجّه إليهم قائد جيوش المسلمين سعد بن أبي

وقاص جيشًا بقيادة ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص في معركة جلولاء أوآخر سنة 16هـ الموافق 637م، وأصابوا منهم أفضل مما أصابوا يوم القادسية. ثم تابعوا تقدَّمهم، ففتحوا حلوان ثم قرميسين في العام ذاته. ثم كانت الموقعة الكبرى التي أطْلق عليها المسلمون فتح الفتوح في نهأوند، حيث هُزِم الفرسُ بقيادة الفيرزان، وانفتح الطريق إلى مناطق إيران الداخلية. ولجأ يزدجرد قائد الفرس إلى أصفهان.

وكان إهتمام المسلمين بهذه الموقعة كبيرًا إذ كاد يخرج إليها عمر نفسه، وحشد لها الطرفان حشدًا عظيمًا، بلغت حشود الفرس نحو 150 ألف مقاتل.

عن السائب بن الأقرع قال : زحف للمسلمين زحف لم يُرَ مثله قط ، رجف له أهل ماه و أصبهان و همذان و الري وقومس ونهأوند و أذريبجان ، قال : فبلغ ذلك عمر فشأور المسلمين .

فقال علي : أنت أفضلنا رأياً و أعلمنا بأهلك . فقال : لأستعملن على الناس رجلاً يكون لأول أسنّة يلقاها ،-أي أول من يتلقى الرماح بصدره ،كناية عن شجاعته- ياسائب اذهب بكتابي هذا إلى النعمان بن مُقرِّن ، فليسر بثلثي أهل الكوفة ، وليبعث إلى أهل البصرة ، و أنت على ما أصابوا من غنيمة ، فإن قُتل النعمان فحذيفة الأمير ، فإن قُتل حذيفة فجرير بن عبد الله ، فإن قُتل ذلك الجيش فلا أراك . وكتب عمر إلى النعمان كتابا كان مما جاء فيه" (انه قد بلغني أن جموعا من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهأوند ، فاذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين ، ولا توطئهم وعرا فتؤذيهم ولا تمنعهم حقا فتكفرهم ولا تدخلهم غيضة فان رجلا من المسلمين أحب الي من مئة ألف دينار والسلام عليكم)

وأرسل عمر إلى سعد محمد بن مسلمة ليخبره أن يستعد الناس لملاقاة الفرس ، فغادر سعد الكوفة إلى المدينة ليخبر عمر بخطورة الموقف شفاهة ،

فجمع عمر المسلمين في المدينة ، وخطب فيهم وشرح لهم خطورة الوضع ، وإستشارهم ، وأشاروا عليه أن يقيم هو بالمدينة ، وأن يكتب إلى أهل الكوفة فليخرج ثلثاهم لمساعدة الجيش الإسلامي وأهل البصرة بمن عندهم . ثم قال عمر : أشيروا عليّ برجل يكون أوليه ذلك الثغر غداً، فقالوا : أنت أفضل رأياً وأحسن مقدرة ، فقال : أما والله لأولين أمرهم رجلاً ليكونن أول الأسنة – أي : أول من يقابل الرماح بوجهه – إذا لقيها غداً ، فقيل : من يا أمير المؤمنين ؟ فقال : النعمان بن مقرن المزني ، فقالوا : هو لها .

ودخل عمر المسجد ورأى النعمان يصلي ،فلما قضى صلاته بادره عمر : لقد انتدبتك لعمل ، فقال : إن يكن جباية للضرائب فلا ، وإن يكن جهاداً في سبيل الله فنعم . وانطلق النعمان عام (21) للهجرة يقود الجيش ، وبرفقته بعض الصحابة الكرام .

قبيل المعركة:

طرح الفرس حسك الحديد – مثل الشوك يكون من الحديد – حول مدينة نهأوند ، فبعث النعمان عيوناً فساروا لايعلمون بالحسك ، فزجر بعضهم فرسه فدخلت في يده حسكة ، فلم يبرح الفرس مكانه ، فنزل صاحبه ونظر في يده فإذا في حافره حسكة ، فعاد وأخبر النعمان بالخبر ، فإستشار جيشه فقال : ماترون؟ فقالوا : انتقل من منزلك هذا حتى يروا أنك هارب منهم ، فيخرجوا في طلبك ، فانتقل النعمان من منزله ذلك ، وكنست الأعاجم الحسك فخرجوا في طلبه ، فرجع النعمان ومن معه عليهم ، وقد عبأ الكتائب ونظم جيشه وعدده ثلاثون ألفاً ، وجعل على مقدمة الجيش نعيم بن مقرن ، وعلى المجنبتين : حذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن ، وعلى المجردة القعقاع بن عمرو ، وعلى الساقة مجاشع بن مسعود ، ونظم الفرس قواتهم تحت إمرة (الفيرزان) ، وعلى مجنبتتيه (الزردق) و(بهمن جاذويه) الذي ترك مكانه ل(ذي الحاجب) .

المعركة":

أنشب النعمان القتال يوم الأربعاء ، ودام على شكل منأوشات حادة إلى يوم الخميس ، والحرب سجال بين الفريقين ، وكان الفرس خلالها في خنادق .

وخشي المسلمون أن يطول الأمر فإستشار النعمان أصحابه ، فتكلم قوم فردت آراؤهم ، ثم تكلم طليحة فقال :أرى أن تبعث خيلاً مؤدبة ، فيحدقوا بهم ، ثم يرموا لينشبوا القتال ، ويحمشوهم – أي يغضبوهم – ، فإذا أحمشوهم واختلطوا بهم وأرادوا الخروج أرزوا – أي انضموا- إلينا استطراداً – أي خديعة - .. وأقر الجميع هذا الرأي فأمر النعمان القعقاع أن ينشب القتال فأنشبه ، فخرج الفرس من خنادقهم ، فلما خرجوا نكص القعقاع بجنده ، ثم نكص ثم نكص ، وخرج الفرس جميعاً فلم يبق أحد إلا حرس الأبواب ،حتى انضم القعقاع إلى الناس ، والنعمان والمسلمون على تعبيتهم في يوم جمعة في صدر النهار ، وأقبل الفرس على الناس يرمونهم حتى أفشوا فيه الجراحات ، والمسلمون يطلبون من النعمان الإذن بالقتال ، وبقي النعمان يطلب منهم الصبر .

فلما جاء الزوال وتفيأت الأفياء وهبت الرياح أمر بالقتال ، كل ذلك إحياء لسنة رسول الله ﷺ الذي كان يختار هذا الوقت للقتال ، وعندئذ ركب فرسه وبدأ يحرض المسلمين على القتال ، ثم قال : فإن قتلت فـالأمير بعدي حذيفة ، وإن قتل فلان .. وعد سبعة .

وكبر النعمان التكبيرة الأولى ثم الثانية،ثم قال:اللهم اعزز دينك وانصر عبادك،واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك،اللهم إني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح فيه عزالإسلام،أمنوا رحمكم الله.فبكى الناس .

وكبر النعمان التكبيرة الثالثة ، وبدأ القتال ، وأثناء تقدم القائد بدأ الفرس يتركون الساحة وزلق بالقائد فرسه من كثرة الدماء في أرض المعركة،فصرع بين سنابك الخيل ، وجاءه سهم في جنبه ، فرآه أخوه نعيم فسجاه بثوب ، وأخذ الراية قبل أن تقع ونأولها حذيفة بن اليمان فأخذها ، وقال المغيرة : اكتموا مصاب أميركم حتى ننتظر ما يصنع الله فينا وفيهم ؛ لئلا يهن الناس .

ولما زلق فرس النعمان به لمحه معقل بن يسار فجاءه بقليل من الماء ، فغسل عن وجهه التراب ، فقال النعمان : من أنت ؟ قال : أنا معقل بن يسار ، قال : ما فعل الناس ؟ قال : فتح الله عليهم ، قال : الحمد لله ، اكتبوا بذلك إلى عمر ، وفاضت روحه .

ولما أظلم الليل انهزم الفرس وهربوا دون قصد فوقعوا في واد ، فكان واحدهم يقع فيقع معه ستة ، فمات في هذه المعركة مائة ألف أو يزيد ، قتل في الوادي فقط ثمانون ألفاً ، وقتل ذو الحاجب ، وهرب الفيرزان ، وعلم بهربه القعقاع فتبعه هو ونعيم بن مقرن فأدركاه في واد ضيق فيه قافلة كبيرة من بغال وحمير محملة عسلاً ذاهبة إلى كسرى ، فلم يجد طريقا فنزل عن دابته وصعد في الجبل ليختفي ، فتبعه القعقاع راجلاً فقتله .

وحزن المسلمون على موت أميرهم وبايعوا أميرهم الجديد حذيفة ، ودخلوا نهأوند عام 21هـ بعد أن فتحوها.

ولم تكن معركة (نهأوند) حاسمة بسبب انتصار جيش صغير لا يزيد عدد مقاتليه على ثلاثين ألفاً ، ضد عدو يقاتل دفاعياً بقوة تزيد خمسة أضعاف على حجم القوة الهجومية، وإنما كان النصر حاسماً لانها وضعت حداً حاسماً ونهائياً لدور ملك الفرس (يزدجرد)، الذي استنزفت المعارك مع العرب المسلمين قدرات بلاده القتالية ، كما أن تلاحق الهزائم، وضع جنود الفرس في حالة يأس وإحباط من ضياع كل فرصة للقتال وللمحافظة على النظام الفارسي القديم.

و معركة نهأوند هي الضربة التي ترنحت لها الامبرطورية الفارسيةفاصابها الوهن الشديد وانتقلت من مركز المهاجم القوي إلى وضع المدافع الضعيف الذي يتلقى الضربات ولا يستطيع لها ردا.. ومن هنا اصبح من حق المسلمين الذين تغلبوا عليها ان يرثوها.فعلى اثر هذه المعركة والنصر المبين فيها رأى الخليفة عمر بن الخطاب انه قد آن الأوان لانهاء الوجود الفارس كليا فعقد بيده سبعة ألوية لسبعة قادة، عهد إليهم بالانسياح في المناطق الخاضعة للحكم الساساني والتي تحكم باسم حكام فارس .

وقد تحركت الجيوش على ثلاثة محأور: ففي الشمال تم التحرك على محور قزوين وزيجان والدليم وأذربيجان وباكو (باب الأبواب) وجرجان وطبرستان ونيسابور وطوس وقره وهراة باذغيش والجوزجان وفاريات والطالقان. وعلى المحور (أو القطاع) الأوسط – تم الاستيلاء على اصبهان وهمذان وراج روذ والري وقومس وكرمان، وعلى المحور الجنوبي تم فتح اصطخر وفسا ودرا بجرد وتوج واقليم مكران – في بلاد السند – وجاء هذا التحرك على كل المحأور (كالسيل الجارف) ليحرم بقايا الفرس من تبادل الدعم وهذا مما أضيف إلى رصيد المعركة الحاسمة في (فتح الفتوح – نهأوند) .فما كان من يزدجرد وهو في (مرو الروذ) إلا أن كتب إلى ملك الترك، و ملك (الصغد) و ملك (الصين) يستمدهم.

ودارت معارك طاحنة بين المسلمين من جهة والتحالف الفارسي التركي من جهة أخرى، وانتهى الأمر بهزيمة قوى التحالف واستتباب الأمر لجيوش المسلمين التي أخذت تفتح المدن المجأورة لمدينة "نهأوند" وكانت هذه الانتصارات الباهرة باعثا قويا لاستسلام الفرس ، حيث مال معظمهم إلى الصلح أي إلى الخضوع لأحكام الإسلام، فاستسلموا مقهورين إلا ملكهم "يزدجرد" الذي من فرط قهره هرب مرة أخرى من وجه المسلمين إلى

"خراسان"، وظل أمره في نقصان إلى أن اغتيل فيها سنة "31هجري\652ميلادي"، في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان _رضي الله عنه _ وبموته انتهت دولة "آل ساسان" إلى غير رجعة.

واترلو

"كانت واترلو الورقة الاخيرة بيد فرنسا كي تبقى الدولة الأولى في العالم -في ذلك الوقت -فلعبها نابليون بطريقة خاطئة -وكانت اخر اخطائه الكثيرة – مما أدى إلى تحجيم فرنسا لاكثر من قرن قادم وافسح المجال لظهور امبرطورية بريطانيا العظمى "التي لاتغيب عنها الشمس".

التاريخ : 18 حزيران عام 1815م

الاطراف المتحاربة": فرنسا من جهة و الحلفاء"1بريطانيا

2. هانوفر 3. هولندا 4. بروسيا (ألمانيا) من جهة اخرى

عدد المقاتلين والقادة:

-فرنسا : 72 ألف جندي بقيادة نابليون

2-المانيا و بريطانيا : القائد دوق ويلينغتون الانجليزيوالمارشال (بلوخر) الألماني 118 ألف جندي

عددالقتلى من الفرنسيين: 25 الف قتيل و جريح ،و 15 الف مفقود و 7 آلاف أسير.

عددالقتلى من الحلفاء : 22 الف قتيل وجريح

جيش ويلينغتون: 3,500 قتلى؛ 10,200 جرحى؛ 3,300 مفقودين.

جيش بلوتشر:1,200 قتلى؛ 4,400 جرحى؛ 1,400 مفقودين.

سبب التسمية: لوقوعها في منطقة واترلو قرب بروكسل.

نتيجة المعركة : هزم فيها نابليون بونابرت هزيمة قاسية لدرجة أن الإنجليز يصفون الشخص الذي يعاني من حظ سئ جداً بأنه صادف واترلو.

تمهيد

بعد تنازل نابليون عن عرشه، نفي إلى جزيرة إلبا قبالة ساحل إيطاليا ، وأمضى هناك أقل من سنة، قبل أن يعود لحكم فرنسا، لأنه وجد أن الحلفاء في مؤتمر فيينا ، كانوا غير قادرين على تسوية خلافاتهم. وكان يأمل في أن يستغل هذا الشقاق لاستعادة السلطة.

وأضطر أعضاء مؤتمر فيينا لإنهاء المؤتمر والتفرغ لحرب نابليون الذي اعتبروه مجرما. فوصلت إلى بلجيكا مباشرة جيوش إنجلترا وبروسيا، ومن الطرف الآخر جيوش فرنسا على أن تتوافد إلى جهة الراين جيوش بقية الحلفاء. وكان في الجانب الأول القائد دوق ويلينغتون الانجليزي والمارشال (بلوخر) الألماني، وبالطرف الثاني (نابليون). وكانت جنود الأول 6000 والثاني 83417 ومع نابليون 106000،وكان هدف نابليون الفصل بين الجيشين والقضاء عليهما بالتسلسل قبل وصول جيوش روسيا والنمسا. وسبق معركة واترلو الحاسمة معارك تمهيدية فرعية هي: معركة كواتر براس، ومعركة ليني، أما في واترلو فقد إحتلت المدفعية قمم التلال التي يتمركز فيها الطرفان، واستطاع (بلوخر) أن يرفد بقواته ويلينغتون الذي كان موقفه حرجا أمام نابليون. وتم التحام القوتين في الوقت المناسب ، وتآخر بدء المعركة بعض الوقت بسبب الأمطار والوحول في اليوم السابق. ثم زج نابليون بالصف الأول من جيوشه وتراشقت المدافع النيران بالتناوب، ولما حاول توجيه ضربة لقلب جيش الإنجليز مُني نابليون بخسارة كبيرة وتساقطت أمامه زهرة شباب جيشه، بينما اجتمعت قوات (بلوخر) و(ويلينغتون) معا.

وقعت المعركة في 18 حزيران/حزيران عام 1815 في مدينة واترلو قرب بروكسل ، وكان عدد قوات نابليون 67 ألف جندي وسلاح فرسان وسلاح مدفعية كبيران، مما وضع قواته في موقع دفاعي قوي. وبدأ الفرنسيون هجوما ضاريا ضد خطوط الحلفاء غير أن قوات ولنجتون قاومت الهجوم الفرنسي.

فقد الجانبان كثيرا من الجنود في المعركة. وتكبد الفرنسيون حوالي 40 ألف جريح ، في حين كان جرحى الحلفاء حوالي 23 ألفا.

ورغم أن (نابليون) أوقع في صفوف أعدائه خسائر فادحة لكنه لم يسحقها، بل بدأت مدفعية الإنجليز تحصد خيالته التي وجهها إلى قلب القوات الإنجليزية. ولما أدرك (نابليون) النهاية الأليمة، ركب جواده وصف حرسه الخاص صفوف متلاحقة، وأشار بأصبعه نحو الانجليز، ووصلت حرارة المعركة أوجها، ونابليون على رأس قواته. وقد تكبد الإنجليز خسائر كبيرة بالأرواح والعتاد في هذا الهجوم. واضطر (ويلينغتون) بعد أن أصيب تحته جوادان أن يترجل حاملا سيفه ويتقدم حرسه إلى المعركة، واصطدم الحرسان ببعض.

ربما كان من الممكن لنابليون أن ينتصر في واترلو، لو أنه قام بالهجوم في وقت مبكر من النهار ولكنه إنتظر حتى الظهر بسبب سقوط مطر غزير في الليلة السابقة، وسمح هذا التأخير للمارشال جبهارد فون بلوخر، أن يصل مع قواته البروسية لتعزيز قوات ولنجتون وكانت المعركة متعادلة حتى وصول قوات بلوخر، التي ساعدت في تحول المعركة لغير صالح الفرنسيين.

قام نابليون بآخر جهد ليكسب المعركة، فزج بأفضل قواته من قدامى الحرس إلى خطوط العدو لتتلقى هزيمة ساحقة وعندئذ انسحبت القوات الفرنسية لتتفأدى هجوما مضادا من الطعن بالحراب.

وأراد (نابليون) أن يزج بنفسه وسط النيران لولا أن أثناه ضباطه فلوى رأس جواده وبرح الميدان وهو يقول: خسرنا كل شيء إلا الشرف. وعاد إلى باريس ليتنازل عن العرش، بينما كان ميدان واترلو مليئا بجثث القتلى والجرحى.

وبعد الهزيمة فشل نابليون في تجميع جيش جديد، ولم يكن أمامه من خيار سوى التنحي عن منصبه مرة ثانية، لينفى إلى جزيرة سانت هيلانة التي بقي فيها حتى توفي في العام 1821.

تعتبر معركة واترلو الفصل الختامي لحياة شخصية فذة في تاريخ الدول والسياسة والزعماء وبداية عصر جديد.

ثلاثون دقيقة قاتلة في معركة نابليون الأخيرة

وفي كتابه «واترلو مقامرة نابليون الاخيرة»

يرسم الكاتب اندرو روبرتس لوحة مختصرة ومكثفة عن هذه المعركة، حيث يستغني عن كل التفاصيل غير الضرورية، التي أتت بها الكتب التي تنأولت «واترلو» من قبل.

خلال ايام الهروب من «البا» واستعادته لعرشه في آذار (آذار) 1815 واجه نابليون الكثير من المشاكل والمعضلات العسكرية الكبرى، فقد اعلنت اربع قوى عظمى هي بريطانيا، استراليا، بروسيا وروسيا عن هدفها اطاحته. وبتجمع جيوشهم الكبيرة ضد فرنسا وبسرعات مختلفة لم يبق لدى نابليون غير طريق واحد، هو مقأومتهم بشراسة لدحرهم واحداً تلو الآخر.

وهكذا، ففي الثاني عشر من حزيران (حزيران) اجتاز نابليون الحدود البلجيكية مع (124) الف رجل لمقابلة اقرب الجيشين: الجيش الاتحادي الإنجليزي لدوقية ولنغتون وجيش المارشال بلوثر البروسي. وكان كلا الجيشين

يفوق الجيش الفرنسي عددا، لذلك كانت استراتيجية نابليون هي تقسيمهما ثم دحرهما.

وكاد نابليون ان يفلح في خطته فتقدمه السريع نحو بروكسل في الخامس عشر من حزيران باغت ولنغتون وبلوثر، الامر الذي دعا الاخير لأن يصرخ قائلا: «لقد خدعني نابليون وحق الله» وفي الايام التالية طارد نابليون البروسيين حتى مدينة ليغني، ولحسن حظ ولنغتون لم ينسحب بلوثر شرقا بإتجاه بروسيا، كما كان نابليون يتوقع، وانما شمالا لكي يبقى على اتصال مع الجيش الإنجليزي الاتحادي، ثم كانت هناك ضربة حظ آخرى حظي بها ولنغتون في ذلك اليوم، حينما أوشكت قواته على دحر الفرنسيين في موقع استراتيجي، وهو تقاطع طريق كوارته براس، مما مهد ذلك إلى المواجهة قرب واترلو في اليوم الثامن عشر من حزيران من ذلك العام.

بالنسبة لنابليون، كانت معركة واترلو تمثل سباقا ضد الزمن فبرجاله الـ (77) الف مقاتل و(246) بندقية فاق رجال ولنغتون البالغ عددهم (73) الف مقاتل و(157) بندقية، الا ان وضعه كان سيتغير اذا ما تدخل البروسيون، وسيكون وضعا حرجا من الناحية العددية، لذلك كان من الضروري ا نهاء ولنغتون بأسرع ما يمكن، وهكذا اختار نابليون ان يؤخر هجومه حتى الساعة الحادية عشرة قبل الظهر، لكي يكون هناك متسع من الوقت لجفاف الأرض الرطبة. وفي رأي الكاتب، كان هذا هو أول خطأ من جملة الاخطاء الفرنسية التي ارتكبت.

أما الاخطاء الآخرى فتتضمن خطأ المارشال غروشيه، وهو أحد قادة نابليون، حينما تقدم نحو واترلو من دون استشارة القيادة، عند سماعه أول صوت من أصوات المعركة، كذلك خطأ استخدام المدفعية لاختراق حصن شاتو في هوغرمونت، أحد مفاتيح ولنغتون. ثم ان نابليون ومساعده قررا شن الهجوم

أولا بالمشاة، من دون دعم سلاح الفرسان وسلاح المدفعية، وبعد ذلك بسلاح الفرسان فقط. وكما اتضح أخيرا، فإن الهجوم الأخير الذي تم بواسطة عشرة آلاف فارس كان قد شن عن طريق الصدفة.

ورغم وصول أوائل البروسيين عند وقت الظهر، فإن القتال كان لم يزل متعادلا عند الساعة السادسة والنصف مساء، حينما حأول الفرنسيون اخيرا الاستيلاء على حصن مزرعة سانت لاهايه، وكما يدون الكاتب، فإن تلك اللحظة كانت «أخطر لحظة في كل المعركة بالنسبة لولنغتون»، فلو أن نابليون اطلق حرسه الامبراطوري الشديد المراس في تلك اللحظة، بدلا من إطلاقه بعد نصف ساعة على ذلك، لربما إستمر في سيطرته وربح المعركة لذلك اليوم.. الا انه لم يفعل، وهكذا أخذ تدفق البروسيين يستمر على أرض المعركة وأصبح اندحار نابليون مؤكدا. وحينما خيم الليل كان هناك (71) الف اصابة من جميع الاطراف، تئن على أرض معركة لا تتجأوز مساحتها غير ثلاثة اميال عرضا، وميل واحد عمقا. وفي الظلام قتل العديد من الجرحى على ايدي البلجيكيين المدنيين وتم سلبهم.

وبعد ما يقرب من مائتي عام على انتهاء معركة واترلو، لم يزل إلى الآن عدد من العسكريين والمؤرخين يطرحون السؤال المهم التالي: هل حقا ان واترلو غيرت وجه التاريخ؟ والمؤلف اندرو روبرتس يعترف بأنه حتى لو قدر لنابليون ان يربح تلك المعركة، فإنه «عاجلا أم آجلا سيدحر على أيدي واحد أو أكثر من الجيوش الروسية، الاسترالية أو البروسية الجرارة، التي كانت مجتمعة على فرنسا».. ثم يؤكد على ان واترلو قد «انهت التفوق العسكري الفرنسي»، وفي نفس الوقت التبشير و«البداية الحقيقية للامبراطورية البريطانية الحديثة».

وادي لكة"شذونة"

"فتح الاندلس"

"قال عثمان بن عفان : (إن القسطنطينية إنما تفتح من قبل البحر ، وأنتم إذا فتحتم الأندلس فأنتم شركاء لمن يفتح القسطنطينية في الأجر آخر الزمان) .فاضافة إلى ان هذه المعركة ادت إلى نشوء دولة اسلامية كانت الأولى والاقوى في أوروبا لمدة قرون فانها مهدت الطريق امام فتح القسطنطينية بعد بضعة قرون".

التاريخ: الاحد 19 تموز 711 م/ 28 رمضان سنة 92 هـ

الاطراف المتحاربة": المسلمون والقوط

عدد الجيوش والقادة:

1-المسلمون : 12000 بقيادة طارق بن زياد

2-القوط: 40000بقيادة الملك القوطي الغربي رودريغو الذي يعرف في التاريخ الإسلامي بإسم لذريق

السبب: استعانة يوليان حاكم بطارق بن زياد ل لانتقام من لذريق ملك القوط

عددالقتلى من القوط: ؟

عدد القتلى من المسلمين: ؟

سبب التسمية: سميت المعركة بإسم النهر التي وقعت بالقرب منه وهو وادي لكة الذي يسمى بالإسبانية جواديليتي. يطلق بعض المؤرخين على المعركة مسمى معركة سهل البرباط أو شذونة. أيضا، وتسمى المعركة بالإسبانية بمعركة دي لا جونا دي لا خاندا والتي تعني معركة بحيرة لا خندا الواقعة بالقرب من ميدان المعركة.

نتيجة المعركة : انتهت بانتصار المسلمين

اهمية المعركة: لقد قررت وادي لكة مصير الأندلس لمدة 8 قرون،وظل الأثر الإسلامي في إسبانيا إلى هذا اليوم .

كلمة لابد منها حول فتح الاندلس:

كانت (الأندلس) وإسمها القديم (ايبيرية) خاضعةً للإمبراطورية الرومانية، وفي مطلع القرن الخامس الميلادي -أي حوالي عام 410 م- اجتاحتها قبائل (القُوط) الأريوسية المذهب، وأسسوا فيها دولةً قُوطِيَّة عاصمتها (طليطلة).

وتكوَّنَ سكانها من أربع طبقات متناقضة متصارعة: طبقة القوط الحكام المستعمرين، وطبقة الأعيان الرومانيين ومعهم الإقطاعيون ورجال الدين، وطبقة اليهود، وطبقة الشعب العامل من سكان البلاد الأصليين.

وزيادة على الإحتلال الذي فرضته القبائل القوطية الغربية على بلاد الأندلس، كان التسلط والظلم والاضطراب سمةً بارزة في فترة حكمهم التي امتدت نحو ثلاثة قرون.

يقول حسين مؤنس في كتابه (فجر الأندلس)ص/ 8،18-19) :"لكن سلطانهم لم يستقر في البلاد أول الأمر بسبب ما ثار بينهم وبين أهل البلاد من منازعات دينية، وبسبب ما شجر بين أمرائهم من خلافات، ولهذا ظلت البلاد طوال القرن السادس نهبا للحروب الأهلية، وما ينجم عنها من الفوضى وسوء الحال... -حتى كان آخر حكام القوط- واحد إسمه (رودريكو) (لذريق)... والظاهر الذي لا تستطيع المناقشة إخفاءه أن الرجل كان يشعر باضطراب الأمر عليه، وأنه ظل حياته متخوفا من وثبة تكون من أحد أعدائه الكثيرين؛ لأن هؤلاء الأعداء لم يكونوا أولاد (غيطشة) وحدهم -الذين استولى (لذريق) على ملكهم -بل كانوا في واقع الأمر جلة الشعب الإيبيري الروماني واليهود، أي معظم أهل البلاد التي اقتحمها القوط عليهم" إنتهى باختصار.

وقد حاول كثير من المؤرخين الأسبان أن يدافعوا عن دولة القوط -تعصبا منهم في رفض الوجود الإسلامي في تلك البلاد- إلا أن كتب التاريخ مليئةٌ بالأدلة على ما ذكره حسين مؤنس في شأن رفض أهل البلاد حكم القوطيين، حتى نقل في (ص/10) عن (رفائيل بالستيروس) المؤرخ الإسباني قوله: "إن العرب لو لم يتدخلوا في سنة 711هـ في شؤون الجزيرة، ويضعوا نهاية لهذا العصر المضطرب،لَبَلَغَ القوطُ بإسبانيا مبلغا من السوء لا يسهل تصوره".

ولما اشتد ظلم حكام القوط في تلك البلاد، وضاق الشعب بهم، أرسلوا إلى المسلمين يطلبون منهم تخليصهم ، فقد أجمعت المصادر العربية على ذكر إرسال حاكم (سبتة) وإسمه (يوليان) أو (جوليان) إلى موسى بن نصير يطلب منه دخول البلاد وتخليصهم من شر (لذريق)، كما تذكر كثير من المصادر إرسال أبناء (غيطشة) إلى موسى بن نصير يستنجدون به على مَن غصبهم ملك أبيهم، بل إن المصادر التاريخية الغربية تنسب إلى اليهود المضطهدين في (الأندلس) من قبل القوط استنجادَهم بِمَن وراء البحر من (الأفارقة) أو (المسلمين) ليخلصوهم من ظلم (لذريق) وأعوانه، وهو أمر وإن أنكره بعض المؤرخين، غير أن المتفق عليه بينهم أن اليهود تعرضوا في تلك الفترة إلى إضطهاد كاد يفنيهم. (انظر "فجر الأندلس" لحسين مؤنس ص14).

وفي النصوص الباقية الموروثة كثير من الأدلة على أن الأندلسيين استقبلوا المسلمين استقبال الفاتحين، ومن ذلك:يقول صاحب كتاب (أخبار مجموعة في فتح الأندلس ص 24) متحدثاً عن الخدمات التي قدمها بعض الإسبان لموسى:"فلما نزل الجزيرة، قيل له: اسلك طريقه، قال: ما كنت لأسلك طريقه. قال له العلوج الأدلاء: نحن ندلك على طريق هو أشرف من طريقه، ومدائن هي أعظم خطباً من مدائنه لم تُفتح بعد، يفتحها الله عليك إن شاء الله" إنتهى.

ويقول أيضاً:"ثم سار إلى مدينة قرمونة، فقدَّم إليها العلوج الذين معه، وهي مدينة ليس بالأندلس أحصن منها، ولا أبعد من أن ترجى بقتال أو حصار، وقد قيل له حين دنا منها: ليست تُؤخذ إلا باللطف، فقدَّم إليها علوجاً ممن استأمن إليه، مثل (يوليان)، ولعلهم أصحاب (يوليان)، فأتوهم على حال الأفلال، معهم السلاح، فأدخلوهم مدينتهم، فلما دخلوها بعث إليهم الخيل ليلاً، وفتحوا لهم الباب، فوثبوا على حراسه ودخل المسلمون قرمونة " إنتهى.

بل إن بعض أساقفة النصارى شاركوا في مساعدة المسلمين على الفتح، منهم (أوباس) (أسقف) (إشبيلية) كما في كتاب (العرب لم يغزوا الأندلس) (ص/187).

وينقل صاحب كتاب (تاريخ النصارى في الأندلس) (ص/45) عن ما جاء في سيرة القديس (سانت ثيودارد) رئيس أساقفة (أربونة) الذي عاش حوالي سنة 266هـ أنه لما دخل المسلمون لأول مرة إلى (لانجدوك)، انحاز اليهود إليهم، وفتحوا لهم أبواب مدينة (طولوشة).

وذلك ما شهد به بعض اليهود حين أدركوا عظيم الفضل الذي أسداه المسلمون لهم في توفير حياة كريمة، وحرية لم يشهدوا لها مثيلا عبر تاريخ وجودهم في أوروبا كلها.

يقول حاييم الزعفراني اليهودي في كتابه (ألف سنة من حياة اليهود في المغرب ص13):

"لقد عرفت اليهودية الأندلسية في مجموعها حياة أكثر رخاء وأكثر اطمئناناً كما لم تعرفها في مكان آخر" إنتهى.

ويقول نسيم رجوان -رئيس تحرير جريدة اليوم الإسرائيلية- :

"كان اليهود قد عانوا خلال قرون الكثير من الشقاء والبؤس، حيث كان الملوك الإسبان القساة الغلاظ بعيدين كل البعد عن الشفقة والرحمة. وعندما

دخل المسلمون إسبانيا لم يكتفوا بتحرير اليهود من الاضطهاد، ولكنهم شجَّعوا بينهم نشر حضارة كانت توازي بخصبها وعمقها أشهر الحضارات في مختلف العصور" (أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي ص49)

ويُتَوَّجُ ما سبق بالقطع واليقين، حين نستحضر أن فتح تلك البلاد لم يستغرق إلا نحو ثلاثة سنين (92هـ - 95هـ) وصل فيها المسلمون إلى فرنسا، ولم يشارك فيه إلا بضعة آلاف من الجنود مما يقطع لك بأن الأمر لم يكن فتحا عسكريا بالقدر الذي كان فتحا فكريا وعقائديا، آمن فيه سكان (الأندلس) بعقيدة المسلمين، واختاروا -عن حب وطواعية- التسليم لهذا الدين الجديد، والتخلص من طغيان الكنيسة والإقطاع الذي كان سائدا قبل المسلمين، وقد كتب في ذلك واحد من أشهر المؤرخين الإسبان، وإسمه (اغناسيو أولاغي) كتابا اسمه (الثورة الإسلامية في الغرب)، ترجمه واختصره الأستاذ المؤرخ المحقق (إسماعيل الأمين) تحت عنوان (العرب لم يغزوا الأندلس)، طباعة (رياض الريس للكتب والنشر) ، أراد فيه المؤلف بيان أن التحول إلى الإسلام في الأندلس لم يتم إلا عبر حركة الأفكار وتصارعها، ثم هيمنة ما يسميه المؤلف بالفكرة/القوة، التي شكلت عصب الحضارة العربية الإسلامية في ثلاثة أرباع العالم يومها.ورغم ما في الكتاب من مغالاة في نقد كل ما اشتهر في تاريخ الأندلس، إلا أن الذي يهمنا فيه بعض النصوص التي توحي بأن دخول الإسلام الأندلس لم يكن اعتراضاً وقهراً، بل كان فتحا للقلوب وتنويرا للعقول.

وليتحمل القارئ الكريم طول النص المنقول، فإنه من أبدع النصوص التي كتبها أعداء الإسلام في أمر يثيره كثير من الحاقدين:جاء في (ص/ 55-66) :

"هكذا يتضاءل الغزو الأجنبي إلى حادث عرضي في حرب أهلية، فهل يبقى من صلة بين هذا الحدث العسكري من جهة، وبين اعتناق الأيبيريين الإسلام، ثم نشوء حضارة إسلامية في إيبيريا من جهة ثانية؟

في الأبحاث المتعلقة بخرافة الغزو جاءت الأرقام دقيقة، وصل طارق بـ7000 رجل لهزيمة رودريك، وجاء موسى بن نصير على رأس 18000رجل ليخضع الأيبيريين لسلطانه، أحدث 25000 رجل هذا التحول الهائل في اللاتينية والمسيحية ، في ضربة واحدة بدَّل الأيبيريون أعرافهم وتقاليدهم وديانتهم، بعد هذا الانجاز العظيم يبادر العرب دون أي تعزيز لقواتهم ومواقعهم إلى غزو فرنسا!!

مع ذلك يبقى من المطلوب تفسير كيف يمكن أن تتم عملية تحويل شعوب إيبيريا المحصَّنة جغرافيا وطبيعيا بهذه السرعة، ومن قبل حفنة ممن نسبت إليهم المعجزات، خصوصا أن الأيبيريين والغزاة لم يكونا من أصل مشترك.

من البديهي أن جيشا من هذا النوع كان سيذوب بين الجموع إذا ما خاطر بنفسه وتوغل في عمق البلاد، هذا فضلا عن أن الأيبيريين خلال تاريخهم الطويل لم يكونوا شعبا مسالما في مواجهة مثل هذا النوع من الأحداث، ألم يكن من الممكن أن ينظموا حرب "العصابات" التي كانوا قد قدموا وصفتها إلى العالم بأكمله؟!

ماذا فعل الأيبيريون في هذه الأثناء؟

بعد سنة 711م لم يحدثنا التاريخ عنهم، مع هذا فإن عشرة ملايين نسمة - على أقل تقدير- لم يختفوا هكذا بضربة سحرية في تلك الحقبة السعيدة، لم يكن هناك وسائل إبادة جماعية، وكان يلزم الفاتحون الكثير من الوقت والعمل لجزر هذا العدد بالسيف، لا يمكن لأودية (أشتورش) الصغيرة استقبال هذا العدد من اللاجئين، يكفي هذه الأودية أنها شكلت حصنا للمتمردين القلائل الذي سيشكلون

فيما بعد نواة المملكة المسيحية، هكذا تم إخفاء عشرة ملايين من الأيبيريين من صفحات التاريخ، فإذا كان اجتياح أرض مسيحية من قبل (الكفار) قد بدا بهذه الضخامة، بماذا يمكننا إذن أن نصف اعتناق شعبها الإسلام، وتمثله الحضارة العربية الإسلامية؟ إما أن يكونوا جميعهم قد قتلوا، وإما تم استرقاقهم عبيدا، أو لجؤوا إلى الجبال، أو ببساطة قد تم تجاهل وجودهم من قبل المؤرخين.

لماذا وكيف اعتنقت الجماعات التي كانت متمركزة في المقاطعات البيزنطية في آسيا وأفريقيا الشمالية وشبه جزيرة إيبيريا إيمانا جديدا ومفهوما جديدا للوجود؟

قد يسهل تحويل خرافة الغزوات العربية المستحيلة جغرافيا وتاريخيا إلى حقيقة، ولكننا لا يمكننا أن ننكر أن حضارةً عربية إسلامية قد امتدت في جميع هذه الأصقاع.

يصاب الباحثون بالدهشة حين يعرفون من خلال الروايات عدد الغزاة: 25 ألف رجل أهلكوا عشرة ملايين!!

في الواقع إستمرت عملية اعتناق الإسلام واكتملت خلال قرنين أو ثلاثة قرون، فكان اعتناقا كاملا أو نهائيا،لم يترك سوى بعض الجزر التي بدا وجودها مشكوكا فيه.

كيف إذًا يمكن تفسير هذه العودة عن المسيحية واعتناق الإسلام بقوة السلاح؟

وماذا كانت نتيجتها؟

بعض المؤرخين قَبِلَ الإجابة التقليدية الجاهزة عن هذه الأسئلة، وبعضهم الآخر أصيب بتشوش فكري.

لم يتمكن هؤلاء من فهم كيفية خضوع شعوب مصر والمقاطعات البيزنطية لما يسمونه بـ "قوانين البدو" ، لقد أثبت (كزافيي بلان هول) في كتابه

(العالم الإسلامي) أن الإسلام كان دائما دين المدن، مع هذا لنفترض أنهم أُخضعوا بالقوة من قبل جماعات البدو، فلماذا تنازلوا لهؤلاء البدو عن كامل حضارتهم؟

كانت المقاطعات البيزنطية تتمتع بحياة مدنية متقدمة، وكانت المدن المزدهرة كبيرة، كان عدد سكان أنطاكيا حوالي 300 ألف نسمة، وكان من بين الـ400 أسقفية بيزنطية 371 أسقفية موجودة في آسيا، من هنا تظهر أهمية النصر الإسلامي على المستوى الفكري.

هل يتعين علينا أن نتصور أن أبناء المدن قد فُتنوا بمدنية أولئك المتدفقين من تلك الوحشة الواسعة؟ يبدو الأمر مستحيلا إذا لم يكن لدى هؤلاء البدو غير السيف.

التعصب الديني وسوء الفهم الناتجان أحيانا عن انعدام الوعي وأحيانا عن الإرادة الواعية والمتعاظمان مع الزمن أخفيا -تحت جملة من الأكاذيب والخرافات- قسما هاما من تاريخ انتشار الإسلام على طول السواحل الشرقية والجنوبية للبحر المتوسط، وانسجاما مع مفهوم بدائي للتاريخ فسرت التحولات الروحية والاجتماعية والثقافية العملاقة في القرنين السابع والثامن -في عالمي الشرق والبحر المتوسط- كنتيجة لغزوات عسكرية فرضت اللغة والحضارة والدين بالسيف المعقوف!!

الإكراه لا يفسر كل شيء.

في الواقع: إن المؤرخين قد خلطوا بين انتشار الأفكار العبقرية التي تحملها حضارة ما، وبين القدرات العسكرية التي لا تسمح إلا بنشوء إمبراطوريات وقتية تزول مع الزمن.

لقد خلطوا بين القوة العقلية والقوة المادية.

نستنتج من دراسة الحركات المشابهة أن انتشار الإسلام كان نتيجة الفكرة/القوة ، وليس نتيجة للقدرة على الهجوم العسكري المسلح، فمثلما سيطرت (الهيلينية) فيما مضى، ويسيطر الغرب اليوم، فإن سيطرة الإسلام لا يمكن أن تكون إلا ثمرة لحركات أفكار/قوة.

أما الإستمرار في الاعتقاد بأن شعوبا تزدهم (أي تغزوهم) في بلادها حضارة هادمة، قد تركت معتقداتها وغيرت عاداتها لأن حفنة من الفرسان الميامين قهرتها عسكريا، فلا يوحي إلا بمفهوم صبياني سخيف للحياة الاجتماعية.

يجب أن يتقلص الجانب العسكري من الأحداث إلى دور ثانوي يتعلق بتفاصيل طرائف الحياة الشخصية. يجب فهم المشكلة في المجال الفكري والثقافي.

لم يكن هناك عدوان عسكري، بل أزمة ثورية، ودعوة حملها الفقهاء وليس الجنرالات.

إن العلماء وحدهم يدركون حركة الشعوب ويقدرون على قيادتها، أما السيادة العسكرية فلا يمكن أن تستمر ثمانية قرون في الأندلس، وإلى الأبد في مساحات شاسعة من العالم".

تمهيد تاريخي:

في عام 86 هـ وفي زمن الوليد بن عبد الملك الأموي تولى موسى بن نصير المغرب ، فأخضع البربر ، ونشر الأمن في هذه الربوع ، واستطاع أن يفتح طنجة فترك بها حامية يقودها مولاه طارق بن زياد ، وعهد إليه بالعمل على نشر الإسلام في المنطقة ، و لم يمض على ولاية موسى للمغرب عدة أعوام ، حتى خضع له المغرب بأسره ، و لم تستعص عليه سوى مدينة سبتة ،

لمناعتها و شدة تحصنها. و كان يتولى إمارتها حاكم من قبل الدولة البيزنطية ، يعرف بالكونت جوليان ، و يسميه العرب يوليان المسيحي.

و كان يوليان هذا - برغم تبعيته للدولة البيزنطية - يتوجه في طلب المعونة إلى مملكة القوط (Goth) بإسبانيا، فتمده الحكومة القوطية بالمؤن والأقوات عن طريق البحر. وقاتله موسى وطارق فألفياه في نجدة وقوة وعدة، فلم يمكنهما التغلب عليه، فرجعا إلى مدينة طنجة، ومن هناك أخذا يغيران على ما حول سبتة، ويضيقان عليها الخناق دون جدوى، إذ كانت سفن القوط تختلف إلى سبتة بالميرة والإمداد. فلما يئس موسى من دخول سبتة، أقام قائده طارق بن زياد واليًا على مدينة طنجة حتى تتاح له فرصة مراقبة مدينة سبتة عن كثب، وترك تحت تصرف طارق تسعة عشر ألفًا من البربر بأسلحتهم وعددهم الكاملة، مع نفر قليل من العرب ليعلموهم القرآن وفرائض الإسلام. أما موسى، فقد عاد إلى القيروان.

وعسكر طارق بمن معه من المسلمين على سواحل بحر الزقاق ، وأنظارهم تتجه نحو إسبانيا طمعا بفتحها ، فراسل طارق يوليان ولاطفه وتهاديا حتى يستفيد منه .

وأما الأندلس (إسبانيا) فقد حكمها القوط منذ عام 507 م ، غير أن أمرهم بدأ يضعف ، وقسمت إسبانيا إلى دوقيات ، يحكم كل منها دوق ، يرجع في سلطنته إلى الملك في طليطلة ، وقسم المجتمع إلى طبقات : أعلاها طبقة الأشراف أصحاب الأموال والمناصب وحكام الولايات والمدن والإقطاعيون ، ثم طبقة رجال الدين الذين ملكوا الضياع وعاملوا عبيدهم بالعسف ، ثم طبقة المستخدمين وهم حاشية الملك وموظفو الدولة ، ثم الطبقة الوسطى وهم الزراع والتجار والحرفيين وقد أثقلوا بالضرائب ، وأخيراً الطبقة الدنيا وهم

الفلاحين والمحاربين والعاملين في المنازل ، وبلغ البؤس بأهل إسبانيا أن حل بهم الوباء في السنوات : 88 ، 89 ، 90 هـ حتى مات أكثر من نصف سكانها .

وفي عام 709 م تولى العرش وتيكا " غيطشة "،لكنه عزل في نفس السنةثم قتل،وإستلم بعده أخيلا .

وفي العام التالي710 م وصل ردريك – "لذريق" – إلى الحكم بعد عزل أخيلا ، وغرق لذريق في الشهوات حتى نفرت منه القلوب ، وانقسمت البلاد في عهده ، فظهر حزب قوي بزعامة أخيلا الذي حاول استرداد عرشه وحزب آخر ناصر الملك .ولما كان يوليان حليفاً لغيطشة فقد حاول مد يد العون إلى حليفه ، ولكن أنصار لذريق ردوه عن الأندلس ، فتحصن في سبتة ، وأخذ يرقب الأحداث .

وتذكر الروايات أن يوليان هو الذي دعا موسى لغزو الأندلس وذلك أن يوليان كان قد أرسل ابنته إلى قصر لذريق لتتأدب ، وتنشأ فيه أسوة بغيرها من بنات القوط في ذلك الزمان ، وأن لذريق بصر بالفتاة وطمع فيها ونال منها ، فكتبت إلى أبيها بخبرها ،فدفعه ذلك للتفكير في الإنتقام من لذريق ، فإتصل بطارق وزين له فتح الأندلس،وجعل نفسه وأتباعه أدلاء للمسلمين بعد أن اطمأن إليهم ، وزار يوليان موسى بن نصير في القيروان لإقناعه بسهولة الفتح ، وطبيعي أن يشك موسى في صحة المعلومات فطلب من يوليان أن يقوم بغارة سريعة ، ففعل وعاد محملاً بالغنائم .

وليس هذا هو السبب الحقيقي للفتح ، ولكنه عجل به وساعد عليه ،وإلا فعين طارق على الأندلس منذ أن وصل طنجة ، ثم إن المسلمين فتحوا فرنسا وسويسرا وصقلية وجزر المتوسط كلها دون مساعدة يوليان ، كما أن المسلمين منذ أيام عثمان وهم يفكرون بفتح القسطنطينية من جهة أوروبا بعد فتح

الأندلس ، وقال عثمان حينها :"إن القسطنطينية إنما تفتح من قبل البحر ، وأنتم إذا فتحتم الأندلس فأنتم شركاء لمن يفتح القسطنطينية في الأجر" .

إستشار موسى الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك فأجابه قائلا «خضها بالسرايا حتى تختبرها ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال».

حملة طريف الاستطلاعية:

واستجابة لأمر الخليفة جهز موسى بن نصير حملة صغيرة لعبور البحر إلى إسبانيا، وكان قوامها خمسمائة جندي يقودهم قائد من البربر يدعى "طريف بن مالك"؛ لاستكشاف الأمر واستجلاء أرض الأسبان، وقدم يوليان لهذه الحملة أربع سفن أقلتهم إلى إسبانيا، فعبرت البحر ونزلت هناك في منطقة سميت بجزيرة طريف، نسبة إلى قائد الحملة، وكان ذلك في (رمضان 91هـ= حزيران 710م) وجاست الحملة خلال الجزيرة الخضراء، وغنمت كثيرًا ودرست أحوال إسبانيا، ثم قفلت راجعة إلى المغرب.

وقدم قائدها إلى موسى بن نصير تقريرا عن حملته.

مقدمات المعركة:

استدعى موسى طارقا، وأمّره على سبعة آلاف من البربر وثلاثمئة من العرب. وأبحرت الحملة من طنجة في 5 من رجب عام 92هـ، نيسان 711م، في أربع سفن، وظلت هذه السفن تنقل جنود طارق إلى جبل كالبي الذي عُرف بعد ذلك بجبل طارق حتى كمل نقلهم وتوافوا جميعهم لديه.

وقع على لذريق خبر اقتحام المسلمين ساحل الأندلس الجنوبي، ودخولهم الجزيرة الخضراء، وقوع الصاعقة، فانزعج ورجع إلى جنوبي إسبانيا، وزحف إلى قرطبة في جيش جرّار بلغت عدته ـ وفقا للروايات العربيةـ نحو 100000. فكتب طارق إلى موسى بذلك و أنه دخل الجزيرة الخضراء،وملك المجاز إلى

الأندلس، وغنم بعض أعمالها حتى البحيرة، وأن لذريق زحف إليه بما لا قبل له به. فأرسل موسى إليه مددًا مؤلفًا من 5000، كملت بهم عدة من معه 12000

خطبة طارق بن زياد

وأقبلت في الوقت نفسه جيوش لذريق حتى عسكرت غربي طريف، بالقرب من بحيرة خندة، على طول نهير برباط الذي يصب في البحر الذي سمَّاه المسلمون وادي لكة. وبالمقابل، أخذ طارق في الإستعداد للمعركة الحاسمة. فاختار موقعًا مناسبًا في وادي لكة، يستند في أجنحته على موانع طبيعية تحميه، ونظم قواته، واصدر أوامره بإحراق السفن ولكن ذلك محل خلاف لدى المؤرخين . وقام في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله. ثم حث المسلمين على الجهاد، ورغَّبهم فيه، واستثار حماستهم. كان مما قاله طارق في الخطبة الشهيرة:

«(أيها الناس، أين المفر؟ البحر من ورائكم، والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته، وأقواته موفورة، وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم، ولم تنجزوا لكم أمرًا ذهبت ريحكم، وتعوَّضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية (يقصد لذريق) فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن، إن سمحتم لأنفسكم بالموت.

وإني لم أحذركم أمرًا أنا عنه بنجوة،ولا حَمَلْتُكُمْ على خطة أرخص فيها النفوس إلا وأنا أبدأ بنفسي،واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشقِّ قليلاً،استمتعتم بالأرفَهِ طويلاً،فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي،فما حظكم فيه بأوفى من حظي".»

ثم قال:«("وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عُربانًا، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارًا، وأختانًا، ثقة منه بارتياحكم للطعان، واستماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان؛ ليكون حظُّه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة، وليكون مغنمًا خالصة لكم من دونه، ومن دون المؤمنين سواكم، والله – الله – ولّى إنجادكم على ما يكون لكم ذِكرًا في الدارين.

واعلموا أنني أول مُجيب لما دعوتكم إليه، وأني عند مُلتقى الجمعين حامل نفسي على طاغية القوم لذريق، فقاتله - إن شاء الله -، فاحملوا معي، فإن هلكت بعده، فقد كفيتكم أمره، ولم يعوزكم بطلب عاقد تسندون أموركم إليه، وإن هلكت قبل وصولي إليه؛ فاخلفوني في عزيمتي هذه، واحملوا بأنفسكم عليه، واكتفوا الهمَّ من الاستيلاء على هذه الجزيرة بقتله؛ فإنهم بعده يُخذلون).»

ملاحظة ": يشكك كثير من المؤرخين المعاصرين بحكاية حرق السفن وبالخطبة في هذه الهيئة.

معركه وادي لكة:

أقبل لذريق في جموعه وهم نحو مئة ألف ذوي عدة وعدد، وهو على سريره، وعليه مظلّة مكللة بالدّر والياقوت ، وحوله غابة من البنود والأعلام. وأقبل طارق وأصحابه، عليهم الزَرَدُ، من فوق رؤوسهم العمائم البيض، وبأيديهم القسي العربية، وقد تقلدوا السيوف، وشرعوا الرماح.

وانضم لجيش طارق بن زياد الكونت يوليان وبعض كبار الدولة القوطية من أعداء لذريق وعدد من جنودهم.

وتلاقى الجمعان قرب نهر وادي لكة. في المعركة التي دامت 8 أيام وقأوم القوط مقأومة عنيفة في بادئ الأمر إلا أن انسحاب لوائين (أحدهما بقيادة

أخيه الأرشيدوق أوباس) من أصل 3 ألوية من جيش لذريق أدى لضعضع تهم وإرباكهم.

واختلف المؤرخون حول مصير لذريق فمنهم من قال انه قتله طارق ،وقيل : إنه جرحه فرمى بنفسه في وادي لكة وغرق ،وحمل النهر جثته إلى المحيط . ويجمع الرواة على أنه مات . كما يجمع أغلب المؤرخين على مقتل كل وجهاء البلاد ما عدا ابِلاَي (أو بيلايو الأستورياسي،لدى الغرب) الذي هرب دون أن يشارك في القتال و قام بتأسيس مملكة أستورياس فيما يعرف الآن بإسبانيا وهي مناطق غزاها المسلمون مرات عديدة وانسحبوا منها..

ما بعد المعركة

بعد هذا النصر تعقب طارق فلول الجيش المنهزم الذي لاذ بالفرار، وسار الجيش مستوليا على بقية البلاد، ولم يلق مقاومة عنيفة في مسيرته نحو الشمال، وفي الطريق إلى طلية بعث طارق بحملات صغيرة لاحتلال المدن، فأرسل مغيثًا الرومي إلى قرطبة في سبعمائة فارس، فاقتحم أسوارها الحصينة واستولى عليها ، وأرسل حملات آخرى إلى غرناطة والبيرة ومالكة، فتمكنت من فتحها.

وسار طارق في بقية الجيش إلى طليطلة مخترقا هضاب الأندلس، وكانت تبعد عن ميدان المعركة بما يزيد عن ستمائة كيلومتر، فلما وصلها كان أهلها من القوط قد فروا منها نحو الشمال بأموالهم، ولم يبق سوى قليل من السكان، فاستولى طارق عليها، وأبقى على من ظل بها من أهلها وترك لأهلها كنائسهم، وجعل لأحبارهم ورهبانهم حرية إقامة شعائرهم، وتابع طارق زحفه شمالا فاخترق قشتالة ثم ليون، وواصل سيره حتى أشرف على ثغر خيخون الواقع على خليج بسكونية، ولما عاد إلى طليطلة تلقى أوامر من موسى بن نصير بوقف الغزو حتى يأتي إليه بقوات كبيرة ليكمل معه الغزو.

اليرموك

"كانت معركة اليرموك المسمار الاخير في نعش الامبرطورية الرومانية في بلاد العرب." ، فقد لقي جيش الروم- أقوى جيوش العالم يومئذ- هزيمة قاسية، بل كارثة مدمرة افقدته توازنه،فولى هاربا من بلادالشام كلها. وقد أدرك هرقل حجم الكارثة التي حلت به وبدولته، فغادر المنطقة نهائيا وقلبه ينفطر حزنا، وهو يقول: "السلام عليك يا سوريا، سلاما لا لقاء بعده، ونعم البلد أنت للعدو وليس للصديق، ولا يدخلك رومي بعد الآن إلا خائفا".

التاريخ : (15 هـ - 636 م)

الاطراف المتحاربة": المسلمون والإمبراطورية البيزنطية،

عدد المقاتلين والقادة:

-المسلمون : 46 ألف بقيادة خالد بن الوليد

2-الروم : 200 ألف بقيادة دريجارو نذراق يساعده ما الفيقار وباهان.

عددالقتلى من المسلمين : 3000

عدد القتلى من الروم : اكثر من 30000 في اقل الروايات و تصل 120000 ألفاً في اعلاها

نتيجة المعركة : انتهت بانتصار المسلمين

سبب التسمية:لانها وقعت على نهر اليرموك .

تمهيد تاريخي:

بعد الانتهاء من حروب الردة وتسيير خالد من اليمامة إلى العراق في سنة 13هـ جهز الصديق الجيوش إلى الشام ، فبعث عمرو بن العاص إلى فلسطين ، وسير يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ، رضي الله عنهم أجمعين ، آمراً إياهم أن يسلكوا تبوك على البلقاء ، وكان عدد كل لواء من هذه الألوية الأربعة ثلاثة آلاف .

وصل الأمراء إلى الشام ، فنزل أبو عبيدة الجابية على طريق دمشق ، ونزل يزيد البلقاء مهدداً بصرى ، ونزل شرحبيل الأردن بأعلى الغور فوق طبرية ونهر الأردن ، وقيل نزل في بصرى ، أما عمرو فقد وصل إلى وادي عربة .

عين الصديق لكل منهم الولاية التي يتولاها بعد الفتح ، فجعل لعمرو فلسطين ، وليزيد دمشق ، ولأبي عبيدة حمص ، ولشرحبيل الأردن .

سار الأمراء إلى أهدافهم ، وعكرمة ردء للناس ، فبلغ الروم ذلك فكتبوا إلى هرقل، فجاء من حمص ، وأعد الجند ، وجمع العساكر ، وأراد أن يشغل قواد المسلمين بعضهم عن بعض لكثرة جنوده ، أراد أن يحاربهم متفرقين ، لكن عمْراً تنبه للأمر ، خاصة بعد أن أرسل هرقل تذارق في تسعين ألفاً ، وبعث جرجة نحو يزيد بن أبي سفيان فعسكر بإزائه ، وبعث الدراقص فاستقبل شرحبيل بن حسنة ، وبعث الفيقار في ستين ألفاً نحو أبي عبيدة ، فهابهم المسلمون وخاصة أن جميع ألويتهم تعد واحداً وعشرين ألفاً ، باستثناء عكرمة فهو في ستة آلاف أيضاً ، فالمجموع سبعة وعشرين ألفاً ، فسأل الجميع بكتب مستعجلة عمراً : ما الرأي ؟ فراسلهم أن الرأي الاجتماع ،فدارت بينهم مراسلات تجمعوا بعدها في وادي اليرموك، تحت قيادة أبى عبيدة بن الجراح، لكن تجمعهم لم يؤدِ إلى تحريك للموقف ضد الروم، فأخبروا الخليفة أبا بكر بما هم فيه، وطلبوا المدد منه. فرأى أنه لن ينقذ الموقف في الشام سوى خالد بن الوليد، وقال عبارته المشهورة: "والله لأُنسين الروم وسأوس الشيطان بخالد بن الوليد"، ثم كتب رسالة إليه:أما بعد فإذا جاءك كتابى هذا، فدع العراق، وخلف فيه أهله الذين قدمت عليهم وهم فيه،وامضِ متخففًا في أهل القوة من أصحابك الذين قدموا العراق معك من اليمامة،وصحبوك من الطريق، وقدموا عليك من

الحجاز ،حتى تأتى الشام، فتلقى أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين،فإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة والسلام عليك.

امتثل خالد لأوامر الخليفة، وسار من العراق في سبعة آلاف جندي في واحدة من أجرأ المسيرات العسكرية في التاريخ وأكثرها خطرًا،حيث قطعوا أكثر من ألف كيلو متر في ثمانية عشر يومًا،في صحراء قاحلة مهلكة، حتى وصلوا اليرموك فتسلم خالد القيادة من أبى عبيدة وخاض معركة مع الروم تُعد من أعظم المعارك وأبعدها أثرًا في الفتح الإسلامي،

وقبل أن يتحرك "أبو عبيدة بن الجراح" بجيوش المسلمين، دعا "حبيب بن مسلمة"- عامله على الخراج- وقال له: "اردد على القوم -اهل حمص- الذين كنا صالحناهم ما كنا أخذنا منهم، فإنه لا ينبغي لنا إذا لم نمنعهم أن نأخذ منهم شيئا، وقل لهم: نحن على ما كنا عليه فيما بيننا وبينكم من الصلح، لا نرجع فيه إلا أن ترجعوا عنه، وإنما رددنا عليكم أموالكم أنَّا كرهنا أن نأخذ أموالكم ولا نمنع بلادكم...".

فلمَّا أصبح الصباح أمر أبو عبيدة قواته بالرحيل من حمص إلى دمشق، وقام حبيب بن مسلمة برد الجزية إلى أهالي حمص، وبلغهم ما قاله أبو عبيدة؛ فما كان منهم إلا أن قالوا: "ردكم الله إلينا، ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم، والله لو كانوا هم ما ردوا علينا، بل غصبونا وأخذوا ما قدروا عليه من أموالنا؛ لَوِلايتكم وعَوْدُكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم".

التحرك إلى اليرموك

بعد أن أخلى المسلمون مدينة حمص، جاءت قوات الروم، فدخلت حمص، ثم تحركت جنوبا خلال وادي البقاع إلى بعلبك، ولم تتجه إلى دمشق حيث يقيم المسلمون؛ وإنما اتجهت إلى الجنوب.

رأى المسلمون الذين كانوا يراقبون تحركات الروم أن في مسارهم هذا حركة التفاف تستهدف حصار المسلمين وقطع خط الرجعة عليهم؛ فاجتمع أبو عبيدة بقادته يتباحثون الأمر، فاتفقوا على الخروج من دمشق إلى الجابية، وهناك ينضم إليهم جيش عمرو بن العاص الرابض بفلسطين، وفي الوقت نفسه ينتظرون مدد الخليفة عمر بن الخطاب.

تقدمت مجموعات من جيش الروم إلى نهر الأردن بإتجاه المسلمين في الجابية، وخشي المسلمون أن يحاصروا بقوات الروم المقيمة في الأردن وفلسطين والاخرى القادمة من إنطاكية؛ فيقطعوا خطوط إمداداتهم، ويحولوا ببينهم وبين منطقة شمال الأردن والبلقاء التي تربطهم بالحجاز؛ ولهذا قررت الجيوش الإسلامية الإنسحاب إلى اليرموك. وهناك تولَّى خالد بن الوليد القيادة العامة للجيش بدل أبي عبيدة .

و كانت قوات جيش المسلمين تعدّ 36 ألف مقاتل في حين كانت جيوش الروم تبلغ 250 ألف مقاتل.

تحالف جيوش الإمبراطورية البيزنطية

كان جيش البيزنطيين يتألف من خمسة جيوش، حيث قاد ماهان (أو فاهان) ملك أرمينية جيشه الأرمني، وقاد الأمير "قناطير السلافي، أو الروسي، جيشه من الشعوب السلافية، وكان ملك الغساسنة جبلة بن الأيهم الغساني على رأس جيش النصارى العرب (كلهم من راكبي الخيول والجمال)، وكانت الجيوش الأوروبية كاملة تحت قيادة غريغوري ودريجان، و تولى دريجان قيادة الجيوش مجتمعةً. كما شارك تيودوروس، شقيق القيصر هرقل في المعركة، وهو "تذارق" بالمراجع العربية، وكذلك "دارقص أو سقلاب".

كان جند غريغوري على ميمنة جيوش الروم وقد ربطوا أرجلهم بالسلاسل تعبيراً عن تصميمهم على الصمود والشجاعة، كما أن السلاسل يمكن

أن تستخدم ضد خيول المسلمين في حال حدوث خرق في صفوف جيش غريغوري. وهذا جعل حركتهم بطيئة على كل الأحوال.

الإستعداد للمعركة

بدأ خالد في تنظيم قواته، وكانت تبلغ 46 ألف مقاتل، وقسَّم الجيش إلى كراديس، أي كتائب، وتضم ما بين 600 إلى 1000 رجل، والكردوس ينقسم إلى أجزاء عشرية؛ فهناك العريف الذي يقود عشرة من الرجال، وآمر الأعشار الذي يقود 10عرفاء (100 رجل)، وقائد الكردوس الذي يقود عشرة من أمراء الأعشار (1000) رجل.

ويُجمِع المؤرخون على أن خالد بن الوليد هو أول من استحدث تنظيم الجيوش على هذا النحو، وعُدَّ عمله فتحا في العسكرية الإسلامية؛ فقد اختار رجال الكردوس الواحد من قبيلة واحدة أو ممن يعودون بأصولهم إلى قبيلة واحدة، وجعل على كل كردوس قائدا منهم ممن عُرفوا بالشجاعة والإقدام، بحيث يقاتل كل واحد إلى جانب أخيه المسلم من عشيرته أو قبيلته . ومن أمراء الكراديس يومذاك:

القعقاع بن عمرو. مذعور بن عدي. عياض بن غنم. هاشم بن عتبة بن أبي وقاص. سهيل بن عمرو. عكرمة بن أبي جهل.و عبد الرحمن بن خالد بن الوليد.حبيب بن مسلمة. صفوان بن أمية.سعيد بن خالد بن العاص.خالد بن سعيد بن العاص.عبد الله بن قيس. معاوية بن حديج. الزبير بن العوام.

ثم جمع الكراديس بعضها إلى بعض وجعل منها قلبا وميمنة وميسرة، وكان على رأس كراديس القلب أبو عبيدة بن الجراح، ومعه المهاجرون والأنصار، وعلى كراديس الميمنة عمرو بن العاص ويساعده شرحبيل بن حسنة، وعلى كراديس الميسرة يزيد بن أبي سفيان.

وبلغت هذه الكراديس 36 كردوسًا من المشاة، بالإضافة إلى عشرة كراديس من الخيالة، يقف أربعة منها خلف القلب واثنان في الطليعة، ووزعت الأربعة الباقية على جانبي الميمنة والميسرة.

وقسم الجيش إلى 36 كتيبة من المشاة وزعت على أربعة ألوية مشاة (اثنان في القلب بقيادة أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة، وجناحان الميسرة بقيادة يزيد بن أبي سفيان والميمنة بقيادة عمرو بن العاص). وتشكل كل لواء منهم من تسعة سرايا كانت منظمة على أساس التجمع القبلي أو العشائري،

وجعل لكل لواء مجموعة من الإستطلاع بحيث يتم مراقبة أرض المعركة كاملة، وكانت خط الجبهة يمتد على 11 ميلاً بحيث يتجه المسلمون غرباً في مواجهة الروم وإلى الجنوب إلى يمين الجيش الرومي يمر نهر اليرموك وشمالاً على بعد أميال بإتجاه الجنوب الغربي هناك طرف وادي الرقاد.

وكلف كل من قيس بن حبيرة وأمير بن طفيل وميسرة بن مرزوق بقيادة فرق الخيالة التي تلعب دور الوحدات الإحتياطية للتدخل في حال أي تراجع ممكن للألوية الإسلامية.وكان ضرار بن الأزور ينوب عن خالد بقيادة الوحدة المتنقلة في حال انشغال خالد في الأعمال القتالية .

قبيل المعركة

خالد بن الوليد وماهان الروماني

وقبيل بدء القتال طلب قائد الروم أن يبرز إليه خالد، وبرز إليه خالد، في الفراغ الفاصل بين الجيشين، وقال (ماهان) قائد الروم: (قد علمنا أنه لم يخرجكم من بلادكم إلا الجهد والجوع فإن شئتم أعطيت كل واحد منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاما، وترجعون إلى بلادكم، وفي العام القادم أبعث إليكم بمثلها !).

وأدرك خالد ما في كلمات الرومي من سوء الأدب ورد قائلا: (إنه لم يخرجنا من بلادنا الجوع كما ذكرت،ولكننا قوم نشرب الدماء، وقد علمنا أنه لا

دم أشهى ولا أطيب من دم الروم،فجئنا لذلك !)... وعاد بجواده إلى صفوف الجيش ورفع اللواء عاليا مؤذنا بالقتال: (الله أكبر، هبي رياح الجنة).

مجريات المعركة:

دامت المعركة ستة أيام، كان المسلمون فيها يردون هجمات الروم في كل يوم، وكان خالد يستخدم "سرية الخيالة المتحركة السريعة" التي يقودها ليتحرك بسرعة خاطفة من مكان إلى آخر حيث يكون جيش المسلمين في تراجع تحت ضغط الروم، ويعود كل من الجانبين في نهاية النهار إلى صفوفه الأولى قبل القتال أو إلى معسكراته.

وجرى الأمر كذلك خلال الأربعة أيام الأولى كانت فيها خسائر الروم بالأعداد أكبر من خسائر جيش المسلمين، وفي اليوم الخامس لم يحدث الشيء الكثير بعد رفض خالد "هدنة الثلاثة أيام" التي عرضها الروم بقوله المشهور لرسول الروم "نحن مستعجلون لإنهاء عملنا هذا" .

وفي اليوم السادس تحولت إستراتيجية خالد من الدفاع إلى الهجوم، وتمكن بعبقريته الفذة من شن الهجوم المجازف على الروم واستخدام الأسلوب العسكري الفريد من نوعه آنذاك وهو الاستفادة الصحيحة من إمكانيات "سرية الفرسان سريعة التنقل" ليحول الهزيمة الموشكة للمسلمين إلى نصر مؤزر لهم.

وقاتلت نساء المسلمين خلف الجيوش في المعركة، وقتلن عدداً كبيراً من الروم.وكن يضربن من انهزم من المسلمين بالحجارة ويزجرنهم ويوبخنه.

من أحداث اليوم الأول

المبارزات واسلام جورج

زحفت صفوف الروم الجرارة من مكانها إلى المسلمين، لهم دويٌّ كدوي الرعد، ودخل منهم ثلاثون ألفًا كل عشرة في سلسلة حتى لا يفروا، قد رفعوا صلبانهم، وأقبل معهم الأساقفة والرهبان والبطارقة.

وحين رأى خالد إقبالهم على هذا النحو كالسيل، وضع خطته أن يثبت المسلمون أمام هذه الهجمة الجارفة؛ حتى تتكسر وتتصدع صفوف الروم، ثم يبدأ هو بالهجوم المضاد.

وكان خالد بن الوليد رابط الجأش ثابت الجنان وهو يرى هذه الجموع المتلاحقة كالسيل العرم، لم ترهبه كثرتهم، وقد سمع جنديا مسلما ، يقول: ما أكثر الروم وأقل المسلمين- فانزعج من قولته وقال له: ما أقل الروم وأكثر المسلمين، إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال.

بدأ اليوم الأول من معركة اليرموك بمبارزات بين مقاتلين أبطال من الجانبين، فمنهم من يخرج من بين الصفوف طوعاً ومنهم من يدعى من قبل القائد لمنازلة الخصوم. وقد دامت تلك المبارزات في اليوم الأول للمعركة لغاية منتصف النهار كان الشرف فيها لصالح المسلمين، حيث قتل عبد الرحمن بن أبي بكر، ابن الخليفة الراشد الأول، خمسة من قواد الروم البيزنطيين، مما دعا القائد العام للجيش البيزنطي "ماهان" لبدء القتال، حرصا على معنويات جيشه، وبدأ بتراشق النبال العنيف الذي تسبب بإصابات كبيرة في صفوف المسلمين ليلتحم الطرفان بعدها. وتذكر بعض المصادر أن أحد كبار أمراء الروم وكان يدعى "جورج"، وهو على الأرجح الأمير جرجة بن بوذيها، كان قد خرج يطلب خالد بن الوليد فخرج له خالد متأهباً للقتال وبدأ يسير بحركة دائرية مواجهاً الأمير الرومي متأهباً للمبارزة، ولكن "جورج" بدأه بالكلام وقال أنه يريد أولاً أن يسأله بعض الأسئلة ليجيبه بصراحة، فالحر لايكذب، كما قال، فسأله بعض الأسئلة مثل "لماذا سماه نبي الإسلام" سيف الله المسلول على المشركين، وفيما إذا كان الله قد أرسل سيفاً قلده الرسول محمد لخالد، فأجابه خالد على ذلك وعلى أسئلة عديدة، مثلاً إذا أسلم المرء اليوم ما موقعه بين المسلمين وأجاب خالد أن المسلمين سواسية، لا فرق بين المسلم قديماً والمسلم

حديثاً وهم جميعاً أخوة، فما كان من "جورج" هذا إلا أن اعتنق الإسلام وصحبه خالد إلى خيمته ليصلي مع المسلم "جورج" ركعتان، وحارب مع المسلمين وقتل في تلك المعركة شهيداً.

من أحداث اليوم الثاني

الهجوم البيزنطي

قرر ماهان شن الهجوم المباغت عند الفجر، عندما يكون جيش المسلمين غير مستعد ولكن خالد كان قد وضع نقاطا دفاعية قوية متقدمة خلال الليل سراً مما افقد عنصر المفاجئة التي كان يخطط لها البيزنطيون، ودارت المعركة وتراجع كل من جانبي الجيش المسلم، الميمنة والميسرة،في المرحلة الأولى من الهجوم المعاكس.حيث تدخل خالد بفرقته السريعة التنقل مرة في الميمنة ليوقف تقدم الروم، وبعدها في الميسرة.

المرحلة الثانية من الهجوم المعاكس

قسم خالد هنا وحدته المتنقلة السريعة ليرسل قسما منها بقيادة ضرار إلى قلب جيش الروم من الجهة اليمنى له، و تمكن ضرار في هذا الهجوم من قتل القائد البيزنطي دريجان رغم أن ألفين من الفرسان الروم البيزنطيين كانوا يحرسونه.

وترك مقتل دريجان وفشل خطة ماهان الأثر المدمر على نفسية المقاتلين الروم بينما كان لنجاح خالد بصد الهجوم الأثر الأقوى لتعزيز معنويات الجند المسلمين.

من أحداث اليوم الثالث

الهجوم البيزنطي

بعد أحداث اليوم السابق ومقتل دريجان أحد كبار قادة الروم، تركز في هذا اليوم هجوم الروم على نقطة محددة لفصل الجيش الإسلامي، وهي النقطة

بين الميمنة التي كانت تحت قيادة عمرو بن العاص يقابله "قناطر" قائد السلاف، وقلب الجيش الإسلامي من الجانب الأيمن تحت قيادة شرحبيل يقابله ماهان، وبدأ الهجوم على لواء عمرو الذي استطاع في البداية الصمود قبل أن يلعب التفوق العددي للروم دوره ليتراجع جنود عمرو إلى الوراء بإتجاء معسكرهم، كما بدأ جنود شرحبيل في اللواء المجأور بالتراجع،

الهجوم المعاكس

وتدخلت سرايا خيالة المسلمين لصد الهجوم بالإلتفاف عن يسار الروم، أي من الشمال لكل لواء، وبعدها تدخل خالد مجدداً بمجموعته سريعة التنقل ليهاجم جند ماهان المتقدمين ضد لواء شرحبيل. وتم صد الهجوم وتراجع الروم إلى أماكنهم قبل بداية المعركة. وحل الليل فتوقف القتال .

من أحداث اليوم الرابع

تم صد هجوم مماثل على الجهة نفسها، بسبب إنهاكها بالامس،وكماخطط ماهان، فقد تراجع شرحبيل أمام جيش الأرمن المدع وم بالخيالة العرب النصارى بقيادة جبلة، وتراجع عمرو أمام جيش "قناطر". وتعرض شرحبيل لضغط شديدوبدأت علامات الانهاك على جنده.

وقبل أن يتدخل خالد بفرقته السريعة التنقل ليشارك برد الزحف الرومي أمر أبا عبيدة بن الجراح ويزيد ببدء الهجوم على الجيش لإشغاله في القطاعين المقابلين لهما القسم الأيمن من القلب والميمنة الرومية وعدم تمكينهم من القيام بالهجوم الشامل.

وتمكن خالد من القيام بمنأورات ذكية أدت إلى تراجع الأرمن، ودام ذلك طوال بعد الظهر، وبعد فقدان الدعم الأرمني تراجع السلاف بقيادة "قناطر" إلى أماكنهم.

على الجانب الآخر استعر قتال الروم مع جيشي أبي عبيدة بن الجراح ويزيد وتعرض الجند المسلمين إلى رمي عنيف بالنبال أدى إلى فقدان الكثير لبصرهم نتيجة إصاباتهم في عيونهم، منهم: أبو سفيان والمغيرة بن شعبة وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص والأشعث بن قيس وعمرو بن معد يكرب وقيس بن مكشوح والأشتر النخعي، وسمي ذلك اليوم بيوم خسارة العيون، وتراجع الجيشان المسلمان، جيش عبيدة وجيش يزيد إلى الخلف.

هجوم المسلمين المعاكس

ولاحت علائم الهزيمة ولكن عكرمة بن أبي جهل نادي المجاهدين للقسم على النصر أو الشهادة، فلبى نداءه 400 من المقاتلين المجاهدين واستماتوافي الصمود فلوقفوا زحف الروم بعد مقتلهم جميعاً، بعد ان قتلوا عدداً هائلا من الاعداء،وأصيب عكرمة وإبنه عمرو إصابة مميتة في هذه الوقعة، و لما عرف عكرمة بنجاح المسلمين بصد الهجوم حمد الله قبل أن يموت ، وحل الظلام لينتهي ذلك اليوم.

من أحداث اليوم الخامس

كما ذكرنا سابقا فقد رفض خالد عرضا لـ "ماهان" بوقف القتال بضعة أيام، وعرف خالد بن الوليد أن عزيمة الروم على القتال لم تعد كالسابق، وكان المسلمون حتى الآن قد إتخذوا إستراتيجية دفاعية في الأعمال القتالية، فقرر الآن خالد التحول إلى الهجوم، وأجرى تغييرات على تشيكلاته، حيث جمع كافة فرق الخيالة إلى سرية قتالية موحدة، وجعل وحدته السريعة في قلبها، وخطط خالد باستخدام هذه السرية الجديدة لمهاجمة الفرسان الروم بغرض عزلهم عن المشاة الروم، بحيث يصبح المشاة الذين يشكلون نواة الجيوش البيزنطية دون أي حماية من الفرسان تقيهم من الهجمات الجانبية والخلفية، وفي نفس الوقت خطط لشن هجومٍ على الميسرة البيزنطية لردها بإتجاه الجرف إلى الغرب.

من أحداث اليوم السادس

بدأت ميسرة جيش المسلمين بقيادة يزيد بن أبي سفيان والقسم الأيسر من القلب بقيادة أبو عبيدة بالقتال على جبهتيهما وهاجم خالد بسرية الخيالة الموحدة الميمنة البيزنطية، وفي الوقت نفسه شطر قِسماً من مجموعة الخيالة لمهاجمة الطرف الأيسر من الميسرة البيزنطية .

المرحلة الأولى من الهجوم

قام عمرو بن العاص، قائد الميمنة، في الوقت نفسه بشن الهجوم على الميسرة الرومية البيزنطية ذات الأكثرية السلافية التي كانت بقيادة قناطر.

وقد صمدت الميسرة البيزنطية بقيادة قناطر أمام الهجومين من الأمام ومن اليسار، ولكن بفقدان الدعم من فرق الخيالة البيزنطيين، الذين إنشغلوا بصد هجوم الفرسان المسلمين، تراجعت قوات قناطر بإتجاه القسم الأيسر من قلب الجيش الرومي حيث يقاتل الأرمن بقيادة ماهان.

بعد رؤية هذا التحول إستغل عمرو بن العاص قائد الميمنة الإسلامية تلك اللحظات ليشن هجوماً على الجانب الأيسر من قلب جيش الروم من جهته اليسرى، فوقع القسم الأيسر من قلب الجيش البيزنطي باختلال في التوازن بسبب ضغط أعداد الجنود السلاف المتراجعين.

المرحلة الثانية من الهجوم

وفي الوقت نفسه شدد شرحبيل قائد القسم الأيمن من قلب الجيش الإسلامي من هجومه على القلب البيزنطي من الأمام. فتقهقر الجناح الأيسر للجيش البيزنطي وراح المسلمون يستغلون ذلك ويتابعون تقدمهم، هنا، أوعز خالد للفرسان بترك القتال الرئيسي الدائر والعودة إلى الوحدة الرئيسية لعزل الخيالة البيزنطيين عن مشاتهم وإبعادهم عن الجيش البيزنطي بشكل كامل بإتجاه الشمال.

المرحلة الثالثة من الهجوم

عندما رأى ماهان ذلك دعى كافة الخيالة الروم للتجمع خلف قلب الجيش البيزنطي لتنظيم هجوم معاكس ضد الخيالة المسلمين، ولكن ماهان لم يكن سريعاً بالشكل الكافي فقد تقدم خالد سريعاً لمهاجمة الخيالة أثناء تجمعهم وذلك من الجهتين الأمامية والجانبية بينما كانوا في منأورات التحضير للهجوم المعاكس، وكان الفرسان المسلمين المسلحين بشكل خفيف مؤهلين أكثر بل متفوقين من حيث سرعة التحرك والمنأورة، حيث كانوا يستطيعون الهجوم والتراجع بسرعة والعودة للهجوم مرة آخرى، وسارع الخيالة البيزنطيين إلى الهرب بإتجاه الشمال في وسط من الفوضى والعشوائية تاركين المشاة لمصيرهم، وكان بينهم كذلك قوات جبلة الراكبة، حيث تشتت بإتجاه دمشق.

المرحلة الوابعة من الهجوم

بعد تشتت فرق الخيالة البيزنطيين، تحول خالد إلى نواة جيش الروم البيزنطيين، الأرمن بقيادة ماهان، لمهاجمتهم من الخلف. وكان الأرمن من المقاتلين الأشداء الذين كانوا على وشك النصر على المسلمين قبل يومين عندما قاموا بإختراق جيش المسلمين، ولكن تحت هجمات من إتجاهات ثلاثة في آنٍ واحد، فرقة الخيالة بقيادة خالد من جهة الخلف، وجنود عمرو من اليسار وجنود شرحبيل من الأمام وبدون دعمٍ من الفرسان الروم، إضافة إلى الإختلال الذي أحدثته في صفوفهم جنود السلاف بقيادة قناطر المتراجعة، لم يكن للأرمن أي فرصة بالصمود فهزموا.

مرحلة الحصار

بعد هزيمة الأرمن هُزمت الآن كافة الجيوش البيزنطية، فتشتت البعض بشكل عشوائي مرعوبين، والبعض تراجع بإنتظام بإتجاه الغرب نحو وادي الرقاد.

ولكن عندما وصلت قوات البيزنطيين إلى المعبر الضيق على النهر واجهت مجموعة من فرسان المسلمين بقيادة ضرار بن الأزور بإنتظارهم. كجزء من خطة خالد كان قد أرسل في الليلة السابقة سرية من الخيالةً تقدر بـ 500 رجل لسد المعبر الضيق الذي يبلغ عرضه 500 متر فقط. فقد كان هذا الطريق هو الذي كان يرغب خالد بن الوليد للروم أن يسلكوه في تراجعهم في حال نجحت خطته.

المرحلة النهائية وحسم المعركة

والآن يتقدم جنود المشاة المسلمون من الشرق وفرسان خالد بن الوليد من جهة الشمال ليصلوا إلى وحدة خيالة المسلمين التي تراقب المعبر الضيق من جهته الغربية. وإلى الجنوب كان هناك الجرف العميق التابع لنهر اليرموك والتي تراجعت إليه القوات البيزنطية وبدأ الانحصار.

وبدأت المرحلة النهائية من المعركة عندما اندحر القسم الأكبر من الروم بإتجاه الجرف تحت تأثير القتال من جهة الأمام، بينما كانوا يتراجعون بإتجاه المركز نتيجة الهجوم من الجانب، حيث نجم عن ذلك اختلال التوازن في الجيش.

عند ذلك فقد الجيش البيزنطي المتحالف كل المعلومات والإرتباطات، ووصل إلى النقطة التي يتجنبها كل القواد العسكريين، وهي عندما تصبح وحداتهم عبارة عن حطام أو ركام مُسلح، فقد إنحصر الجيش البيزنطي بشكل لم يعد يستطيع فيه الجنود استخدام سلاحهم بشكل طبيعي، ولذلك فقد هزموا بسرعة محأولين إيجاد طريق للهرب عبر الجرف وبدون نجاح،فأخذوا يتساقطون فيها ولا يبصرون ما تحت أرجلهم، وكان الليل قد أقبل والضباب يملأ الجو، فكان آخرهم لا يعلم ما يلقى أولهم، وبلغ الساقطون في هذه الهأوية عشرات الألوف، وتذكر بعض الروايات أنهم كانوا ثمانين ألفا، وسميت تلك

الهأوية "الواقوصة"؛ لأن الروم وقصوا فيها، وقتل المسلمون من الروم في المعركة بعدما أدبروا نحو خمسين ألفا، خلاف من سقطوا في الهأوية.

ولما أصبح الصباح، نظر المسلمون فلم يجدوا في الوادي أحدا من الروم، فظنوا أن الروم قد أعدوا كمينا، فبعثوا خيلا لمعرفة الأمر، فإذا الرعاة يخبرونهم أنهم قد سقطوا في الهأوية أثناء تراجعهم، ومن بقي منهم غادر المكان ورحل.

لم يتواجد خالد بن الوليد مساء اليوم السادس بعد إحراز النصر وانتهاء المعركة في معسكر المسلمين، بل شوهد مساء اليوم التالي في المعسكر، فقد تابع خالد وفريقه فلول ماهان المتجهة إلى دمشق واشتبك معهم ليقتل ماهان على يد أحد المقاتلين المسلمين، فقد قطع رأسه وصرخ والله قد قتلت ماهان. وكانت العادة السائدة آنذاك أن المعركة تنتهي بهرب الجيش المنكسر، ولذلك فكان آخر ما توقعه هامان وجنوده المنهزمون هو متابعة خالد لهم.

بعد المعركة

كانت معركة اليرموك من أعظم المعارك الإسلامية، وأبعدها أثرا في حركة الفتح الإسلامي، فقد لقي جيش الروم (أقوى جيوش العالم يومئذ) هزيمة قاسية، وفقد زهرة جنده، وقد ترتب على هذا النصر العظيم أن استقر المسلمون في بلاد الشام، واستكملوا فتح مدنه جميعا، ثم واصلوا مسيرة الفتح إلى الشمال الإفريقي.

المراجع

١ - اضمحلال الإمبراطورية الرومانية إدوارد جيبون
٢ - الأصنام :- ابن الكلبي
٣ - 1000 من حياة اليهود في المغرب: حاييم الزعفراني
٤ - أوروبا في العصور الوسطى، سعيد عاشور
٥ - إيران والعراق في العصر السلجوقي عبد النعيم حسنين
٦ - باريس في سنوات الثورة: راي تاناهيل
٧ - البداية والنهاية: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير
٨ - بلادنا فلسطين، مصطفى الدّباغ.
٩ - بلاط الشهداء : الدكتور شوقي خليل
١٠ - تاريخ الأمم والملوك : ابن جرير الطبري:
١١ - تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر: فاروق عثمان أباظة
١٢ - تاريخ الدولة المغولية في إيران:عبد السلام عبد العزيز
١٣ - تاريخ فتوح الشام: محمد عبد الله الأزدي
١٤ - تاريخ الدولة العثمانية ، د. علي حسون،
١٥ - تاريخ :خليفة بن خياط،
١٦ - تاريخ الدولة العثمانية ، يلماز أوزنتونا،.
١٧ - تاريخ الدولة العلية العثمانية: محمد فريد بك،
١٨ - تاريخ الإسلام السياسي: د. حسن إبراهيم حسن
١٩ - تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري
٢٠ - حاضر العالم الإسلامي :الأمير شكيب أرسلان
٢١ - الدول الإسلامية المستقلة في الشرق عصام الفقي

٢٢ - الدولة العثمانية : الدكتور علي محمد الصلابي
٢٣ - دولة السلاجقة : الدكتور علي محمد الصلابي
٢٤ - الذخيرة:ابن بسام
٢٥ - رومل والفيلق الأفريقي: محمود سليمان محمود،
٢٦ - رومل على أبواب الشرق، تأليف الجنرال ديزموند يونغ
٢٧ - الزَّلاَّقة/معركة كسبها الإيمان: د محمد عبد الحميد
٢٨ - السلطان محمد الفاتح، عبدالسلام فهمي
٢٩ - السلوك لمعرفة دول الملوك :تقي الدين المقريزي ج1
٣٠ - صور من حياة التابعين: عبد الرحمن رأفت الباشا
٣١ - الصليبيون في الشرق : ميخائيل زابوروف
٣٢ - الطريق إلى دمشق: أحمد عادل كمال
٣٣ - العالم الإسلامي كزافيي بلان هول
٣٤ - العثمانيون والبلقاء، د.علي حسون
٣٥ - عجائب الآثار في التراجم والأخبار: الجبرتي
٣٦ - عصر سلاطين المماليك :قاسم عبده قاسم:
٣٧ - عين جالوت.. واإسلاماه!! من موقع إسلام أون لاين
٣٨ - عين جالوت : الواقعة والمغزى / موقع مجلة الفسطاط
٣٩ - الفاروق عمر: محمد حسين هيكل
٤٠ - فتح الأندلس / وادي لكة :الدكتور شوقي أبو خليل
٤١ - فتح القسطنطينية: محمد صفوت،
٤٢ - فجر الأندلس :حسين مؤنس
٤٣ - قيام دولة المماليك الأولى: أحمد مختار العبادي
٤٤ - الكامل في التاريخ: ابن الأثير.

٤٥ - مروج الذهب: المسعودي :
٤٦ - معجم البلدان :ياقوت الحموي.
٤٧ - معركة اليرموك: يوسف غوانمة
٤٨ - معركة القادسية/نزار نمر نزال
٤٩ - مفكرو الإسلام، تأليف كارا دي فو الفرنسي.
٥٠ - معركة عين جالوت، الشيخ أحمد القطان
٥١ - معجم بلدان فلسطين : محمد محمد حسن شراب.
٥٢ - معركة القادسية للشيخ هيثم جواد الحداد
٥٣ - موقعة عين جالوت: محمد علي شاهين
٥٤ - ملاذكرد.. الطريق إلى القسطنطينية : احمدتمام
٥٥ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: المقري
٥٦ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ابن تغري
٥٧ - واترلو: مقامرة نابليون الأخيرة المؤلف: اندرو روبرتس